٨٠٣٠

فاتل

العدد
التاسع والثمانون
أيلول - ١٩٨٧

الكاتب ٨٩

للثقافة الانسانية والتقدم

- نحو حركة ادبية موحد
- اعطو القوس لباربها
- كلمة الاستاذ صحي
  شحروري.
- عن ذاكرة ابي حرب، عن
  نبوءة المجيم.
- كلمة الحولان المحتل.
- البيان الختامي.
- الارض في القصة القصيرة
  الفلسطينية.
- ادب الشعب مرآة تعكس واقع
  الشعب.
- تجربة الحزب الاشتراكي
  اليمني، الدروس والعبر.
- آينشتين، العلم والحضارة
- الطابع التصنيفي للنمذجة
  العالمية.
- ساندينو، بطل نيكاراغوا
  الوطني الخالد.

المهرجان الوطني الثالث

للأدب الفلسطيني في الأرض المحتلة

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب

للثقافة الانسانية والتقدم

صاحب الامتياز - المحرر المسؤ
اسعد الاسعد
القدس

AL KATEB

For human culture
and progress.
Editor
Asa'd Al-Asa`d
P.O.Box 20489
Jerusalem
Tel.856931

رئيس التحرير

أسعد الأسعد

مدير التحرير : نظام عطايا

مجلس التحرير

بسام الصالحي — تيسير العاروري

جميل السلحوت — د. سمير عبدالله

فضل البورنو — محمد البطراوي

محمود الشيخ

صف ومونتاج : عبير ابو غوش

المراسلات :

الكاتب - ص.ب : ٢٠٤٨٩ القدس

تلفون ٨٥٦٩٣١

الاشتراكات :

بالبريد أو مايعادلها لسنة واحدة

محليًا ٢٥ دولار

بلدان أخرى ٦٠ دولار

المؤسسات

المحلية ٥٠ دولار

بلدان أخرى ١٠٠ دولار

ترتيب المواد في هذا العدد يخضع لضرورات فنية .
لا ترد المواد لمرسليها اذا لم تنشر .

Digitized by Birzeit University Library

المحتويات

العدد التاسع والثمانون السنة الثامنة ـ أيلول ـ ١٩٨٧ .

Library UNIVERSITY

الادب الفلسطيني تحت الاحتلال ، المهرجان الوطني الثالث للادب الفلسطيني .

(ملف)

٤	كلمة الاتحاد	أسعد الاسعد
٩	اعطو القوس باريها	اميل حبيبي
١٢	كلمة صبحي الشحروري	
١٥	عن ذاكرة ابي حرب ، عن نبوءة المخيم	سلمان ناطور
١٨	كلمة الجولان	تيسير مرعي
٢٠	البيان الختامي	
٢٣	الارض في القصة القصيرة الفلسطينية	ابراهيم جوهر
٣٩	ادب الشعب مرآه تعكس واقع الشعب	جميل السلحوت
٤٥	وله في الباب السقوط	سميح القاسم
٥٤	سبع زيارات لام السبعة ابطن	عبد الحميد طقش
٦٠	لينا	اديب رفيق محمود
٦٥	رشه بلسم على الجرح العبقري	فوزي البكري
٦٧	ساحات الحزن والفرح	محمد رجب
٧٠	قصص قصيرة جدا	عمر حمش
٧٣	لا مكان عندي لحزني	يوسف حامد

دراسات ومتابعات

٧٥	تجربة الحزب الاشتراكي اليمني ، الدروس والعبر	د . زياد ابو عمرو
٩٢	اينشتين ، العلم والحضارة	يوريس كونتسوف ترجمة : عيس الصراص

الاراء المنشورة لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر مجلس التحرير .

Digitized by Birzeit University Library

١٠١ الطابع التصنيفي للنمذجة العالمية — جيرمن غوبشياني
١١٤ - ساندينو، بطل نيكاراغوا الوطني الخالد — كارلوس فونسيكا
ترجمة : محمد البطراوى

متفرقات

١٢٥ اصداء ثقافية
١٢٧ جائزة فايز الصايغ

Digitized by Birzeit University Library

المهرجان الوطني الثالث

للأدب الفلسطيني في الأرض المحتلة

تحت شعار " الادب الفلسطيني، عشرون عاما تحت الاحتلال"، اقام اتحاد الكتاب الفلسطينيين المهرجان الوطني الثالث للادب الفلسطيني على مدار ثلاثة ايام ١٣، ١٤، ١٥ آب الماضي، في قاعات مركز النزهة الحكواتي بمدينة القدس . حيث بدأ المهرجان في الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم الخميس الموافق ١٣/٨/١٩٨٧، بكلمة من عريف الحفل الشاعر يوسف حامد، حيث طلب من الحضور الوقوف دقيقة صمت على ارواح الشهداء، ثم قدم اسعد الاسعد رئيس الاتحاد حيث القى كلمة الافتتاح، الذى نوه في كلمته الى الاهمية التي يكتسبها المهرجان الثالث، والمغزى العميق لانعقاده في هذا الوقت بالذات، ثم تلاه رئيس تحرير صحيفة الاتحاد، الحيفاوية، الكاتب اميل حبيبي، فالدكتور ابراهيم العلم، ثم القى الشاعر سميح القاسم قصيدة بعنوان " وله في باب السقوط "، ثم تلاه الاستاذ عبد الحميد طقش، فالناقد الشحرورى، فكلمة الجولان المحتل القاها الاستاذ تيسير مرعي، عن رابطة لجامعيين في هضبة الجولان، واخيرا كلمة الكاتب سلمان ناطور .

واختتم حفل الافتتاح بعزف منفرد على الشبابة، قدمه الدكتور خليل رشماوى فوصلة غنائية للفنانين المبدعين امل مرقس ونزار زريق .

وكان قد افتتح معرض للكتاب المحلي في احدى القاعات المجاورة .

وفي اليوم الثاني، قدم عريف المهرجان الشاعر سميح فرج المشاركين فكان اولهم الدكتور ابراهيم العلم، الذى تحدث عن الاتجاهات الجديدة في شعر الارض المحتلة، وقدم الاستاذ عادل الاسطة دراسته حول " الارض في القصة الفلسطينية" مكتوبة ثم استمع الحضور الى نخبة من الشعراء في قصائد شارك فيها كل من الشعراء، خليل توما، فوزى البكرى، محمد شريم، ايمان الرفاتي، عطاالله قطوش، وداد البرغوثي، ماجد ابو غوش، عبد الحميد طقش، د. سبيرو طمس، وعلي الجربرى، وتخلل القراءات وصلات من المواويل الشعبية قدمها الفنان محمد الحوراني .

واما في الامسية الثالثة، والتي تولى عرافتها الكاتب سامي الكيلاني فقد قدم الكاتب جميل السلحوت محاضرة حول الفهم الطبقي للادب الشعبي، ثم قدمت فقرات فنية شارك فيها الفنان علي عواد، من فرقة الفنون، وفرقة العمل التطوعي في رام الله والبيرة، والزجال ثائر البرغوثي ثم قرأ رئيس الاتحاد البيان الختامي للمهرجان .

واختتم المهرجان بعرض لمسرحية " المتشائل" لاميل حبيبي قدمه الفنان محمد بكرى .

الجدير بالذكر ان عدد الحضور في الايام الثلاثة زاد عن الفي شخص وننشر فيما يلي، بعض الكلمات والمواد الادبية التي قدمت في المهرجان وسوف تنشر كافة المواد في كتاب سوف يصدره اتحاد الكتاب قريبـــا :ـ

Digitized by Birzeit University Library

نحو حركة ادبية موحدة

نص الكلمة التي القاها اسعد الاسعد رئيس اتحاد الكتاب في افتتاح المهرجان :-

لم يكن بمقدورنا ان نفعل شيئا يغير مسار الاحداث وما آلت اليه، ذلك ان جيلنا، افاق ذات يوم على واقع لم يكن يملك امر صياغته او تعديله، بشكل يتوافق وتطلعاته، وليس معنى هذا، ان الجيل او الاجيال التي سبقته، كان بمقدورها ان تفعل شيئا جوهريا ولم تفعله، فقد حالت مجموعة من الظروف والمعوقات، دون امتلاك هذا الجيل او ذاك مقومات النهوض الوطني والقومي، ونحن ندرك ان النكسات المتتالية، التي ألمت بشعبنا وبأجيالة المتعاقبة، كانت نتيجة ظروف موضوعية وتاريخية، كانت على الدوام اكبر من امكاناته وقدراته، الامر الذي ادى الى تراكم الهم، واتساع رقعة المأساة.

الا ان ما تحقق حتى الآن، من صعود الشخصية الوطنية لشعبنا الفلسطيني، وتبلور ابعادها القومية، يجعلنا ندعي، بأن جيلنا الذي نضج تحت سياط الاحتلال وقمعه واضطهاده، استطاع ان ينهض بالحد الادنى، دون ادعاء الكمال او النجاح التام في تحقيق طموحاته واهدافه.

ايها الاخوة والاخوات ..

ان اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الارض المحتلة، وهو احدى مؤسساتنا الوطنية الناشئة، استطاع خلال فترة السنوات الثلاث الماضية التي مرت على تأسيسه، ان يحقق بعض طموحاته، واهدافه، فقد نجح في تأطير غالبية كتاب الارض المحتلة في اطار الاتحاد، كما نجح في اقامة العديد من العلاقات الوطيدة مع اتحادات الكتاب في الدول الصديقة، اذ تم توقيع بروتوكول تعاون وصداقة مع كل من اتحاد الكتاب في المانيا الديموقراطية، واتحاد الكتاب التشيكوسلوفاكيين، وقد اقمنا علاقات وطيدة مع الحركة الثقافية لعموم اليونان، وكذلك اتحاد الكتاب السوفييت، واتحاد الكتاب اليونانيين، واتحاد الكتاب

Digitized by Birzeit University Library

السلوفاكيين ، كما استضاف الاتحاد وفدا عن الحركة الثقافية لعموم اليونان، وهو يتطلع الى توسيع علاقاته الدولية انطلاقا من ادراكه لاهمية هذه العلاقات ، وما لها من اثر في شرح قضيتنا الوطنية وتوسيع قاعدة صداقتنا ، بهدف كسب مزيدمن الاصدقاء الى جانب حقوقنا الوطنية، وقضايا شعبنا الاساسية.

وعلى صعيد نشاطنا المحلي، فقد اقمنا عشرات الندوات وحلقات البحث والدراسة ، وشاركنا في معظم النشاطات والفعاليات الوطنية التي اقامتها مؤسساتنا الوطنية في الارض المحتلة ، ولم نغلق باب الحوار مع زملائنا الكتاب الذين لم ينضموا الى الاتحاد حتى الان ولن نغلقه ابـــدا .

أيهـــا الاصدقـــاء ،

ان فهمنا لوظيفة الادب ، ودور الاديب في معارك شعبه الوطنية، ابقتنا وسوف تبقينا على الدوام ، في الصفوف الاولى لجماهير شعبنا ، ومن هنا فقد وقف الاتحاد ضد مشاريع التصفية والاستسلام ، التي حاولت الدوائر المعادية على اختلاف اشكالها ومسمياتها ولا تزال ، تنفيذها وتمريرها ، ابتداء من كامب ديفيد ، الى الحكم الذاتي والتقاسم الوظيفي، كما وقف الاتحاد ضد المحاولات المتتالية لتجاوز شعبنا الفلسطيني وقيادته الشرعية، كما كنا ولا نزال مع عقد مؤتمر دولي تشارك فيه منظمة التحرير الفلسطينية بكامل الحق في تمثيلها للشعب الفلسطينـــي .

ومن هنا فقد دعا الاتحاد ومنذ تأسيسه عام ٨٤ الى تكريس الوحدة الوطنية، بصفتها الطريق الوحيد للوصول الى اهداف شعبنا وطموحاتهالقومية، وثمن عاليا النتائج التي تمخضت عنها دورة المجلس الوطني التوحيدية، ومن قبل المؤتمر التوحيدى للاتحاد العام للكتابوالصحفيين الفلسطينيين والتي عقدت في الثامن من شباط الماضي، واليوم نحن اكثر ثقة بالمستقبل ، وان الخير في الايام القادمة مهما طال موعدها .

أيهـا الاخـوة والاخـوات ،

ان عشرين عاما من الاحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة، خلقت ظروفا وواقعا لا يمكن لاحد تجاهلها ، ليس على صعيد تغيير الخارطة الجغرافية، وزرع المستوطنات الكولونيالية على الاراضي الفلسطينية المصادرة فحسب، وانما على صعيد تغيير البنية الديمغرافية والاجتماعية ايضا ، بحيث تشكلت فئات وطبقاتاجتماعية في السنوات العشرين الماضية، وتبدلت الانتماءات، اعتمادا على الوضع الجديد وما خلفه الاحتلال من واقع حاول طوال العشرين سنة الماضية صياغته بشكل يتوافق وخططه الاحتلالية الكولونيالية، ومحاولة استكمالما بدأته الحركة الصهيونية وهدفت اليه منذ تأسيسها عام ١٨٩٧ غير ان اخطر هذه الصياغات الجديدة، ما يتعلق بمجموعة الممارسات التي نهجها الاحتلال من اجل

Digitized by Birzeit University Library

الوصول الى اهدافه الاساسية، واعني سعيه الى مصادرة الشخصية الفلسطينية نفسها، من خلال تحطيم مقومات نهوضها الثقافي، لادراكه ووعيه لخطورة نمو الشخصية الثقافية الفلسطينية المستقلة، حيث عمد الى منع تداول اكثر من خمسة الاف كتاب، واغلاق المكتبات، ومصادرة محتوياتها من الكتب المتعلقة بتنمية الوعي الثقافي للانسان الفلسطيني، واعتقال اصحابها والعاملين فيها، وكذلك تقديم كل من تضبط بحوزته كتب أو صحف أو مجلات ممنوعة، منع عرض المسرحيات في المناطق المحتلة، الامر الذي دفع بالعديد من الفرق المسرحية والفنية الى التوجه لمدينة القدس نظرا لوضعها القانوني المختلف، كما عمدت الى سياسة الابعاد، حيث ابعدت خلال العشرين سنة الماضية ماجموعه ٢٨٩٣ فلسطينيا من الضفة الغربية وقطاع غزة، جلهم من المثقفين، والكوادر الكتابية الجيدة، كما تعرض غالبية الكتاب والمثقفين للاعتقال، والاعتقال الاداري ومنعهم من مغادرة الاراضي المحتلة، كذلك فان سياسة القبضة الحديدية، التي تعتمدها سلطات الحكم العسكري في المناطق المحتلة، تمكن سلطات الاحتلال، من تطبيق الاوامر العسكرية، وقوانين الطوارئ الانتدابية التي ابتدعتها السلطات البريطانية عام ١٩٤٥، والتي تبيح كل ما هو محظور بحجة الامن والمحافظة عليه، دون الخوض في تفاصيلها او حتى ذكرها.

من ناحية اخرى، وتنفيذا لسياستها القائمة على منع صعود الشخصية الفلسطينية الوطنية ونهوضها، عمدت سلطات الاحتلال الى التدخل في المناهج التعليمية من شطب وحذف وتبديل كل ما يتعلق بفلسطين وقضية شعبها، بشكل جعل من المناهج التعليمية مناهج اقرب الى محو الامية وتعاديا في سياستها، فقد عمدت سلطات الاحتلال الى التضييق على المعلمين الوطنيين، بحيث اعتقلت العديد منهم، وابعدت اعدادا اخرى، وفصلت كل ما يتوسم به الخير والجد في العمل والتفاني في خدمته العملية التعليمية والتربوية الوطنية الحقة.

واذا اضفنا، ما ترتب على سياسة تضييق الخناق على المختبرات المدرسية والمكتبات، والنشاطات اللامنهجية ووضع المدارس غير الصحي وغير اللائق، بشكل عام، ندرك المدى الذي وصل اليه التعليم في المناطق المحتلة، حيث يتخرج اليوم الاف الطلبة بمستوى اكاديمي متردٍ، يرافقهم الى الجامعات والمعاهد العليا .. فينعكس على المستوى العلمي العام لمجموع الخريجين.

من ناحية ثانية، فان ما تتعرض له جامعاتنا الفلسطينية في المناطق المحتلة، من اغلاقات مستمرة، قد تمتد الى اكثر من اربعة اشهر، ويصادف اليوم الثالث عشر من آب، مرور اربعة اشهر على اغلاق جامعة بيرزيت على سبيل المثال، وعدم السماح لهذه الجامعات بالتعهد مع كوادر علمية جادة وجيدة من خارج الضفة والقطاع، يحول دون تطور هذه الجامعات، والنهوض بمستواها الاكاديمي، الامر الذي من شأنه ان يشل حركتها، ويحد من قدرتها على تزويد الحركة الثقافية والعلمية بكوادر قادرة على العطاء، والنهوض بدورها الوطنـــي ...

اما على الصعيد الاعلامي، فان الرقابة العسكرية، سيف مسلط على رقاب صحافتنا،

Digitized by Birzeit University Library

تمنع هذه الصحف من القيام بواجبها ودورها ، بالاضافة الى منع توزيع بعضها في المناطق المحتلة مثلما هو الامر مع جريدة الطليعة ، كما تلجأ السلطات الى سحب ترخيص الصحف والمجلات العربية، كما حدث مع صحيفتي الميثاق ، والدرب ، ومجلة العهد والشراع .

ان الاحتلال الاسرائيلي ، يدرك الخطر المترتب على نهوض الشخصية الثقافية الفلسطينية ، وهو يسعى الى تحطيمها قبل ان تنضج ويصبح من المتعذر وقفها ، ويستخدم من اجل تخفيف ذلك الهدف اساليب مختلفة من القمع والاضطهاد والملاحقة ،ولعل فيما نسمع اليه بعض من الرد على سياسة الاحتلال هذه، غير ان طموحنا اكبر بكثير من اقامة مهرجان سنوي للادب الفلسطيني ، والثقافة الوطنية، اذ اننا نتطلع الى اقامة ورشات عمل ادبية، تتضمن الاستفادة من التجارب الغنية للكوادر الثقافية في وطننا المحتل، لتطوير ملكات وامكانات كتابنا وأدبائنا ، واغناء تجربتهم الابداعية، كما يتطلع الاتحاد ، الى عقد مؤتمر وطني للادب والثقافة ، تقدم فيه اوراق عمل وتصدر عنه قرارات وتوصيات ، خلاصة نقاشات جادة وموضوعية لمختلف القضايا الثقافية المتعلقة بالعملية الابداعية ، وسبل حماية وتطور المبدعين من الكتاب ، وتحقيق مزيد من الحريات الديموقراطيةالتي تضمن للكاتب حرية التعبير ليس في وطننا الفلسطيني المحتل وانما في العالم العربي ايضا . وهذا بعض ما يسعى اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الارض المحتلة الى تحقيقـــه .

ايها الاخـوة والاخـــوات ،

ان ما يجرى في الارض المحتلة ضد ثقافتنا الوطنية وتراثنا القومي ، يجب الا يشغلنا عن الممارسات القمعية ضد الكتاب والمثقفين الوطنيين في العالم العربي ، فليس من مبرر لخطوة النظام الاردني اغلاق مكاتب رابطة الكتاب الاردنيين وحلها ، سوى التأكيد على اعوان الحكومة الاردنية في سياستها الرامية الى كم الافواه ، وعدم السماح لاى من الكتاب الاردنيين بالتعبير عن رأيه، والوضع في الاقطار العربية الاخرى ليس افضل من الوضع في الاردن .

ولعل الاعتداء على حياة الفنان الفلسطيني المبدع ، "ناجي العلـي" مؤخرا في لندن ،حلقة جديدة، تضاف الى سلسلة طويلة، من الاعتداء على الكتاب والفنانين ، وتصفيتهم باسلوب همجي ، وعليه، فاننا اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الارض المحتلة، لا نزال وسنظل كنا منذ تأسيس الاتحاد عام اربعة وثمانين نسعى الى فهم وادراك مختلف اوجه العادلة، فلم نترك فرصة الا وانتهزناها ، من اجل تعزيز وتكريس وحدة الحركة الادبية والثقافية الفلسطينية في الارض المحتلة ، وحدة كافة الكتاب الفلسطينيين تحت الاحتلال وفي مواجهته والتوقف عن سياسة وممارسات ونهج ساد طوال سنوات الاحتلال العشرين الماضية، وادى الى انقسام المؤسسات النقابية والجماهيرية في الارض المحتلة، فاضعفها وشل قدرتها وامكاناتها .

ان اتحاد الكتاب الفلسطينيين ليس ملكا او حكرا على كاتب دون آخر، وعضويته لم ولن تغلق في وجه اى كاتب تنطبق عليه شروط العضوية، ونحن نرحب بأى طاقة ابداعية، تسعى الى

Digitized by Birzeit University Library

الى الاسهام في تطوير حركتنا الادبية والثقافية الوطنية، وان كان من حقنا ان نقول شيئا ، فهو اننا لن نقبل بأى ابتزاز او شروط مسبقة ، وليكن شعارنا ، نحو حركة ادبية موحدة، قادرة على الاسهام في نضال شعبنا الوطني العام ، وتحقيق طموحاتنا القومية ، وعلى رأسها بناء دولتنا الفلسطينية المستقلة .

- عاش اتحاد الكتاب الفلسطينيين
- عاشت وحدة الحركة الثقافية الفلسطينية .
- عاش شعبنا الفلسطيني العظيم .

Digitized by Birzeit University Library

اعطوا القوس باريها

بقلم : اميل حبيبي

اخال غيرى ايضا سيردد ، في تحية المهرجان الوطني الثالث للادب الفلسطيني خصوصا وانه يقام تحت شعار " الادب الفلسطيني خلال عشرين عاما تحت الاحتلال " ، شعرابي الطيب :

" عيد بأية حال عدت يا عيد
بما مضى ام لامر فيك تجديد "؟

أو هتاف جدى وجدتي ، على الاقل : تيتي تيتي مثل ما رحت مثل ما جيتي "؟!.

ويذكرني تداعي هذه الافكار السوداوية بكلمة شرقت وغربت كنت القيتها في المهرجان الاول ـ " المهرجان الاول للادب الفلسطيني في الارض المحتلة" ، هنا في القدس قبل ستة اعوام بالتمام وبالكمال ، في ٢٩ آب ١٩٨١ .وفي حينه تساءلت : "فهل ستظلون أن يأتي بعده الثاني والثالث الخ ، في الارض المحتلة" ؟ فوجدتني واقعا ، على وجهي طب ، في " دليما " واصلها العربي : دولاما" .لم اخرج منها سالما الا بعد ان خلصت بكلمة السر قائلا : " لن تجدوا حلا لقوايا لهذا الالتباس" . ويبدو لي ان التورية ، التي جاءت لتفادى مقص الرقيب ، قد انطلت عليه وعلى المستمعين الكرام . اردت ان انفي امكان " الحل اللغوى" او " الحل الادبي" فحسب .

ها نحن قد وصلنا ، وعمر الادباء طويل ، الى المهرجان الثالث ـ عبرنا الاول والثاني وعبر الثالث . ولم يبق امامنا سوى " الى امام" وكفا ، فيما مضى من شباب في فلسطين ،نتسلى بالتهكم قائلين : " الخ والخ "!.

قد تعود علينا اعيادنا بما مضى . وقد تعود بما هو ادهى وامر .

وما اصاب البيت الحرام وحجاج البيت الحرام ، في العيد الكبير الاخير، هو عودة بما مضى ادهى وأمر مما مضى . وقد نعيش ونتشرف بتحية المهرجان الرابع او الخامس، الخ والخ، للادب الفلسطيني في ظل الاحتلال " يعني ايه"؟. كما يتساءل اشقاؤنا المصريون على سبيل الاستخفاف بحسابات السرايا ! فهذه الصورة العائمة معروفة منذ قديم الزمان . والمتنبي، منذ اكثر من الف عام ، نظم فيها شعرا . ونحن، منذ الاحتلال السلجوقي لبلادنا ، عبرنا عن هذا الاستخفاف الفطرى بخلود ايوان كسرى وانشطار الفيتنام بالكلمة التركية الفصحى "طز" وأشقاؤنا الاوروبيون يلفظونها "بوز" . وكان الجباة

Digitized by Birzeit University Library

الاتراك يجبون ضريبة على الملح الذى كانت جداتنا تلتقطه برموش العين من بين حبات الرمل في ملاحات بحر عكا . وهو "طز" بالتركية. وعاب علي مستعرب انني وضعت حرف " طاء " بين قوسين جوابا على تهديد نائب الوزير ديكل بترحيلنا عن وطننا . قلت له : التبست عليك الطاء ان . ولم اعن سوى طاء طز .قال :عيب . فقررت ان اضع مكانها ، تأدبا ، ميم ملح . فزدت الطين عليهم بلة.

لسنا الوحيدين في هذه البلاد ولا حالنا كحال القرعاء التي تتباهى بشعرانبة جارتها حين نتعزى عن طول ليلنا بليل الافريقيين الاطول في جنوب افريقيا . فلدينا ، في سجون الاحتلال ، الاحياء منهم والشهداء ، افراح لنلسون مانديلا كزغب القطا. وهل تبطل حكمة العبسي ـ " الشجاعة صبر ساعة" لو تأخرت حتى قيام الساعة ؟!.

لو لم نصبر على الضيم ، ولو طال الزمن ، هل كان الباز قدره علا واليوم صاح ونعق من شدة الالـــم ؟!.

ليس كل تكرار امرا سلبيا وسيئا . فالعيد نفسه من العودة . وما احلى تكرار طلوع الفجر يوما يوما !! والصمود فوق ارض الوطن هو تكرار يعجز يشوع بن نون نفسه عن ايقافه ولو لحظة واحدة .

يعيروننا ببقاء الاحتلال عشرين عاما ؟ فكيف لا نعيرهم بعجزهم عن فرض الاستسلام على هذا الشعب على الرغم من بقاء الاحتلال عشرين عاما ؟ مثل لص مسك متلبسا وقف شارون يشي ببقية اعضاء العصابة . لم يفعل هذا الامر الا لانه مسك متلبسا . فلا م.ت.ف تبعثرت ولا المقاومة الوطنية الفلسطينية توقفت في الاصقاع التي ادماها هذا الرقيع.

ذهب الى لبنان ليأتي برأس المقاومة فعاد الى شعبه مثقلا برؤوس ضحاياه من الشبان اليهود . مناحيم بيغن اعتزل قائلا انه لم يعد يرى سوى اشباح ضحاياه . هؤلاء هم الذين يشعرون بأشد الهلع امام ما يشاهدونه من عودة الصمود الفلسطيني الى شرخ شبابه : كأنكم ، يا الواح، لا رحتم ولا جيتـــم !.

العودة العودة :في غزة عادوا الى ايام الاحتلال الاولى حين كانوا لا يجرؤون على السير في شوارعها الا جماعات مشرعي السلاح من الون موريه حتى قلقيلية الجندى في قلب الجندى . هل توجد في اسرائيل حجارة تكفي لبناء جدار "واحد" من القدس حتى الخليل؟ اما الصليبيون فحفروا السراديب والدهاليز واقاموافيها فلم يبق منها سوى ما حفظته الارخيولوجيا للذرية . واما هم فلم يبقوا.

التكرار التكرار : كما في الفيتنام كذلك في فلسطين. ان في التاريخ لخبرا وان في مكة لعبرا فما بال بعض الناس لا يفقهون ؟.

يقينا اننا نحاسب انفسنا ايضا على العجز عن انهاء الاحتلال عشرين عاما . فقد كان الادب وسيبقى مسؤولا . فـ " من رأى منكم منكرا فليقومه بيده . فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه . وذلك اضعف الايمان" اما مسؤولية الادب فهي الايمان كله : يدا ولسانا وقلبا نابضا يحب الناس .

وأشد ما يثيرنا من محاولات اذلالنا هو الفرية التي دسها الاجانب المستعمرون علينا ان الشرقيين، خصوصا العرب، لا يحسنون سوى الكلام . فهل الانجليز والامريكان واليهود ، مثلا لا يحسنون سوى العداء ؟!! ان اضخم السدود في وجه تقدم الشرقيين خصوصا العرب ، انظمة فرض المستعمر الاجنبي استمرار وجودها حتى يومنا هذا وتمنع عنا لا

Digitized by Birzeit University Library

الكلام فقط بل مجرد التأوه . مصيبتنا هي في
تا الكلام المفروضة علينا فرضا .

احسنوا الكلام واهدموا الاصنام ولا تخافوا
من تلك الفئة الفاسقة التي ليس لديها من
دينا مدكم سوى السباب والشتائم . والله ، يا
اخوتي ، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في
يساري على ان اكف عن ملكة الكلام واصبح
حيوانا اعجم ، لما فعلت !
نحاسب انفسنا ؟ لا بأس ! ولكن لن
نحاسبها الا بما هو عليها من قسط . اعطوا ما
لقيصر لقيصر وما لله لله ! .
من الشعور بالخيبة وباليأس ؟ يشعر
بالخيبة ذلك النفر الذى فقد الثقة بالهته
الطبقية .

اما نحن ، المنتمين الى وطنية الطبقة
العاملة ، فشأن مسيرتنا شأن النسور التي
تجدد شبابها . كما ترون .

ما من حركة ثورية ظهرت في تاريخنا
العريق الا شاخت واندثرت لانها شاخت . الا
حركتنا الثورية . ان ما يحدث الان من تجديد
شبابها فهو برهان استمراريتها وانتصارها .
اعطوا القوس باريها ايها الادباء . جبار
هذا العصر قم اطلع الفجر . فكل السابقين
اطلعوا الهزيمـــة .

Digitized by Birzeit University Library

كلمة
الاستاذ صبحي شحروري

انه لشرف عظيم لي ايها الرفاق الاعزاء ان اقف بينكم ، بل ان الوقوف امام مثقفي الامة وقلبها النابض يشعر المرء بشيء من الزهو .

وأول حديثي يتعلق بهذا الاتحاد الذى بنيناه بايدينا بالتعب المتواصل والنضال المستمر. البعض ساهم في مشاوير التحضير والاعداد والبعض الاخر واصل المهمة في النضال من اجل ترخيصه . واجتماعنا اليوم هو الدليل القاطع على ان اتحادنا استقام عوده، والمهرجان الحالي هو النشاط التتويجي لنشاطات كثيرة سابقة قام بها الاتحاد مثل ما نؤمل او دون ما نؤمل فالنتيجة مردودة علينا في كل الاحـــوال.

لقد قرأت في الصحف ان الاعمال الابداعية التي ارسل بها اصحابها الى ادارة المهرجان لن تلقى فيه، وانما ستنشر في كتاب مستقل لكثرتهـــا .

والخبر في حد ذاته يثير في النفس اكثر من رد فعل . الخبر في ذاته ـ اى كل هذا الانتاج ـ يشير الى تغريب قسرى للاديب وانتاجه عن مجالات النشر على كثرتها .

والقمع هنا في تصاعد ، والمنابر على تواضع مستوياتها تسقط الواحد تلو الاخر .

والمعادلة في اساسها سهلة ، فهناك كتاب وهناك صحف ومجلات فلماذا لا ينشر الكتاب نتاجهم في المجلات والصحف وتنتهي المسألـــة ؟ .

بالنسبة للمجلات ـ او اكثرها في احسن الاحوال ـ فان من الاسهل لها ان تتعامل مع الاموات ، فالاموات لا يشكون ولا يحتجون . والاموات هنا هم الكتاب في الخارج والمجلات في الخارج . والقص واللصق اسهل الف مرة من التعامل مع المبدعين ، فاذا كان المبدعون يدخلون انفسهم في مشاكل كثيرة بحكم طبيعة ابداعهم فلماذا لايدخلون غيرهم في هذه المشاكل .

ومن حسن حظهم ان الريح وانتهم فالتغريب والتناحر القومي الذى يدخل الان آخر سراديب اختبائه قد قذف بأعداد متزايدة من الصحف والمجلات الى الخارج، وبفضل هامش التعامي الممنوح لنا فهي تصلنا بأعداد وفيرة وفي القص واللصق يفلح اناس غير الادباء بالطبع .

وهكذا يصل الامر عندنا الى تعدد المنابر ولا منابر فنصل الى نوع من القمع فريد ، يقمع الكبار بحجة ان لهم آراء لا تسر ولانه قد آن الاوان لان يحنطوا في متاحف الامة فلكل مرحلة رجالها . ويقمع الصغار لان نتاجهم دون المستوى ، علما بأن الصحف والمجلات

Digitized by Birzeit University Library

التي يحررها البريد وحده لا يجوز لها ان تتحدث عن المستوى .

وهكذا فنحن مثل بقية العرب لنا قمعنا الخاص بالاضافة الى القمع الاكبر الذى يحاول ان ينفي الذات ويجتثها من جذورها .

واذا كان القومي في مرحلة انهاكه لا بد أن يتحول الى قمعي ، واذا كانت الانظمة القومية ـ او ذات الدعاوى القومية ـ ابان مدها البراق قد زينت صدرها بنجوم ثقافة بمارين فانها سرعان ما فتكت بهم عندما دخلت أول سرداب من سراديبها المظلمة ، والسراديب شرطها بسبب من طبيعتها القومية وطبيعة اهدافها الكلية بالذات ، وهكذا سحق الشرط الديموقراطي وتمت التضحية بالحريات مقابل تحقيق الكليات ، الكليات التي يدورون حولها ويدعقون النجور ولا تتحقق ، فحين ينكشف غبار المعارك الوهمية يجدون انهم قد ابتعدوا عنها ولم يقتربوا منها لانها في طبيعتها غير قابلة لان يقترب منها احد .

هنا رفعنا راية الوطني واسقطنا القومي ، ما هم؟ كيف فعلنا ذلك ولماذا فعلناه . المهم ان نتسائل : ايكون هذا الوطني وقبل ان نتحدد ملامحه قد تحول الى قمعي ؟ .

هنا ومع التناقض الاكبر تبدو المسألة واضحة فمن الاستخفاف التام اثر السقوط الى واقع النضال اليومي المتصاعد . الذى اعاد الحساب واضطرهم الى تصعيد القمع ، انها مسيرة تشبه مسيرة القومي المتشنج.ولقد حاول الاحتلال ان يزين صدره بنياشين من كتابنا بدعوى الديموقراطية ولكن مشاريعه لم تنجح ، افراد قلائل معدومي الموهبة سقطوا حين كان للسلطة صحفها ومجلاتها ، بعدها حاولوا التوثب ولم يستطيعوا لانه لم تكن لهم هامات تنتصب من قبل .

لماذا اذن الوطني يتحول الى قمعي . لانه يخطئ في قراءة خطابه ، فالبعض يريد قراءة هذا الخطاب في الكلي والمطلق . والمطلق عبارة " الشعب الفلسطيني بكل فئاته وبكل تجمعاته وحضوره وشتاته وبكل خصوصياته". شعب واحد ، وطن واحد ، قيادة واحدة ، على مستوى الشعار مسلّم . وربما جئنا اليوم لنهتف بذلك .

أما كقبلية لا بد ان تسبق التحليل فهي لا بد متهاوية ، فنحن هنا وهم في الشتات خصوصيات لا خصوصية . حين ننظر الى الاهداف البعيدة ونقول خصوصية نسقط في المثالية والتعامي عن الواقع ، وندخل الكلي والمقدس ـ والكلي لا بد مقدس وان سلمنا بأنها خصوصيات تبقى امامنا وأمامهم مهام علمية كثيرة لا بد ان تنجز . فالكاشف عن القوانين التي تحكم هذه الخصوصيات وباسلوب الاشتراكية العلمية بالذات هو الخطوة الحاسمة على طريق السير باتجاه العام ، الذى يتحصل بين ايدينا ولا يتحدد سلفا من منظور غيبي . انها جدلية الخاص العام تفتيت واعادة صياغة والخاص بين ايدينا ثقالة مادية ولكن لها التباسها الخاص ، والعام كالنجم يبرق ويغيب في البداية ثم يتضح بالخاص الذى هو اطروحته الاولى .

وصدقوني ايها الرفاق الاعزاء اننا نمتلك نقطة اولى ثابتة ، نفتخر بها دائما ولا ننطلق منها الا نادرا . اقول ننطلق منها ولا اقول نكرسها ، لان تكريسها يوقعنا في ميكانيكية التحليل الايديولوجي ، ننطلق لان الابداع الفني تفجير متجدد لعلاقة الخاص / العام وليس المادة .

نحن وهم في الكلي والمقدس جسم واحد ، امامي الواقع فانهم يغربون ذواتهم

Digitized by Birzeit University Library

بالهروب الى بحر متوسطيه هي امام فلسطينيتهم لا تخضب الاكف بالحناء فقط وانما تكاد تصبغ الجسد كله، يهربون في الغالب الى البنيوية وفلسفات بادت او كادت كالنتشوية التي تكرس الاجترار وتسقط الفهم والظاهراتية والوجودية، اما نحن فمخلصون لفلسطينيتنا ـ او هكذا يبدو الامر في الظاهر ـ وما نزال نؤمن بالادب الواقعي طريقا لنا دون ان نغلق باب التجريب، يقينا ان هاماتهم ترتفع فوق هاماتنا مستوى ولذلك شروطه ولا شك، فهم يحتكون ويفتحون صدورهم امام العربي التقدمي احيانا ولهم تجارب مع اللغة اعمق ، علينا ان لا نفزع حين نرى ارتفاع المستوى ونضارة الاخراج، علينا ان نقرأ كثيرا ونكتب كثيرا وان لا نستسهل النشر كما يستسهل الناشرون عندنا القص .

هذه هي جدلية اللقاء بيننا ، هم يبرقون ولا يتجسدون ولكنهم فيما يتعلق بالغربي الوافد يسبقوننا بكثير وليس عيبا ابدا ان نتعلم منهم لكن ذلك خيارنا اما بالنسبة لهم فهو تعلمهم منا شرطهم الوحيد لكي يستمروا .

وشكـــرا

Digitized by Birzeit University Library

عن ذاكرة أبي حرب
عن نبوءة المخيّم..

بقلم : سلمان ناطور

ربما ان اسهل الكلام وأعذبه في مناسبة وطنية يلتقي فيها الكتاب والشعراء والمثقفون، ان تشيد بما تحقق وانجز، ان تتحدث عن معالم ورموز، ان تستعرض مضامين وتشير الى انكال ادبية وتبحث عن المفاضلة بين التقليد والحداثة، والاهم من ذلك ان تقوم بعملية التصنيف بين الغث والسمين، او بين ما هو رجعي وما هو تقدمي، وتصل الى النتيجة / البديهية ان ادبنا يكتب تحت نير هذا الاحتلال البغيض، هو ادب " الكلمة / الرصاصة والقلم / السيف" وهو ادب يواجه المرحلة بما يتقنه من فنون مواجهة العدو وكلنا يتقنون ان العدو هو الاحتلال وهو حقا العدو الاساسي وكل الطاقات مجندة لمكافحته ومقاومته فاسمحوا لي بعد هذه الاشارة الى اجماعنا الوطني ان احيي مهرجانكم هذا، واتمنى لكم النجاح ولنا جميعا ان نحقق امنياتنا الوطنية واحلامنا الثورية وان يترجم مستقبلنا الى واقع كالذي نصوره في ادبنا، بعد ان نتخلص من واقعنا الرهيب الذي نقاومه بكلماتنا واقلامنا والحاننا ومجمل ثقافتنا الوطنية.

وما كنت اود ان اثقل عليكم في هذه الامسية بطرح معضلات وتساؤلات عن حركتنا الثقافية وعن هموم الكتابة والابداع، ولكنني اشعر في لحظة من لحظات محاسبة النفس ان الانشغال بشحذ السلاح هو شرط من شروط نجاعته عندما تأتي لحظة محاسبة العدو، فلا بأس ان نسأل : ما هي حالة الكاتب الفلسطيني اليوم ؟ او كيف حالك يا ثقافتنا الوطنية هنا تحت الاحتلال او هناك في المنافي والمهاجر والخنادق والفنادق وتيرمنال المطارات ؟.

. الاستنتاج : عن القمع الثقافي :

نلتقي اليوم، وفي غرفة العناية المكثفة في احد مستشفيات عاصمة الامبراطورية العظمى سابقا، في منفى قسري، يصارع ناجي العلي بكل ما بقي في جسده من قدرة على القتال، وبكل ما في نفسه من حب للحياة وتجربة عميقة في الانتصار على الموت والابادة، يصارع الموت الذي نقلته الى جسده ليس مجرد رصاصة طائشة، بل هي من نوع الرصاصات التي تطلق هنا في الهواء فاذا بها تستقر في قلب طفل فلسطيني كان عائد من

Digitized by Birzeit University Library

مدرسته او ذاهبا الى البيت مع الذين يبحثون عن بيوتهم في مكان ما في هذا المكان .

كتب محرر ادبي في مجلة تصدر في المنفى : " كان على ناجي العلي ان ينتبه الى ان تحريضه على من يخالفهم الرأى قد يدفع بالبعض الى تبني التحريض فيقتل . وكان عليه ان ينتبه الى من يخالفهم الرأى قد يعمدون الى تحريض يدفع بالبعض الى تبني القتـــل ".

هكذا اذن، ناجي العلي، نفسه، يصبح مسؤولا عن محاولة اغتياله ! لانه لم ينتبه الى نتائج تحريضه على اعداء " حنظلة " !

وانبرى في صحافة النفط ، وفي العاصمة نفسها ، من يحذر محمود درويش بأن ينتبه ، لانه اقترف الجريمة الكبرى ، بأن شن من موقعه الثقافي والسياسي معركة على الجبهة الثقافية قد لا تجلب " الى الارض السلام وفي الناس المسرة " ، لكنها تضع المثقف الذى ينتمي الى شعب يضطهد شعبآخر في محك الصدق والضميـــر .

ماذا تريد منا هذه الاصوات الاتية من نوادى لندن والشانزليزيه ؟ ان ننتبه ! ان نكف عن التحريض ! او ان ندفن رؤوسنا في الرمل ونقول يا رب السترة . ثم نكتب ادبا يسقط بين شعارين : ما عاد ينفع الا المدفع او ما عاد يحكي الا الويسكي !.

يبدو ان الكاتب الوطني ، في المساحة الزمنية والمكانية التي تمتد من المحيط الى المحيط ، هو مذنب دائما الى ان تثبت براءته ، او انه يتحمل مسؤولية ما يفكر به او ما يخرج الى الناس مما يعتمل في صدره ويجول في خاطره من غضب وتقمة على الذين نصبوا انفسهم اسيادا لانهم عبيد لدى الاخرين .

• ابـو حـرب .. والريح الاصفـر :

قبل شهرين وفي مثل هذا اليوم ، الثالث عشر من حزيران الماضي ، التقى الكتاب والفنانون اليهود والفلسطينيون وفي نفي تسيدك للبحث عن سبيل للخلاص من كابوس الاحتلال ، لم يكن هذا اللقاء ثقافيا ادبيا فقط، لم يتحدث فيه الشعراء عن التفعيلة ولا الكتاب عن سيريالية النهاية ، بل تحدثوا عن نهاية هذا الزمن الاصفر. كما يتحدث عنه الكاتب دافيد غروسمان . لقد حاول الكتاب من الطرفين وضع صيغة ادبية او فنية لنبوءة ابي حرب احد ابطال غروسمان، لكي تهز الضمير وابو حرب من مخيم الدهيشة، في الخامسة والثمانين، هو ذاكرة المخيم جلس على حصيرة من القش، وعندما قال له غروسمان انه سيسمى كتابه " الزمن الاصفر" بد أ ابو حرب يحدثه عن " الريح الاصفر ":

" بعد شوى، راح ييجي الريح الاصفر .. وهاى ريح شرقية بتلسع لسع .. راح تشل المنطقة .. الناس راح تهرب وتتخبا في المغر وراح تلحقهم الريح .. وتقتلهم واحد واحد ... وراح تغطي الارض جثث .. جثث .. ويصير الصخر ابيض .. وتذوب الجبال وتسيل على الارض وتغطيها مثل القطن الاصفر "...

نقل غروسمان هذه النبوءة في كتابه كما صاغها ابو حرب .. ونقلها الكتاب الفلسطينيون الى زملائهم الذين يعلنون انهم ضمير الشعب .. وكان الاتفاق انه يجب وضع نهاية للزمن الاصفر .. قبل ان يهب الريح الاصفر القادم من جهنم ! وهل هناك دعوة اكثر انسانية ووطنية من دعوة ضحايا الاحتلال من ابناء الشعبين لئلا تذوب الجبال وتسيل على الارض مثل القطن الاصفر .

ربما ان الذين يريدون ان يحرروا فلسطين في الهيد بارك او البكاديلي سكوير لا يعتقدون مثلنا ومثل محمود درويش ان حكاية الريح الاصفر هي نبوءة " اللي ايده في النار مش مثل اللي بيتدفا عليهـــا ".

Digitized by Birzeit University Library

كي لا نفقد الذاكرة :

كيف حالك يا ثقافتنا الفلسطينية؟ هنا في المخيم وهناك في المخيم ، هل يجد الانسان الفلسطيني ذاته في هذه الثقافة ، كما ينبغي ان تكون الثقافة الوطنية ؟

قال الشاعر السوفييتي يفتوشنكو : " الفن هو ذاكرة الشعوب ، والقتلة يدركون هذا جيدا لهذا يدركون وحدة الفن والثورة . وبما انهم لا يملكون مبررات فلسفية فان مبرراتهم الوحيدة هي الدبابات التي تسحق الحرية ، والقنابل المدمرة لهياكل الامل وحرائق الكتب التي تلتهم النفائس الخالدة . اما بصدد الانتصارات التي ما زال القتلة يحرزونها احيانا فليست الا كابوسا سنقضي الى غير رجعة بعدهم ان يصحوا بحكومة ولكن تستحيل الاغاثة بشعب ، امر فظيع ان نفقد الذاكرة" ١ الثقافة، هي ذاكرة لا تسجل الحدث العام، بل تسجل التفاصيل، هي قاموس المفردات التي تصوغها الجماعة في مراحل تاريخ المتعاقبة . فهل تشكل ثقافتنا ذاكرة لشعب اصبحت مفرداته الادبية قاموسا "للجرح الدامي" " للموت"، "للقتل"، "الهدم"، "السلح"، " التهجير"، " التشريد"، "الهرب"، "الحرب"، " الموت الثاني"، و الحرب الاولى والخامسة والسادسة" و "النصر الذي لم يتحقق بعد ".

هل هي قاموس المفردات لاناتوميا الانسان الفلسطيني، الذي يملك فراعين زينتين وجها اسمر البشرة، لكنه يجيد استقبال اعضائه بتصويب البندقية والقاء الحجر وتلقي الضربة تلو الضربة في غياهب السجون والمعتقلات. وايضا يستطيع ان يخاف ويستطيع ان يحلم ويأكل ويعيش ويعرف الحزن ويعرف الفرح ؟.

يبدو لي احيانا اننا في ادبنا هناك من يصور عالما ، تتحرك فيه رموز من اساطير اغريقية، جميعها تعرف كيف تنتصر وكيف تقاتل وكيف تحتضن الثورة والوطن، ويبدو لي احيانا ان الارض ليست ترابا تنبعث منه رائحة ، وان الفلاح ليس انسانا ، بل هو شبح هلامي ، تمثال يتحرك " كالروبوت" بأوامر من عبقرى اسمه الكاتب او الشاعر، حتى انه هو والارض الوطن والثورة يتحولون الى لوحة مائية، خارج حدود المرحلة او معلقة على جدران الذاكرة لكنها ليست هي الذاكرة .

ولعل ظاهرة الذين يركبون مطية الثقافة للمتاجرة او المزاودة او للتغطية على الخيانة، هي وصمة الثقافة الفلسطينية التي حلت بكم وبنا وبالناس اجمعين .

ان الجنرالات الاسرائيليين، العسكريين والسياسيين، الذين لا يملكون مبررات فلسفية ولهذا فان مبرراتهم الوحيدة هي الدبابات التي تسحق الحرية، والقنابل المدمرة، يملكون في هذا الزمن مبررات الغزو الثقافي الذى يهدف الى تفريغ ثقافتنا من مضامينها الانسانية والوطنية الحقيقية". وحين فشل هذا الغزو بنشر روح العدمية، يلجأ الى نشر المثالية الغيبية ،ليجعل الكتابة حرفة رومانسية اومداعبة بالكلمات او مجرد " طق حنك" وشعارات او لهو " بالجرح الفلسطيني" في فنادق الخمسة نجوم مع قليل من الرز وكثيرمن الهامبورغر الامريكي والستيك فيليه.

اعرف انني لم اكن مباشرا بما فيه الكفاية ولم اذكر الاسماء والمواقف، واسردها، ليس لانني التزم بتوصيات زميلنا المحرر الادبي بأن نتتبه بل لانني اعرف ان مهرجانكم هذا ليس مجرد حدث عابر، ولن ينتهي هذه الليلة، بل يستمر غدا وبعد غد، ولانكم تنتمون الى كوكبة الكتاب الثوريين الوطنيين فان كل ما يصون ثقافتنا ويحصنها من الخطر الاتي من " برة او من جوا" سيكون في مركز ابحاثكم وقراراتكم . فتحية لكم مرة اخرى والى الامام في الطريق التي تحقق النصر في عالم الثقافة وعالم الانسان .

Digitized by Birzeit University Library

كلمة الجولان المحتل
القاها تيسير مرعي عضو رابطة الجامعيين في الجولان

أيها الحضور الكرام :

انها لمناسبة سعيدة ان اكون اليوم بينكم بين اخوة واهل ورفاق درب ويسرني وباسم رابطة الجامعيين في مرتفعات الجولان السورى المحتل ان ارفع اسمى تحيات التقدير لكم ولاتحاد الكتاب الفلسطينيين بمناسبة المهرجان الثالث للادب الفلسطيني في الارض المحتلة متمنيا لكم المزيد من العمل الناضج لما فيه خير شعبنا وقضيتنا .

ان وجودنا في مثل هذا المهرجان لهو مبعث للامل ومؤشر لقدرتنا على التجدد الدائم والعطاء المستمر والتعلم من دروس الماضي من اجل متابعة الطريق نحو مستقبل الحرية .

رغم محاولات الحركة الصهيونية منذ قيامها وبشتى الوسائل والطرق ابتلاع المقاومة الفلسطينية والقضاء على كل مقوماتها فان الشعب الفلسطيني وعبر نضالاته المستمرة وبقيادة ممثله الوحيد ـ منظمة التحرير ـ استطاع ان يصمد وان يجعل من القضية الفلسطينية احد اهم القضايا التي تشغل العالم وتهدد السلام العالمي .

أيها الرفاق :

ان نضال اهلنا في الجولان كجزء من نضالات الامة العربية ضد الحركة الصهيونية وكيانها اسرائيل وكجزء من نضال القوى التقدمية ضد الامبريالية والاستعمار اتخذ مجراه الصحيح ومنذ الايام الاولى للاحتلال الاسرائيلي .

ففي اواخر الستينات واوائل السبعينات دخل السجون الاسرائيلية العشرات من مناضلي الجولان . وفي عام ١٩٧٢ اعتقل ما يقارب ١٢٠ شاباً خلال فترة لا تتجاوز الشهر، وما استشهاد كل من عزت ابو جبل، نزيه ابو زيد وغالية فرحات الا سلسلة من تضحيات قدمها اهل الجولان في سبيل الحرية والكرامة بالمقابل لهذا الرفض للاحتلال وللذل فان قوات الاحتلال وبشكل مبرمج عملت جاهدة عبروسائل اعلامها محاولة طمس الوعي الوطني للجولان واعطاء صورة مشوهة وذلك عبر ابراز حفنة من عملاء السلطة عبر وسائل الاعلام كممثلين لوجه الجولان ومواقفه .

ان الغضب الجماهيرى والصيحة المدوية التي اطلقها اهل الجولان على اثر اعلان قرار ضم الجولان في عام ١٩٨١ ومحاولة فرض الجنسية الاسرائيلية في المرتفعات المحتلة اظهر وبشكل واضح الصورة الحقيقية للجولان والسكان .

ان صمودنا في الجولان وافشالنا مخططات

Digitized by Birzeit University Library

سلطة بفرض الجنسية الاسرائيلية ما كان
يتحقق لولا عاملين اساسيين :
لهما العامل الداخلي الذي يتلخص بوقوفنا
بالمرصاد في وجه السلطة .
بالمرصاد في وجه السلطة .
بانيهما : العامل الخارجي المتمثل بالدعم
المعال المعنوي والمادي الذي تلقيناه من كافة
القوى الوطنية والتقدمية الفلسطينية والقوى
التقدمية الاسرائيلية ـ

ولا يسعني هنا الا ان اخص بالذكر الدور
الفعال الذي قام به الحزب الشيوعي
الاسرائيلي وجريدة الاتحاد من نشر حقائق ما
يجري على ساحة الجولان وايصالها للرأي العام
المحلي والعالمي .

ايها الرفـــاق :

ان الحركة الصهيونية باعتبارها حركـــة
كولونيالية عمدت ومنذ البدء الى العمل على
القضاء على الوجود الفلسطيني ارضا وحضارة
وتاريخا وذلك ادراكا منها لعدم امكانية
التعايش بين هذه الحركة وبين الشعب
الفلسطيني .

وفي نطاق هذا المفهوم نتعرض في
الجولان ومنذ ايام الاحتلال الاولى لحملة
مخطط ومدروسة تهدف طمس هويتنا العربية
والقضاء على انتمائنا القومي لوطننا الام سوريا . فقد منعنا
من اي اتصال مع وطننا سوريا وايضا قامت
سلطات الاحتلال باستبدال مناهج التدريس
السورية بالمناهج الاسرائيلية هادفة بذلك
دمجنا وبشكل بطيء ضمن كيانها .

وما محاولة فرض الجنسيات الاسرائيلية
الا خطوة متقدمة في هذا البرنامج ، ان ارادة
الجماهير ووعيها كان اقوى من كل هذه
المخططات فأمام هذه الهجمات المتواصلة
رفعت جماهير الجولان قولا وعملا شعار لا بديل
عن الهوية السورية .

ان فشل السلطات لا يمنعها من مواصلة
العمل والمحاولات وبأساليب جديدة من اجل
كسب جولات قادمة .

فايدينا ممدودة دائما لكم لتتشابك مع
ايديكم في وحدة نضالية ضد هجمات الاحتلال
فنصركم نصرنا ونصرنا نصركـــم .

وفي الختام وباسم جماهير الجولان
نعاهدكم ونعاهد الوطن سوريا جماهيرا وجيشا
وقيادة ان نبقى اوفياء لمبادئنا ولوطننا .

ـ عـاش اتحـادالكتاب الفلسطينيين .
ـ عاشت سوريا صامدة في وجه محاولات
التركيع الاميركية .
ـ عاش نضال الشعب الفلسطيني بقيادة
منظمة التحريـــر .
ـ عاش نضال حركات التحرر العالمية .
ـ المجد والخلود لشهـداء الحريـــة .

والســـلام عليكـــم

Digitized by Birzeit University Library

البيان الختامي

الصادر عن المهرجان الوطني الثالث
للادب الفلسطيني في الارض المحتلة
المنعقد في القدس المحتلة في الفترة الواقعة
ما بين ١٣ – ١٥ آب ١٩٨٧

نحن الكتاب الفلسطينيين ، المشاركين في المهرجان الوطني الثالث للادب الفلسطيني في الارض المحتلة، المنعقد في مدينة القدس العربية المحتلة تحت شعار " الادب الفلسطيني ، عشرون عاما تحت الاحتلال " في الفترة ما بين ١٣ – ١٥ آب ١٩٨٧ ، نؤكد :

- ان الكاتب والاديب ، ليس مرآة لشعبه وحسب ، وانما اداة فاعلة ، تضع يدها على الجرح والهم العام ، كمقدمة لدفع جماهير الشعب الى ادراك معاناته ، ورؤية طريقه الى الخلاص من واقعه المرير .
- ان الادب الناضج ، يحتاج الى اديب وكاتب مبدع ، وحتى نصل الى هذا الادب القادر على الفعل والاسهام في التغيير والبناء ، يجب العمل على خلق الاديب الواعي وتمكينه من امتلاك ادواته الفنية والابداعية .
- ان الكاتب جزء من شعبه ، ومعاناته بعض من معاناة امته ، ولذا ، فان عليه الانخراط في مجتمعه وجماهيره ، ومشاركتهم الحياة ، وأخذ حصته من مرّها قبل حلوها .
- ان الطريق الى تحقيق الطموحات الوطنية ، تمر عبر فهم الكاتب لوظيفة الادب ، ودوره النضالي ، وموقف صاحبه من قضية شعبه ، وارتباطها بمجمل قضايا التحرر في العالم .
- ان الكاتب يسعى بالكلمة الخلاقة والمبدعة ، الى تكريس الاحساس بأهمية الانسان وقدسيته المحافظة على حياته ، وتمكينه من ممارسة حياته الانسانية ، والتعبير عن طموحاته وأفكاره ، وعدم المساس بحرياته الاساسية ، وحقوقه المبدئية ومن اجل ذلك ، فاننا نحن الكتاب الفلسطينيين في الارض المحتلة نؤكد :
- رفضنا للاحتلال ، وعدم السماح باستمرار احتلال وطننا ، ومنع شعبنا من ممارسة حقه في تقرير المصير ، واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة .

تمسكنا بقضايا شعبنا الاساسية ، والدفاع عنها ، وتكريس ادبنا من اجل خدمة اهداف امتنا .

Digitized by Birzeit University Library

- حرصنا على تطوير العلاقات الثقافية مع اتحادات الكتاب الصديقة، والسعي الى اقامة جبهة ثقافية عالمية، مناهضة للاستعمار، والاستعمار الجديد بكل اشكاله ومسمياته .
- وقوفنا الى جانب القوى المناهضة للحرب، والمناضلة من اجل عالم خال من السلاح النووي، وضد التسلح وعسكرة الفضاء .
- محاربتنا لكافة اشكال الاضطهاد والتفرقة العنصرية.
- تمسكنا بهويتنا القومية، والتصدي لكافة اشكال القمع والعدمية القومية التي تسعى سلطات الاحتلال الاسرائيلي الى انتهاجها ضد شعبنا الفلسطيني في المناطق المحتلة .
- وبما ان حركتنا الفلسطينية جزء من حركة التحرر العربية والعالمية، فاننا نؤكد تحالفنا الطبيعي مع حركات التحرر العربية والعالمية وفي مقدمتها دول المنظومة الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفييتي الصديق .
- محاربة الفكر الرجعي الذي يحاول الالتفاف على قضايانا المصيرية .
- محاربة كل المحاولات المشبوهة والعميلة التي تعمل جاهدة من اجل خلق قيادة بديلة في الاراضي المحتلة تكون مرتبطة بالرجعيات العربية والصهيونية والامبريالية العالمية .
- رفض كافة الحلول الامريكية المطروحة، لتجاهلها حقوق شعبنا الاساسية .
- المطالبة بوقف التسلح، وكبح جماح الحرب، ونثمن عاليا، اهمية المبادرة السوفييتية لدرء خطر الحرب، ونزع السلاح النووي .
- المطالبة بوقف نزيف الدم غير المبرر على الساحة العراقية ـ الايرانية، ونستنكر المحاولات الامريكية، للتدخل في الحرب، وزج دول الخليج العربي في اتونها .

وبما ان الاحتلال الاسرائيلي لوطننا، وما ترتب عليه من مصادرة للاراضي، وهدم البيوت، والاستيطان، وابعاد المواطنين عن وطنهم، واغلاق الجامعات والمعاهد، والاعتداء على المقدسات، والعقوبات الجماعية، واعتقال الالاف من ابناء شعبنا . في ظروف غاية في الصعوبة والقسوة، كل ذلك وغيره يعتبر خرقا لكافة الاعراف والقوانين الدولية والانسانية، واغتصابا لارادة شعبنا في التحرر وتقرير المصير، ولان النضال من اجل رفع المعاناة عن شعبنا، من أقدس المهام المطروحة امام الكتاب والمثقفين نؤكد على :

١) الالتزام بقضايا شعبنا وهمومه الوطنية والاجتماعية .
٢) محاربة كل اشكال الفكر العنصري والانعزالي والرجعي .
٣) استنكار الاعتداء على حياة الكتاب والفنانين الفلسطينيين والعرب والتي تمثلت باغتيال حسين مروة ومهدي عامل والتي كان آخرها محاولة اغتيال الفنان الفلسطيني المبدع ناجي العلي .
٤) التضامن مع اهلنا في المخيمات الفلسطينية في لبنان، واستنكار الاعتداءات المتكررة عليهم ،مطالبين بتوفير الحماية لهم .
٥) استنكار اغلاق رابطة الكتاب الاردنيين، والمطالبة بوضع حد للاعتداء على حقوق الكتاب الاساسية في التعبير والابداع .
٦) المطالبة بوقف سياسة الابعاد والتي كان آخرها ابعاد زميلنا الكاتب اكرم هنية، واستنكار اوامر منع تداول الكتب، واغلاق المكتبات، والتضييق على الكتاب والمثقفين

Digitized by Birzeit University Library

ومحاكمتهم، ومنعهم من السفر، وكذلك المطالبة بوقف الاعتقالات الادارية، والاقامات الاجبارية، واستنكار اغلاق الجامعات والمعاهد.

استنكار اعتقال الطلبة وخصوصا اثناء تقديم امتحان الدراسة الثانوية العامة ـ التوجيهية ـ ومنع الطلاب الجامعيين من السفر لاستكمال تحصيلهم العلمي والاكاديمي.

ـ استنكار اغلاق المجلات والصحف. مثل ـ الشراع، الميثاق، العهد ـ الدرب والجماهير.

وللوصول الى اهدافنا الوطنية المشتركة فان الكتاب الفلسطينيين في الارض المحتلة، يدعون الى:

ـ وحدة الحركة الثقافية في الارض المحتلة، انسجاما مع الوحدة الوطنية الشاملة، والمبادرة الى تصفية الخلافات واعادة اللحمة إلى المؤسسات في الارض المحتلة.
ـ العناية بالكتاب الفلسطينيين، والاخذ بيدهم، ومساعدتهم على النهوض بدورهم الوطني.
ـ رعاية الكتاب الناشئين وتشجيعهم.
ـ الاهتمام بالترجمات الادبية من والى اللغة العربية.
ـ تشجيع الاهتمام بالتراث الشعبي واستلهامه في الاعمال الابداعية.
ـ دعم الحركة المسرحية والفنية، باعتبارها رافدا مهما من روافد الثقافة الوطنية، والعمل على توحيد الحركة المسرحية والفنية.
ـ تطوير قدرات الكتاب من خلال نشر الانتاج الادبي الجيد وتسويقه.
ـ العمل على انشاء مكتبة عامة في مقر اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غـــزة.
ـ الاستمرار في اقامة الندوات واللقاءات الادبية والفنية والفكرية.
ـ تأسيس صندوق لدعم الحركة الثقافية في الارض المحتلة ومشاريع اتحاد الكتاب الحيوية والعناية بالكتاب.
ـ تأسيس دار وطنية للنشر والتوزيع تحت اشراف اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الارض المحتلـة.
ـ السعي لعقد مؤتمر سنوي للادب في الارض المحتلة.
ـ العمل على اقامة مركز ثقافي وطني يشتمل على كافة المتطلبات اللازمة لنشاطات الحركة الثقافية الفلسطينية في الارض المحتلة بمختلف اشكالها.
ـ تأسيس دار وطنية تعنى بأدب الاطفال، واصدار مجلة خاصة بالاطفال.
ـ تشجيع برنامج الاتحاد لعقد ورشات عمل ادبية دورية ومنتظمة.

إتحاد الكتاب الفلسطينيين

في الضفة الغربية وقطاع غزه

القـدس ١٥ / آب / ١٩٨٧م.

Digitized by Birzeit University Library

الأرض
في القصة الفلسطينية القصيرة

بقلم : ابراهيم جوهر

" وان كان حصدنا قمح احنا اللي زرعناها
وان كان تركناها وعر احنا اللي خسرناها
وان كان بدنا الارض لازمنا نرعاها
وانشيلها جوه القلب بالعين نحماها "

" الشاعر : أسعد الاسعد "

يرتبط الانسان الفلسطيني بالارض ارتباطا وثيقا اى ارتباط مواز عند اى انسان آخر . وذلك عائد بالدرجة الاولى الى خصوصية التجربة الفلسطينية ذاتها ، فهي تجربة قاسية ومرة" تجمع في اطار واحد معاني النفي وذكريات الطفولة ومرارة الواقع الجاثم امام الناظر على هيئة " "مخيم" ،تلك الظاهرة الاجتماعية والتركيبة السياسية الاقتصادية التي بدأت بالبروز الى سطح الحياة الثقافية الفلسطينية خصوصا والعربية بشكل عام ، بعد نكبة العام ١٩٤٨.

لذلك كله، يكتسب الحديث عن "الارض " في الثقافة الفلسطينية ابعادا كثيرة . ولاقصد بـ " الثقافة" مجرد الاشارة الى الابداعات الادبية والفنية والفكرية فقط ، بل كل ما يتعلق بحياة الفلسطيني ، والانسان بشكل عام ، جميع النواحي (١) .

اذا كان ذلك كذلك، فان المجال واسع امام الدارس المتقصي والمستنتج والناقد للدراسة والتقويم. ولعل هذا المجال ليس المكان المهيأ لذلك تماما (٢).

Digitized by Birzeit University Library

فقد الفلسطيني ارضه وبيته المقام عليها ، وما يتبع ذلك من فقدانه لمقومات وجوده الحضارية والاقتصادية، قسرا ، نتيجة عدة عوامل حاصرت طموحاته المشروعة ، فتوزع في مناطق شتى من العالم الواسع .. حاملا ذكرياته، المعنوية والمادية ، في اطار من الحنين والشوق الدائمين للعودة ومواصلة الحياة . وظل يختزن كل ذلك في ذاكرته الخصبة التي تزيدها الايام والسنوات قوة ومنعة، دون تفريط او تنازل، بل صار ذلك من اثمن " ممتلكاته " في منفاه الجديد .

انها التجربة الصعبة ٠١

تلعب التجربة دورا هاما واساسيا في اضفاء " النكهة" الخاصة والمميزة لاى نشاط ابداعي. بل هي اساس الصدق والاقناع الفني والثقافي .

هذه التجربة الفنية التي عاشها الفلسطيني دفعته الى التأثر والتأثير والى صياغة معان جديدة للوطن . فما هو الوطن ؟.

معادلة الوطن

يحوى كل اثر ادبي معنى من معاني الوطن او اكثر، بتفاوت نسبي في مدى النجاح الفني ، ومدى تطور التقنية الفنية فيه . ولعل اكثر من جاب العالم الواسع عارضا معاني الوطن، وشاهرا رايته، شهيد الادب الفلسطيني غسان كنفاني ، الذى نبه بحسه الثورى ضرورة العمل لاستعادته وفق منظور ثورى تقدمي، حيث يظهر ذلك في اثارة الادبية جميعها .

أما الكاتب المبدع اميل حبيبي، فقد استلهم الوطن في ادق تفاصيله، حتى اليومية منها ، واضفى عليها من روحه المبدعة، مما جعل الوطن، على يديه، يتحول الى معنى اخر في الذهن الانساني ، معنى جميل .

يحدد محمود شقير " الوطن" بقوله : "انظر الى هذه الساحات والبيوت ،هل تراها؟ ... وانظر الى تلك السهول والجبال والاشجار، هل تراها ؟ ... هذا هو الوطن (الولد الفلسطيني، ص ٣٩)٠ اما سميح القاسم ، فانه يعرف الوطن تعريفا اخر شاملا بقوله : " ... الوطن هو انت وانا ودنيا.. الوطن هو الانسان لا اكثر ولا اقل .. والانسان هو الشجرة وحفنة التراب والصخرة والعتبة والليلك والوضوح . انها الحقيقة، الحقيقة الابسط مما نتصور ." (الى الجحيم ايها الليلك ، ص ٩٩)٠

مجموعتان مشتركتان (٣)

اشترك في المجموعة الاولى ١٤ قاصا، وفي المجموعة الثانية ١٢ قاصا ،ورحت ابحث في المجموعتين عن كيفية تناول القاص المحلي لموضوعه " الارض" وكيف يتعامل معها ، و " يفهمها " ـ يشير الى دلالتها ، وقد حاولت ان اصب اهتمامي على هذا الجانب - رغم صعوبة (الالتقاط) وتعسفيه الفصل القسرى بين معاني الوطن الشاملة للارض والناس وكل ما يتعلق بهما من بعيد او قريب . فحتى " ام الروبابيكا " في رائعة اميل حبيبي " المتشائل" قامت بدورها في الحفاظ على اجزاء هامة من الوطن، حين كانت تشترى كل ما يباع من اثاث قديم ، وتحتفظ " بالخربشات التي تشد الانسان الى ماضيه ! فالماضي عند " الفلسطيني" غني بالاحداث والذكريات ، وهو جزء اصيل من " الوطن "٠١

يفصل بين تاريخ صدور المجموعتين المشتركتين اربع سنوات وعدة متغيرات اساسية

Digitized by Birzeit University Library

اثرت على الساحة الفلسطينية والعربية، ولا
جزء تمثل حقيقي لهذه المتغيرات سوى
النموج الفني ذاته الذى رافق اخراج القصة
القصيرة في المجموعة الثانية ...

اذا كانت المجموعة الاولى قد ترافقت
بسرعة التحضير والاختيار، وسطحية المعالجة
وسذاجة الطرح الفني، ومجمل القصورات
والعيوب التقنية الاخرى . فان المجموعة
الثانية قد تجاوزت هذه العيوب ولفظتها
لتصل الى عمق القضية، فنيا وسياسيا
ولتقترب من الواقعية في الطرح والارتقاء في
الصياغة والتعبير، فحققت مستوى متقدما من
النضج والاستقلال .. والصدق، بعيدا عن
عيوب البدايات الساذجة .

وعلى الرغم من الاستطراد والتعميم غير
المحدد، فان التساؤل الذى طرحه الناقد
محمد البطراوى في تقديمه للمجموعة الاولى
لم يجد له اجابات شافية .. " فهل تجسد
الأعمال الادبية وخصوصا القصة القصيرة منها،
الواقع الاجتماعي بقاعدته المادية في ظل
الاحتلال ؟ وهل استطاع الاديب الحالي ان
يمارس دوره من خلال قدرته على انارة وعي
جماهير القراء التي تشكل جزءا فاعلا من قوى
الحركة الثورية ؟ " ـ المقدمة ـ .

يجد هذا التساؤل النقدى الهام اجابات
له في مجمل الاعمال الادبية المنشورة في
الصحف والمجلات الادبية والمجموعات
القصصية الخاصة بكل كاتب على حدة، مما
يحتاج الى دراسة وافية، تأخذ حاجتها من
الزمن الكافي (٤).

xxxxx

" المضمون" في العمل الادبي، جماع
موضوعات مختلفة تشكل رؤيا و " زبدة"
العمل وهو (المضمون) اعم واشمل من الموضوع
، الذى هو جزئي ، ولكنه اساسي ، وما اشد
الخلط بينهما ٠١.

والكاتب المحلي، يسعى جادا لتسخير
" الارض" مضمونا، فيتوه، احيانا كثيرة،
بسبب التداعي ،ويخرج الى حافة" الموضوع"
ان ذلك ناتج في الدرجة الاولى عن التسرع
وعدم التمكن من الاداة الفنية تمكنا اصيلا،
وعدم القدرة على التعبير عن التجربة .

هذا ما يظهر في " البدايات" التي
تمثلها المجموعة المشتركة الاولى، ولكن هذا
الضعف يتضاءل بصورةجد ملحوظة في الاعمال
اللاحقة، بما فيها المجموعة المشتركة الثانية.

الارض ..... الموضـــوع (٥)

==========

في قصة " فتاة واسمها فلسطين " ص ٢٩،
يرسم جمال بنورة معاناة شاب فلسطيني
واغترابه في عمان وفي ذاته وتفاعله السلبي
مع من حوله من الناس . ان علاقاته الاجتماعية
فاترة، بل معدومة، لا نكهة لها كتلك التي
كانت له في قريته "، ... في قريته لم يكن
يحس بمثل هذه الوحدة القاسية، الناس هناك
اما اصحاب او اقارب هناك شيء يوحد بينهم
... والمشكلة هناك مشكلة القرية كلها .
الجميع يشترك في حلها ..." ص ٣١ .

ان العلاقات الاجتماعية في الوطن متميزه
لانها قائمة على قاعدة الارض التي تعني اشياء
كثيرة، لا يعادلها اى شيء خارج حدودها
المادية والمعنوية . وبالتالي، فالعيش خارج
حدودها قتل للحياة الجوانية المستقرة
للانسان وتقطيع مؤلم للانسجام والتوافق وهو
المدخل للاغتراب الاجتماعي .

أما زكي العيلة، فانه يتطرق الى حنين
اللاجيء الفلسطيني الى ارضه ـ وهنا احد
الابعاد الاساسية لمفهوم الارض عند

Digitized by Birzeit University Library

الفلسطيني ـ فحتى الزيارة ، مجرد الزيارة ، ممنوعة عليه ، بل يهان حين اقدامه على ذلك .. ويعود خائبا .." كنت اتمنى اجيب غصن لوز من حاكورة ام اسماعيل " ص ٦٢ ، ولكن " لا شجر بل ظل " ـ كما يقول ابو غسان نفسه ! فظل الشجرة منفي عنها ، ما دامت الامور على ما هي عليه .

ويطرح زياد حواري ، الذى اظهر اهتماما كبيرا بالقضية الاجتماعية البحتة في قصته الطويلة " بنت من البنات " ، يطرح مشكلة الهجرة والابتعاد عن الارض ، التي انتشرت عقب عدوان ١٩٦٧ ، حيث يلاحق شعور النفي والاغتراب والغربة المهاجر باستمرار ولا يستطيع منه فكاكـا .

ان جميع المغريات المتوفرة خارج الارض لا تعادل شيئا قليلا منها ، فالقليل هناك في الارض كثير . اما الكثير هنا ، بعيدا عن الارض ، فسراب خادع ووهم . " الارض هي الشبع الدائم . هي الخالدة ، وكل ماعداها وهم و ... سراب . ص ٧٧ " .

وفي قصة " البئر الشرقي " يتحدث عبدالله تايه عن السبيل الذى يقود الى العودة للبئر الشرقية في الارض . ويبين صاحب الارض الذى يحرص عليها لانها مصدر رزقه وحياته وذكرياته مع ابنه الذى ود لو يبل ظمأه من البئر الشرقية الموجودة فيها ولم يتمكن وسافر الى السعودية ... حتى يعلم اباه انه في جنوب لبنان على الحدود كي يقترب من البئر اكثر . انه يرفض باصرار التنازل عن ارضه لانه معادل حياته ووجوده .

ويبرز " الحرمان " كمضمون عام لقصة علي خليل لبد " عناقيد عنب " . حيث يسخر موضوع الفقر الذى يعجز الفقير معه عن شراء ما تتوق اليه نفسه . والفتاة الفقيرة تعجز عن شراء عنقود عنب تتلذذ باكله ووالدها ، بدوره ، لا يستطيع احضار هذه العناقيد لها حيث يعمل في مزرعة للعنب يخضع قبل رجوعه الى البيت للتفتيش !.

تتناول القصة مضمونا هاما ، ولكنها تفتقر للتكثيف والتأثير .

وفي قصة " الشيخ كافر " المهداة الى الارض في عيدها ، لا يوجد علاقة للاهداء بموضوعات القصة ولا مضمونها النهائي ، كما انها لا تنجح في رسم مسار التحول لدى شخصية الشيخ " البطل " بشكل مقنع " فسقطت في التسطيح وسذاجة الطرح رغما عن عنصر التشويق الذى لم يشفع لها . في حين نجح الكاتب نفسه ، محمد كمال جبر ، في قصة " لا تتركوا صبحياتكم " ص ١٦٧ ، في حديثه عن هجرة القرية ـ رمز الوطن ، والعطاء والاصالة والحب الاول ، وتصوير اغتراب البطل حيث يكمن الحل في العودة الى اصله ، الى وطنه الذى اعد لاداء دوره فيه ، فلا بد من العودة الى صبحية ـ رمز الوطن .

وفي سبيل الوصول الى الشخصية الجديدة ، المتحولة ، البطل ، يذكر الكاتب عدة مراحل لهذا التغير حتى تتأزم الشخصية وتتصاعد حدة الموقف التي تنتهي بوقاة الشخصية المركزية فور البدء في التنفيذ على يدى سائق " تلك الشاحنة القادمة من عمان " ص ١٧٠ ، فتغيبة المدينة ـ المنفى بوساطة " شاحنة " قادمة من عمان ، رمز البرجوازية العربية التي تعيق العودة الحقيقية الى الوطن !

الارض ... المضمـــون (٦)

==========

في المجموعة الثانية يظهر التمثل الحقيقي لدلالة " الارض " كواقع ورمز ، كما

Digitized by Birzeit University Library

يتخ البعد الحقيقي المتمثل في الاتصال
الحميم بها والدفاع عنها ... والتنبؤ بما
يحل بها من اثار مدمرة تصيب الانسان
والحيوان والنبات " اكرم هنية ـ القرار .
عادل الاسطة : ـالبحث عن المدينـــة .
وغيرهـــا ...) .

يقول جمال بنورة في قصة " الحصار" ص ٢٣
"... لم يبق له شيء في هذه الحياة، ليس
هناك مايغطه سوى المحافظة على هذه الارض
وهذا ما يجعله يتمسك بالحياة، انه لا يريد ان
يغادرها قبل ان يسلم الارض لابنائه ليستقر في
ارضها مطمئنا .." (قصة الحصار) .

فالارض عند " ابو محمد " ـ بطل القصة ـ
السبب الوحيد الذى يدفعه الى التشبث
بالحياة فيخطط لكتابة " وصيته " ويقوم
بتنفيذ جزء منها . وصيته ان يدفن في الارض
ليحميه وتحتضنه ، وحتى يستحق هذه
التضحية فانه يقوم بحمايتها واحتضانها .
وغير ذلك فلا شيء يدعوه للبقاء او يغريه
بالعيش فترة اطول ، " .. فقد كان يحس انه
انانى اكثر مما ينبغي عاش حياته كاملة "ص٣٣.
والارض عنده رأس المال الذى لا يتخلى
عنه مهما يقل الثمن المقابل : " لقد دفعوا له
فيها ثمنا خياليا .. وهل هناك نقود توازى
ثمن الارض ؟ ان الارض اثمن من جميع نقود
العالم .. ما اسخفهم .. ثم ما حاجته الى
النقود ؟ لقد عاش حياته كلها فقيرا لا يملك
سوى ما تنتجه هذه الارض، وبارضه كـــان
يحيـــا ...".

الارض هي الوطن ، هنا، وهي المقر
الاخير بعدانتهاء حياة الانسان ، وهي
الوحيدة التي يحن اليها ، ولن يرتاح جسده،
بعد موته وقبله ، الا اذا اسجى فيها . ولكن
هذه المعاني كلها لا تستغنى عن الانسان"
ولكن الارض ماذا تسوى بدون الانسان " ص ٣٤
اذ لا بد من عودة ابنائه حتى تكتمل
المعادلـــة .

واذا كان لا بد من المقاطلة بين الارض
ورؤية الابناء البعيدين وعودتهم ، فانها
تكون الفائزة، لانها ستضم عظام الاب بعد
موته، وحين يعود الابناء سيجدون هذه
العظام راقدة الى جانب عظام اجدادهم .

وتذهب التجربة " بابي محمد) الى
الحكمة العملية ،" ... الارض تطعمك اذا
خدمتها اما اذا بخلت عليها ، فسوف تبخل
عليك " ص ٤٠ .

التجربـــة الفلسطينيـــة

ان التعامل مع الاشياء في الحياة
والتعاطي بها ، يتولد نتيجة تراكم التجارب
السابقة للانسان ذاته، او نتيجة تراكم الفعل
الانساني مع الزمن، حيث تكتسب الاشياء
مدلولاتها الحضارية الخاصة، ولكن العملية
الابداعية تسخر هذه الاشياء لخدمة تجربتها
الخاصـة، المميزة .

ولنفترض الان اننا جربنا التجربة التالية :

طفلان في سن الرابعة عشرة، او سن
التمييز، احدهما لاجئ فلسطيني والاخر
سوفييتي او من اى بلاد اخرى، وضعا في غرفة
واحدة وجو واحد، وكتب امامهما على الحائط
كلمة " جسر " ومن ثم طلب منهما ان يكتبا ما
توحي لهما هذه الكلمة؟ (التداعي) ، وبعد
المقارنة، سنجد ان " الفلسطيني" سكيتب :
" العودة ، الدموع ، التفتيش، الاهانة، السفر
... الخ " اما زميله الاخر فسيكتب : "
"النزهة، الفرح، الاستمتاع، الكاميرا، الصور
التذكارية، الزهور ، الماء الصافي .. الخ .
كيف ؟ .

ان فتح النافذة ، في التجربة الانسانية
الطبيعية، تعني استقبال اشعة الشمس التي

Digitized by Birzeit University Library

تغازلها هبات عليلة من النسيم الطرى، حيث تدب الحياة والتفاؤل في الطرقات النظيفة ويبدأ الناس باستقبال يوم جديد بنوع من الفرح الذى يعانق شغاف القلب فيدغدغه وينعشه ، ويبث في الانسان الحيوية والامل .

والموقف ذاته (فتح النافذة) عند احسان عبد القدوس او يوسف السباعي او محمد عبد الحليم عبدالله ... وغيرهم ، يعني ازاحة الستارة المخملية والتمطي والتثاؤب ... والنظر الى الحبيب المنتظر هذا الفعل .. الخ .

ولكن ٠١

عند جمال بنورة : " ... قال الرجل بعصبية وهو يتجه نحوالنافذة الخشبية : اريد مرة ان ارى طلوع الشمس ... " ولكن " الحقيقة" تصدمه من جديد بعد ان انتصر لقرار " فتح النافذة" .. " كانت خيوط الفجر ترتسم في الافق، ناشرة ظلالا داكنة تلف الكون من حوله، وجندى الحراسة بموقفه في قمة التلة المواجهة لمنزله، حيث يرابط باستمرار لمراقبة تنفيذ امر حظر التجول " ص ٣١ .

بيـن النبـوءة ... والواقـع

ان اجساما لزجة، سوداء ،غريبة، ستخرج من باطن الارض لتستقر على سطحها. هذا ملخص " نبوءة" ذلك العراف النابلسي التي انتشرت سرعة فائقة في كل مكان، ودب الخوف والرعب في الناس" سرى ذعر حقيقي بين السكن، واخذ كل شيء يتغير في الضفة الغربيـــة " ص١٠.

ونتيجة هذا الرعب الذى ينذر بالخطر والترقب، اضطرت السلطة الى الادلاء بدلوها المخدر، حيث اكدت نبوءة العراف النابلسي، ولكنها لم تحترم رأيه المخدر من خطر الاجسام (المستوطنات..) ، " ... واضافت المجموعة الاسرائيلية تقول : ان هذه السوائل ستساعد في اخصاب التربة، واضافوا : ان نبوءة العراف عن قرب حلول يوم يحدث في امتداد شامل لهذه المواد فوق كل الاراضي لا يجانب توقعاتهم العلمية كثيرا ، وان كانوا قد اتهموه بالمبالغة والكذب في تصوير اثر هذه الامتدادات على الحياة السكانية والزراعية والحيوانية " . ص١١٠

يدرك الناس في المناطق المحتلة، ان المستوطنات الاسرائيلية، تبتلع اراضيهم وتجثم على صدورهم، وهي بمثابة "قبور جميلة" لقبرهم انفسهم ، لذلك يرهبونها، ولكن كيف يتم اتقاء هذا الخطر الداهم؟ :

" ... كان الجميع يخرج من البيوت .. في الايادى كانت الفؤوس والعصى والحجارة وفي العيون نظرة ترقب وثقة .. على مفارق الطرق ، وعلى مداخل القرى والمدن تجمعت الكتل البشرية، ثم توزعت في مجموعات صغيرة انطلقت نحو الحقول والسهول والجبال"ص٢١

ان ظاهرة " العمل التطوعي" بالكيفية التي افرزتها التجربة الفلسطينية وبالخط الذى ترسخه اللجنة العليا للعمل التطوعي في الضفة الغربة وقطاع غزة ،لهي ظاهرة نضالية تستحق كل الاجلال والتقدير . ويجب بالتالي ان تجد هذه الظاهرة بعدها الحقيقي في الادب القصصي الفلسطيني الذى يجب ان يستوعبها ويرسم افاق تطورها في نظرة ثورية تقدمية استشرافية .

وهذه مهمة عاجلة، لا يبل ظمأها بعد النظر لدى القاص المجدد ، أكرم هنية وحده، " الاستيطان ،وضياع الارض، يتحدث عنهما بشكل مختلف ، عادل الاسطة، في قصته " " البحث عن المدينة". فهو يتحدث عن عمليات التفجير ونسف البيوت واعداد الارض

Digitized by Birzeit University Library

الكتاب

الا المزيد من المستوطنات . ويذكر في ذلك
ه حقيقية ، . ... القى نظرة على سطح
جبل الذي ترقد عليه قريتنا عزموط ودير
طب .. " في نابلس .

وبعد توالي الانفجارات واصواتها المرعبة
يقول : " ... لقد نسفوا الجبل . لقد
نيا العنب وغيروا لون الارض، كانت خضراء
وهي الان جرداء .. " ، "... انهم يقتلون
تربتها كلها " ص ٩٠ .

فالكاتب هنا يتطرق الى عمليات مصادرة
الراضي المستمرة، حيث تقتلع الاشجار
المثمرة وتداس النباتات وتلوث التربة ويقضي
على خصوبتها ، ليقام مكان هذه " الجنائن"
برج " جميلة" تستوعب القادمين الجدد
عمليات دعائية واعلامية نشطة (منها
الدعاية الملصقة على غلاف علبة الكبريت عن
المكر في ستوطنة الخان الاحمر بالقدس ..)
لقد تركزت الدعاية الصهيونية ضد العرب
في الغرب الامبريالي حول مقولة، " ان العرب
بدو الصحراء وليسوا ابناءها ،اى انهم هم
الذين يخلقون الصحراء ويفسحون المجال
للتصحر على حساب الاراضي الزراعية ، وليس
كما هو معروف عنهم منذ قديم الزمان " ابناء
الصحراء ".

فمن ،حقيقة، يقوم بالقضاء على الاراضي
الزراعية؟ ومن، بالمقابل، الذي يتشبث بهذه
الارض ويحميها بكل امكانياته ؟.

ان هذه الممارسات ضد الارض والانسان ،
على اختلاف الوانها ،تجمع الناس جميعا في
موقف واحد، لان اجراءات الاقتلاع والظلم لا
تستثني احدا وحتى المخدوعين منهم بالقشور
الخارجية البراقة "لزمن الاحتلال "واجراءاته ١١
فان الدور لن يتأخر عنهم كثيرا وان كان
لبعض الشيء ، فهنا تقوى دواعي الوحدة
الوطنية بين جميع فئات الشعب وطبقاته
(المختار ص ٩٠) و .." ام محمود بائعة
التين وقفت ايضا في وجه الغزاة، كم كانت
تقول ان مجيئهم رحمة لكثيرين وان الناس في
ظل حكمهم غيروا نمط حياتهم ، ولكنها اليوم
تدرك انهم انما سمنوا الناس ليأخذوهم الى
المسلخ. ابصرت حقلها ينقسم الى قسمين
ابصرت الشجرات اللاتي انتظرت عطاءهن
لتسد رمقها قد اقتلعن ". بل وجدت نفسها
لاول مرة في المعتقل لانها دافعت عن ارضها
وقذفت الحجارة على الغزاة .

البطل في هذه القصة(البحث عن
المدينة)واع لدوره الحقيقي ولحقيقة التاريخ
فهو يربط بين الاحداث العدوانية كافة،
ابتداءا من دير ياسين وكفر قاسم الى لينا
والكرد وحواس وشهداء يوم الارض .. لذلك
يطلق شتيمته التي تنبئ بتحول ثورى ايجابي
لشخصيته فهو الذى حاول الابتعاد عن
السياسة في تدريسه للطلاب (ص ٩٨) .

ويسوق الكاتب مجموعة من المبررات
المنطقية (الاحداث) التي توضح خط مسار
هذه الشخصية المركزية في القصة، ابتداء من
فصله من العمل في التدريس .. الى مجموعة
التساؤلات التي يفجرهامنظر المستوطنة
الجديدة وهي تغطي قريته الاصلية (ص ٩٢)
فيخرج من هذا التناقض ليحسم الموقف . ما
الحل ؟ لم يعد يرى مدينته المحجوبة
بالبيوت الاستيطانية الجديدة فلا بد من
الخروج للبحث عنها . وهكذا فعل .
فهل ساعده في مسعاه هذا احد من اهل
القرية او المدينة ؟ " قليلون ... وهؤلاء
حينما قالواللناس انه ذهب يبحث عن المدينة
، شهر بهم وضحك الناس من كلامهم ١١ (ص٩٣)

هل هي العودة الى طرح "الحل الفردى"
ـ الخلاص الفردى: ـالمحكوم بالفشل مسبقا

Digitized by Birzeit University Library

ودائما، بشكل انتقادي ؟ كما طرح غسان كنفاني مسألة الخلاص الفردي هذا في قصته " رجال في الشمس " ؟ .

وفي قصة " البوصلة " ص ٩٤، يعالج عادل الاسطة احد ارقام معادلة الوطن الهامة ـ الناس ـ وفق منظور طبقي واضح . ويتطرق الى تظاهرة المخيم منذ العام ١٩٤٨ وتجديد التظاهرة العام ١٩٦٧، وظاهرة الهجرة الجديدة وترك الارض والرحيل عنها " نبقى هنا ـ قال الابن لامه ـ انت كفرت بالخيمة فهل تعودين اليها ؟ هؤلاء الذين يغادرون جبنـاء ".

الخيـر عنـد الفلسطينـي

يتناول فضل الريماوي في قصته (النجم الاحمر) ص ٢٨ هذا الرمز " النجم الاحمر " ويبني قصته عليه بشكل دلالي واضح . اما العراف، الذي يدلي بنبوءته حول ظهور هذا النجم، فانه يلخص مفهوم الخير والطمأنينة، منطلقا في ذلك من فهمه لنفسية الانسان الفلسطيني وتجربته وطموحه " ٧" .

فالنجم خير وبركة، ورمز العطاء اذ " .. سيهطل مطر غزير هذا العام يخصب الزرع ويفجر ينابيع الارض .." ما يهمنا من هذا الاقتطاع المجتزأ من مكانه في نصه الاصلي الدلالة التي تلخص حرص الانسان الفلسطيني على توفر هذه الامور (المطر واخصاب الزرع وينابيع الارض ...).

وفي سياق القصة، يتضح جليا ان طبقة بعينها هي التي تهتم بالدفاع عن الارض وتقوم باصلاحها في حين تحاول الطبقة البرجوازية تقطيع هذا التواصل الحميم مع الارض واضعافه . وهنا يتناول القاص قضية المجتمع والناس والصراع الطبقي، حيث تحول انظار الطبقة الكادحة الى الخطر الخارجي، كخطة مرسومة، لتفوز بالتالي طبقة الحكام والبرجوازية ولكن الصراع مستمر وهو في كل موقف "يتفجر من جديد" ص ١٣٢، بين ثقافتين كاملتين بكامل مكوناتهما .

الخيمـة ليسـت بديـلا

يعتبر الفلسطيني الخيمة والمخيم محطة انتظار في طريق العودة الى الارض والوطن وهو اذ يرفض الحل السياسي باعتباره قضية انسانية " قضية لاجئين "، فانه يرفض تذويب المخيم ايضا وازالته من الذاكرة السياسية العالمية، لذلك قاوم الفلسطينيون خطة الوزير الاسرائيلي، بن بورات، لتوطين اللاجئين الفلسطينيين .

في قصة " الخيمة" ص ١٤٧، يتناول محمد ايوب موضوع اللاجئ الفلسطيني الذي فقد ارضه واصبح لاجئا، وذلك بعيد الترحيل القسري . اذ ينظر بطل القصة الى قطعة الارض الرملية التي ستتحول بعد قليل الى "مزرعة" من الخيام ٠١.

ان السبب الاساسي الذي يقنع هذا العدد الهائل "بالقبول" بهذا الوضع الصعب يكمن في " فهمهم" لطبيعة الموقف وليس المكان . انهم لا يتنازلون بسهولة عن ارضهم وضرورة العودة اليها، بل ان ذلك يلاحقهم في اوقاتهم المختلفة باستمرار .

بعد ان سمع اسمه ينادى من موزع الخيام هم بالاحتجاج والمواجهة " .. ملعون .. لكنه ابتلع كلماته ولم يكمل ... سيعتر الاولاد ولو بخيمة جرس قبل ان يعود الى الارض " ص ١٥٠.

مصـادرة الاراضـي

تشكل سياسة مصادرة اراضي الفلسطينيين والاستيلاء عليها بالقوة او التحايل او اية حجج اخرى (اغراض امنية، اراضي تطوير، مناطق سياحية .. الخ)، قضية مصيرية

Digitized by Birzeit University Library

بالنسبة للمالكين الاصليين، وتشهد هذه الحالة وتطبيقاتها العملية، صراعا غير متكافئ، عادة ما يلجأ فيه الفلسطينيون الى المحاكم الاسرائيلية ذاتها، تلك المحاكم التي لا تكون منصفة في كثير من احكامها لاسباب عدة، منها : الضغوطات التي تتعرض لها من قبل السلطات العليا، او بسبب " الاحتياجات القانونية" التي تكون الشركة الاسرائيلية وساسرتها قد احتاطوا لها .

وعندما تبدأ الاعيب السماسرة والشركات الاسرائيلية بالتكشف، فانهم لا يتورعون عن ان القانون بايديهم، كما حدث مع اهالي قرية المبيدية (جنوب مدينة بيت لحم) حيث بدأ الجنود والسماسرة باطلاق الرصاص على ابناء الاهالي الذين ابرزوا وثائقهم التي اثبت ملكيتهم لاراضيهم، حيث استشهد في يومها الحادث المواطن علاطي عطية (٧٠ عاما) وجرح ستة اخرون .

ان قضية الارض تعادل الروح والحياة ــ اذا كانت عمليا ــ لدى الفلسطيني، فمن الطبيعي ان تأخذ اهتماما من الكاتب الفلسطيني، وان تجد لها انعكاسا في مضامينه وبنياته القصصية . وفي شخصيات قصصه ايضا .

فكيف كان ذلك ؟ وكيف تعامل القاص الفلسطيني مع هذه المسألة المصيرية ؟ .

النصوص المجتزأة من سياقها العام فيما يلي، توضح الامر بشكل جلي : " ...سأله المختار : ماذا حدث ؟ اجاب الشاب وهو يرتجف : الجرافات بدأت تشتغل في الاراضي المجاورة .. اهالي القرية تظاهروا ... المستوطنون اطلقوا النار وابراهيم اصيب . في اللحظات كانت مظاهرة ضخمة تتقدم نحو الحواجز التي اقامها الجنود ... شباب ، رجال، اطفال، رجال، نساء، شيوخ..." (القصة قصة ــ قصة وقت وشموس كثيرة) .

يشير القاص هنا الى مصادرة الاراضي بالقوة ، والى اشتراك الجنود والمستوطنين في هذه العملية الاستيلائية، وكذلك الى شمولية التحدي المقابل من قبل اهالي القرية فهو يعددهم حسب فئات اعمارهم، وحسب الجنس : " شباب ، فتيات ، اطفال ، رجال ، نساء ، شيوخ ". ومن ثم يشير الى سلطة المختار المتهاوية، حيث يعلمنا انه لا يدري شيئا مما يدور في قريته، وان الجيل الاخر هو المعني بما يدور ــ جيل الشباب الواعي الذي يعمل، "..اجاب الشاب وهو يركض.."

في حين يكتفي المختار بالتساؤل .

وعندما يستلم المختار ورقةتخبره بعزم السلطات على مصادرة الارض، " صاح محمود باستنكار : ولكن كلها كروم زيتون ومشمش ولوز وحقول قمح ..." (القصة نفسها) ، اذ يشير الكاتب هنا الى كون الاراضي التي تتم مصادرتها اراض مزروعة ويعتني اصحابها بها ، وليستاراضي بور وخراب ، ومرة اخرى تتضح العلاقة بين المختار ــ الرمز ومحمود الشاب ــ الرمز .

وعن الاسباب العديدة التي تستخدمها السلطات ذريعة للاستيلاء على الاراضي وعن عدم اهتمامها باصحاب هذه الاراضي، حيث تكتفي باشعارهم بذلكبشكل سريع وعابر بواسطة المختار الذى يستخدمونه لتنفيذ اغراضهم ، واذا ما عارضهم في شيء منها فانهم يقيلونه، كما حصل مع العديد منهم ، يقول اكرم هنية ايضا في القصة ذاتها : "..لم تستغرق المقابلة طويلا ، سلمه الضابط ورقة طويلة قال له ان فيها امرا باغلاق بعض اراضي القرية لاغراض امنيـــة ".

وعن الصراع الذى يدور داخل العامل الفلسطيني وهو يعمل في الاراضي الفلسطينية المصادرة، ينقل اكرم هنية الصورة التالية لرجل اضطر للعمل ليطعم اولاده "..هل يمكنني ان اقول لهم اني لا اريد العمل ؟!"

Digitized by Birzeit University Library

يقول بصوت مسموع وهو يتطلع نحو الخطوط البيضاء التي تحدد المساحات الواجب حفرها ... ولكنني بحاجة للعمل .. ان ٦ افواه تنتظر عودتي لتأكل هذا المساء ..." (اكرم هنية ـ قصة ظهيرة رجل حزين) .

ولا يخفي انحياز الكاتب هنا الى جانب العمال الذين يضطرون للعمل في الاراضي المصادرة نتيجة لحاجتهم المادية ، هؤلاء العمال الذين يعيشون الاغتراب ويظل ضميرهم واعيا ولكنهم يتمسكون بالبقاء ويتشبثون بارضهـــم .

ويتابع الكاتب رسم صورة العامل نفسه ، فيقول : "يمسك الفأس ـ يده ترتعش . اكان لا بد ان تقودني الظروف الى هنا ؟ ." (القصة نفسها) انه يدافع عن هذا العامل ويريدنا ان نتضامن معه ، لا ان نسخط عليه ، بل على ظروفه التي اجبرته على ما هو عليه .

ومرة اخرى يوضح اكرم هنية ان الجرافات الاستيطانية تقتلع الاشجار المثمرة لتبني مكانها بيوتا للوافدين الجدد ، ففي القصة ذاتها (ظهيرة رجل حزين) يقول " هناك رأى ابو كمال كل شيء بوضوح . كانت مساحة كبيرة من الارض في سفح جبل يطل على القرية محاطة بالاسلاك الشائكة ، وكان هناك عدد من الجنود يقفون في اماكن متناثرة واحدى الجرافات تعمل في الارض . تتقدم رويدا رويدا وتهوي بفكها الضخم على اشجار الزيتون تقتلعها ، وتلقي بها جانبا ، وكان هناك عدد من المدنيين الاسرائيليين يتابعون عمل الجرافات . كانوا يبنون مستوطنة جديدة"

هنا اربعة ابعاد لهذه اللوحة التشكيلية : مجموعة متناثرة من الجنود تحرس المكان لتضمن سير العمل ، ومجموعة من المدنيين الاسرائيليين يتابعون العمل ويحرصون عليه (هذا في جانب) وفي الجانب الاخر يقف ابو كمال بحزن ظاهر يراقب بألم وحسرة ما يجرى ، بينما الجرافات تهوى بفكها الضخم وتقتلع اشجار الزيتون ، فتنهمر الدموع من عيني الرجل ومن حبات الزيتون .

لقد اصبحت المدن والقرى الفلسطينية محاطة بالمستوطنات ، ولا تستطيع ان تسير في اي اتجاه دون ان ترى مستوطنة جديدة تبنى او قد بنيت " كانت السيارة تمضي ببطء وسط الضباب الكثيف ، وكانت تسلك طريقا تلو حديثا بين عدد من الضواحي الاستيطانية الجديدة التي بنيت حول القدس ويصلها برام الله من جهة الغرب " (قصة ظهيرة يوم رجل حزيـــن) .

ولان مرض الاستيطان ينتشر بسرعة منذ عشرين عاما ، فان الارض تمسي لصاحبها الاصلي ولكنها تصبح للمستوطنين . اكرم هنية نقل هذا الحال بجملة واحدة " .. وتوجد مزارع للعمل في ارضه فوجد ان المستوطنين صادروها " (قصة يوم قتل ابراهيم الاقرع) .

وتظل العلاقة غير المتكافئة قائمة بين اصحاب الاراضي والشركات الاسرائيلية الاستيطانية . في قصة " يوم قتل ابراهيم الاقرع " ـ وهو مواطن من قرية بديا قضاء نابلس قتل في ارضه وهو يحاول منع الجرافات الاسرائيلية من العمل فيها ـ يقول : "... آخر مرة التقينا (المحامي والكاتب ـ الراوي) تعاتبنا كالعادة ... وبعدها حدثني عن مشكلة اصحاب اراضي في احدى القرى قبل نابلس وحدثني باعجاب عن رجل عجوز من اصحاب الاراضي يزور مكتبه كل يوم تقريبا يسأله عما فعل ، ويبلغه بتحرك الشركات الاسرائيلية التي تريد مصادرة الاراضي " .

الارض تســـاوى الحيـــاة

انضم الكاتب المحلي الى جموع الشعب

Digitized by Birzeit University Library

القائلين بأن الارض تساوي الحياة ، والانسان بلا ارضه لا معنى لوجوده ولا قيمة له . واذا كان المثل الشعبي القائل " معك قرش تساوي قرش " يعبر عن اهمية المادة للانسان ويقيس قيمته بها ، فان الكاتب المحلي قد حول هذا القول الجائر الى قول ـ مثل ـ اخر " عندك ارض تستحق الحياة اما لا فلا ".

وفي هذا يقول القاص جمال بنورة : " وهو ايضا بدون ارضه لا يساوي شيئا .. لن يحس بوجوده خارج ارضه. ان وجوده يتجسد هنا، فوق هذه الارض الطيبة، ولايمكن ان يتحقق وجوده في مكان اخر .. ان قدره ان يعيش فوق هذه الارض مكافحا في سبيل الحفاظ عليها .. وليس له قدر آخر . " (جمال بنورة ـ مجموعة الشيء المفقود ـ قصة المقابلة ـ ص ٤٣).

ولا يكتفي الكاتب هنا بالعيش فوق الارض والدعوة الى ذلك: بل ينوه بضرورة الحفاظ عليها ـ لانها حياته، وهو بدونها لا يساوي شيئا . والارض بالنسبة للفلسطيني اذن تعني الماضي والحاضر والمستقبل وهي كل شيء ، " كان الموقف اصعب من ان يفهمه ابو محمود والقل من ان يتحمله . قال " انها قريتي ، قرى، قبور اهلي واجدادى يجب ان اعرف ماذا يحدث ، وخرج من وراء الشاهد واتجه بخطوات غاضبة نحو الجمع " " اكرم هنية ـ تلك القرية .. ذلك الصباح " ، فحتى الاموات لم يستطيعوا تحمل المصادرة واقتلاع الاشجار المثمرة .

والارض تعادل الجسد ـ كما اثبت ذلك المدافعون عن ارضهم : " ... وعدت افكر بابراهيم الاقرع ، ترى بماذا كان يشعر في تلك اللحظة بالذات عندما انطلق ليمنع الجرافات التي يحرسها الجنود من العمل في ارضه. لا بد انه شعر ان الجرافات وهي تطبق بفكها الوحشي على التراب انما تمزقه هو . لا بد انه شعر ان عمرا كاملا يتم شطبه . ان قصة حب طويلة بينه وبين ارضه يتم اغتيالها . ان مخزونا هائلا من الذكريات والتفاصيل الصغيرة والحميمة يتم تدميره . لا بد انه شعر انه يفقد مبرر وجودة وحياته، وربما لم يحمل حجرا او عصا في يده وهو يتقدم نحو الجرافات والجنود ، بل ذهب ليوقفهم بجسده فقط".

(اكرم هنية: يوم قتل ابراهيم الاقرع) . هذا ما اراد الكاتب ان يثبته : ان الارض تساوي الانسان ذاته، فدفاعه عنها دفاع عن ذاته .

الهجـــرة تعني الانتحـــار

النتيجة المنطقية المترتبة على كون الارض والدفاع عنها وحمايتها يساوي الحياة وتحقيق الذات والوجود، هي كون التخلي عن ذلك يعني الموت الاختياري ـ الانتحار .

لذلك حارب الكاتب المحلي ظاهرة الهجرة والسمسرة للسلطات الاسرائيلية وظاهرة ترك الارض دون زراعة، بل انه اشاد بجهود المتطوعين الذين يستصلحون الاراضي غير المستصلحة ويحمونها من غول الاستيطان . وقد اشار اكرم هنية الى ظاهرة الهجرة في قصته التي تتحدث عن الموت من اجل الارض، هذا التناقض الصارخ بين موقفي المهاجر والمدافع عن ارضه، فيقول : " ... وقرر شاب ان لا مستقبل له في هذه البلاد ، فأبلغ سائق السيارة المتوجهة الى القدس : انزلني عند القنصلية الامريكية . " ليذهب باحثا عن الخلاص الفردي المحكوم بالفشل دائما . وكما ان مصادرة الارض وبناء العمارات الشاهقة عليها تعني موت الارض بالنسبة لصاحبها ، فان اهمال الارض ايضا يعني موتها . واكرم هنية في القصة نفسها يقول في ذلك : " .. في ذلك الصباح مات حقل في احدى القرى بسبب اهماله ".

ان الصمود على الارض والحياة معها وفيها يعني الاحتفاظ بالكرامة والشعور بالسعادة

Digitized by Birzeit University Library

الحقيقية التي لا يعد لها سعادة في الدنيا كلها . وجمال بنورة ساق النصيحة التالية من صديق لصديقه عندما قرر السفر " قال له صديقه يومها : هذا ما يريدونه ..تفريغ الارض من اهلها ليسهل لهم الاستيطان والتملك .. اذا لم تجد سعادتك في وطنك ، فاين ستجدها ؟ ... لن تحس بكرامتك الا فيوطنك ". (جمال بنورة ـ الشيء المفقود ـ ص ٤١ ـ ٤٢) .

أما ذلك الذي يجبر على الرحيل فانه يريد ان تكتحل عيناه بالارض وما عليها " " السيارة تنهب الارض .. لوان هذا السائق يبطيء من سرعة السيارة قليلا ! لست متعجلا اريد ان تكتحل عيناى بمرأى الحقول ، وان انعش رئتي برائحة ازهار البرتقال" (محمد ايوب ـ الوحش ـ قصة الاختيار) .

حـب الارض والتغـزل بهـا

نتيجة لخصوصية الوضع الفلسطيني ، اصبحت الارض بمثابة الحبيبة والزوجة وكل شيء يقتضي الدفاع عنه واظهار خصوصية العلاقة بين الانسان وارضه . فالمقاتل يقاتل من اجل الارض والاهل (الوطن) ، يقول اكرم هنية : " ... ولكن الابن واصل حديثه لقد كان من اشجع الفرسان .. قاتل كما لم يقاتل احد .. اوصاني بان انقل لزوجته وابنه انه يحارب من اجلهم ومن اجل الارض لا من اجل الزناتي.... ومات ". (هنية ـ وقائع التغريبة ـ ص ٧٨) .

ولكن الذي يحب الارض ويعشقها ويموت من اجلها لانه تمثل معادلة الارض تساوى الحياة ، هم الفقراء ـ الشعب وليس القادة " ... قال له يا ابي : انا احب الارض والوطن اكثر مما يحبها الزناتي ، هذا اذا كان يحبها ، الا تلاحظ انه كلما اقترب يوم القتال تناقص عدد القادة من اقرباء الزناتي ولم يبق الا نحن ... الفقراء والغرباء " .

(هنية ـ وقائع التغريبة ـ ص ٧٨) .

وفي السجن الصغير ، تبدأ الذكريات تنهال على السجين ، ويزداد حنينه وحبه الى الاشياء جميعها ، ويبدأ بتذكر اقرب الاشياء الى نفسه : تلوح امام عينيه اطياف الزوجة المنتظرة والابن والاطفال والارض والعيون المستكينة ، يقفز الى النافذة .. تلوح على البعد اشجار وبيوت .. يهتف : تلك هي بلادى .." (هنية ـ هزيمة الشاطر حسن ـ ص ٨٩) فالبلاد التي يحبها السجين هي البيوت التي تعني المقيمين فيها ، والاشجار التي تتغذى من الارض ، وبناء على ذلك فان الوطن جميل في نفوس اهله وكتابه : " جميلا ومتألقا بدا دير اللطرون عن بعد " (هنية ـ قصة شمال شرق دير اللطرون) .

ويتابع الكاتب القصصي صياغته الادبية الجميلة المعبرة عن الحب الغامر للارض وما عليها ، فحتى لو انتزعت روحه فانها ستسكن ما تهوى "... الاشجار وقمم الجبال .." (هنية ـ قصة لماذا لم اذهب لمقابلة صديقتي) ، وفي الوقت نفسه ، فان الكاتب يعبر عن فرحته ونشوته بلقاء محبوبته ، فيرى هذه النشوة وتلك الفرحة كالحدائق التي تتفتح والعصافير التي ترفرف وامتداد السهول الخضراء على مدى النظر ، وعندما تبدأ التجاعيد تسكن وجه الانسان ، فان الكاتب يشبهها وكأنها قدت من صخور الجبل (هنية ـ وقائع التغريبة الثانية) وحول التشبيه نفسه وبعده النفسي والمعنوى لدى الكاتب ، يقول القاص محمد ايوب : " صحيح ان الزمن قد بدأ يحفر الاخاديد في وجهه كتلك التي يصنعها كل سنة حول ارضه لتسييجها وحمايتها من العاديات" (ايوب : حصة شجرة الزيتون ـ مجموعة الوحش) . ويظل الفلسطيني يرى

Digitized by Birzeit University Library

ارضه ويحس هواءها وهو بعيد عنها كأجمل ما يكون والطف ما هو كائن، " هبت نسمة منعشة .. ريح نجد .. صبا الوطن ." (هنية ــ وقائع التغريبة).

العلاقـــة مـع الارض

" كل شيء من اجل الوطن، والارض تعني للفلسطيني كل شيء " هذا ما اكدته قصص الكتاب الفلسطينيين بكيفيات مختلفة. فالمبعد او المهاجر يظل يحن للارض حنينا ايجابيا ويسعى للعودة، والمقيم يتشبث بكل ما تراب من ارضه حتى يموت، واذا مات فان دمه يروي ارضه العطشى .

في قصة اكرم هنية" وقائع التغريبة النابية للهلالي" جاء : " .. سأطلب منه ان يطيني فرسا وسيفا وغداء لانطلق ابحث عن وطني واهلي"، وايضا : " كرر الزناتي عروضه فأجابه الغريب وعيناه منجذبتان لطيور مسافرة ولكن اريد العودة لارضي ... ان ابحث عن اسمي ونفسي" (القصة ذاتها) فالارض هي الاسم والنفس ولا يتخلى الانسان عن اسمه ونفسه مهما كانت المغريات التي تعيق سبيله في البحث عنهمـــا .

تستمر العلاقة الخاصة بين الفلسطيني وارضه وتظل تنمو وتزداد كما تستمر الاجيال وتتعاقب وهي تستمع من الاجيال السابقة عن فضل الارض وأشجارها على الابناء فهي الام التي ربت ابناءها ونعتهم " لها عليك " "الزيتونة" يا ولدي مثل مالي عليك ورما اكثر ، تحتها نمت احلى فترات حياتك ومن على اغصانها تدلت ارجوحتك .. تحتها لعبت مع قدومك اليها ، وكانت اغصانها اول ما تداعبه .. ابوك ايضا ولد تحتها يا ولدي" (محمد ايوب ــ الوحش ــ قصة شجرة الزيتون) ،فالارض هنا تعني الامتداد الطبيعي للانسان ، وهي الماضي الذي يجب المحافظة عليه لانه المستقبل والحاضر، فلا يمكن التخلي عنه، وهي بمثابة الاب " ولد تحتها " والام " لها عليك مثل مالي وربما اكثر .." كما لها فضل كبير على الانسان .

واذا مات الانسان فانه يروى بدمه الشجر والارض " قتلوه .. قتلوه تحت الشجرة الله يقتلهم . بدمه روى الشجرة ." (محمد ايوب ــ الوحش: ــقصة خالد) وهو لذلك يرى في الزيتونة امه وفي الارض نفسه " .. وما ان يحين موعد صلاة الظهر حتى يتجه نحو زيتونته المحبوبة ليركن برأسه الى ساقها وكأنها امه .." (ايوب ــ الوحش ــ شجرة الزيتون). وهل بعد هذا يأتي قوم ليطلبوا شهادة اثبات ملكية ؟!" .. قال طابو قال . ثم تساءل : ولماذا الطابو وقبر جدى وجد جدى هناك على بعد امتار منكم وقبور بعض احفادى على بعد خطوات منكم .. هذه الزيتونة عمرها اكثر من مئة عام .. عرفت معظم افراد اسرتي ، اسألوها ". " ايوب ــ الوحش ــ شجرة الزيتـــون).

ان هذه العلاقة وتلك التربية التي يتربى عليها الابناء ، تدفعهم الى المضي الى الامام دائما ، باتجاه الحفاظ على الارض، كما تمدهم بشحنات من القوة والدينامية في العمل، فهم لا يشعرون انهم غرباء ، بل هم اصحاب هذه الارض، وان لم يعرفوها بالنظر، فهي كامنة في اعماق قلوبهم وذكرياتهم ، " .. هل تذكر الحكايات التي كنت ترويها عن الوطن البعيد ، عن كل شبر فيه .. كنت استعيد تلك الحكايات كل دقيقة ، لم اشعر للحظة انني اجوب تلك البلاد اول مرة، كنت اخطو فوق ارض اعرفها وتعرفني .. والجأ لاشخاص يعرفونني واعرفهم رغم اننا لم نلتق من قبل (هنية ــ وقائع التغريبة الثانية ــ).

Digitized by Birzeit University Library

أشكال من الدفاع عن الارض

تتخذ مسألة الدفاع عن الارض وحمايتها عدة اشكال كلها تصب في صالح الحفاظ عليها وحمايتها والتعلق بها . ومن هذه الاشكال التي عبر عنها كاتبنا المحلي :-

١) العمل في الارض :- فالعمل في الارض واستغلالها يزيد من العلاقة معها وينميها لان نقيض العمل يعني الهجرة وتسهيل عملية الاستيلاء والمصادرة . في قصة (وقت وشموس كثيرة) يقول اكرم هنية : " ... القى نظرة على الحقول الممتدة على جانبي الطريق ، كان عدد من النساء قد بدأ العمل .. اصطدمت عيناه بالمستوطنة الرابضة فوق التل والمحاطة بالسياج .. ثم عاد يحدث بالحقول الخضراء ." والعمل في الارض بالذات يعتبر احلى واحب عمل يرتاح له الفلسطيني ، لانه يثبت استمراريته وبقاءه على الرغم من محاولات الاقتلاع المستمرة ، وليس هذا فحسب ،بل لان العمل في الارض ينتج ذهبا ويربح اقتصاديا " ... لكن ابا حامد يأبى الا ان يعلو بعزمه وهمته فوق الكسل والرغبة في الخلود الى الدفء والراحة ، يخرج كل يوم متوجها الى حقله ليمارس احلى واحب عمل ترتاح له نفسه " (ايوب ـ الوحش ـ شجرة الزيتون) . ولان الارض تعني امتداد الانسان الفلسطيني فان المشاركة في العمل تكون جماعية تتخطى حواجز الاجيال الهشة " ... انتفض وصرخ : انضب يا مختار ، ثم تقدم نحو الشباب وانتزع من يد احدى الفتيات، فأسا ، شبته على كتفه ثم اتجه الى الحقول بخطوات سريعة وهو يهتف : " وراي يا شباب" (هنية ـ وقت وشموس كثيرة) .

٢) العمل التطوعي : الذي يعني ، اضافة الى مردوده الانتاجي ـ المادي ، تدريب الشباب وتنشئتهم على حب الارض والعمل فيها ، وهو ظاهرة اجتماعية ـ نضالية تستمر رغم انف المعارضين . اكرم هنية، اوضح واقع المعارضين والمح الى هويتهم السياسية فهذا هو المختار الذي باع الارض يصيح " احنا ناس عندنا شرف واخلاق لا نسمح للبنات والاولاد بالعمل معا " (قصة وقت وشموس كثيرة) وذلك عندما "حضرت مجموعة من الشباب والشابات من الجامعة للقيام بتنظيف الاراضي واستصلاحها ..." . وحول اهمية عمل اللجان التطوعية جاء في قصة " يوم قتل ابراهيم الاقرع " : " ... وخططت لجنة للقيام بعمل تعاوني لزرع اشتال في احد الجبال الجرداء ."

٣) ارضنا العطشانة ... نرويها بدمانا" : وأحد اشكال الدفاع عن الارض ما عبرت عن زميلة الكاتب " ندى" في قصة" وردتان للزميلة ندى" لاكرم هنية ، " .. وأضافت وأنا اشعل سيجارتين لنا ... " الشوارع تفتح ذراعيها ويجب ان ننطلق اليها " (ص ١٠١) ، الامرنفسه الذي اثبته ابراهيم الاقرع بدمه حين قتله الجنود وهو يمنع الجرافات من العمل في ارضه ، حيث يقارن اكرم هنية هذا المشهد بالمشهد الاخير من فيلم " الارض" ليوسف شاهين" حيث يسحب الجنود الخيالة محمد ابو سويلم لينتزعوه من ارضه وهو يتشبث بالقطن المزروع في ارضه، والخلفية تنطق باغنية جميلة تقول : أرضنا العطشانة ... نرويها بدمانا ...".

٤) الحنين والحرمان : فحين يشعرالانسان بالحنين ويسخره لتغيير الواقع ،يكون حنينا ايجابيا ـ ثوريا ، خصوصااذا بدأ يقارن واقعه بماضيه . محمد ايوب في قصة " خالد، " يجعل اللاجئة تبصق باشمئزاز بعد ما رأت القنوات القذرة في المخيم "... وتساءلت بينها وبين نفسها : وين حياتنا اليوم من حياتنا في الكرم والارض ؟"، اما جمال بنورة فانه يصف حالة شخصيته المركزية في قصة " المقابلة " ويجعله يتذكر اقوال جدته وصديقه التي تضع الحل للخروج من التناقض الذي يجد نفسه فيه

Digitized by Birzeit University Library

عندما يقارن ماضيه بواقعه ، " ... لم يعد يشعر بالراحة او الامن ... البيت الذى يسكنه ليس بيته يحس انه يملكه .. ماذا يمنعهم من ان يعيد اذا ارادوا ؟ والارض التي يملكها يشعر انها ليست له ،فقد تصادر ايضا .. لقد اصبح يشعر انه غريب في وطنه ، " ليس وطننا وانما نحن نحرره " هكذا قال له صديقه قبل ان يموت : " لم يحن وقت الراحة بعد ، ولكن سيحين وبيني وبينك وبين راحة بدنك " (بنورة ــ الشيء المفقود) .

انا غريب عسقلاني ، الذى وصف المخيم بانه اكثر من الارض، فيكتفي بان يحمل ركاب الياس يقبلون الارض من خلف شبابيك " ... الان دخلنا ارض المرج، بدت جثم على الصدور .. قبلنا السهل من خلف شبابيك الياس بخشوع ... آه يا ولدى لقد قال جدك : لا أجمل من ارض المرج .." استطلاني ــ الخروج عن الصمت ــ ص ٨٣) .

ان الامل : يعتبر التفاؤل بالمستقبل والامل الساكن في القلوب الواثق بالغد ، واحدا من الملامح الهامة التي لا تسلم بقسوة الواقع ولا تستسلم له، وكاتبنا المحلي وعي هذا الامر جيدا وعبر عنه في قصته ."... قال مطاطئا راسه : الارض ..؟ وماذا بقي لنا من الارض ؟ انهم يستولون عليها شبرا بعد شبر .. قال (صديقه) باصرار : ستبقى الارض لنا ــ رغم كل شيء ــ اذا لم نتخل عنها " (بنورة ــ الشيء المفقود ــ ص ٤٢) . فالامل يشحذ الهمم وينطلق من ارضية واعية ــ صلبة (اذا لم نتخل عنها ..)، لذلك نجد الفلسطيني يحلم بالعودة ويخطط لها ، كما نجده يرسم خارطة لبلاده المستقبلية " .. في السوق كان عواد يحدث زملاءه في محل للحدادة عن ابيه وعن بلادهم البعيدة وكان يحدثهم عن ارض رحبة لا تنبت قيودا وحواجز وخوفا وعسسا ." (هنية ــ وقائع التغريبة) والامل نفسه بتغير الواقع هو الذى يدفع اهالي القرى المدمرة والممسوحة الى زيارة قراهم وارضهم بين حين وآخر ، " ... وهم يأتون من وقت لاخر ليجلسوا فوق ارضهم وليقطفوا بعض الاعشاب البرية وثمارها تبقى من الاشجار " . (هنية ــ شمال شرق دير اللطرون) .

ومن بين اشكال الدفاع الاخرى عن الارض ــ كما مر سابقا ــ اللجوء الى المحاكم ولجان الاعتراض ، عديمة الجدوى في كثيرمن القضايا

وخلاصة القول ،ان كاتبنا الحلي ، قد صاغ مقولة متفائلة بالمستقبل، وقد عبر عنها باكثر من طريقة واحدة، وقد لخصها القاص جمال بنورة بقوله السابق : " ستبقى الارض لنا ــ رغم كل شيء ــ اذا لم نتخل عنها ". كما ان كاتبنا المحلي لم يبخل بالعمل من اجل التغلب على الواقع الصعب والانتصار عليه، فلم يدخر وسعا امكنة في طرح القضايا الاساسية التي رأى فيها ، مع شعبه، تحقيقا لانتصار الانسان وتفوقا له على الطبيعة العدائية .

" ان الحياة هي الفعل" وهي العمل المنتج ــ كما تنادى الواقعية الاشتراكية ــ ولكن انعكاس ذلك بشكل خلاق ومبدع في أدبنا المحلي ــ والقصة بشكل خاص ــ جاء بشكل نسبي ومتفاوت . وعلى الرغم من ذلك فاننا متفائلون .

الهوامش :

١) راجع : د . برنارد سابيلا ، مقدمة في علم الاجتماع ، جمعية الدراسات العربية القدس ١٩٨٣ ، ص ٣٩ وما بعدها ، وص ٢١٣ وما بعدها .

٢) الاشارة هنا تهتم بالتنويه والدعوة الى ضرورة دراسة الادب الفلسطيني .

Digitized by Birzeit University Library

٣) صدرت المجموعة القصصية الاولى عن منشورات آفاق تحت عنوان " ٢٧ قصة قصيرة " في عام ١٩٧٧. اما المجموعة القصصية الثانية، فقد صدرت عن دائرة الكتاب في الملتقى الفكرى العربي بالقدس، عام ١٩٨١

٤) خصص " اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة " ندوة لمناقشة هذا الموضوع يوم ١ / آذار / ١٩٨٥م.

٥) هذا الجزء مخصص للاستنتاج من المجموعة المشتركة الاولى .

٦) هذا الجزء مخصص للاستنتاج من المجموعة المشتركة الثانية .

٧) يشترك كل من فضل الريماوى واكرم هنية في رمز " العراف " الذى لم يعد رمزا مثاليا عاجزا . فهو مصدر النبوءة والاستشراف والروءيا .

المـــــراجـــع :

١) محمود شقير ، الولد الفلسطيني ، القدس ، منشورات صلاح الدين ، ١٩٧٩.

٢) سميح القاسم ، الى الجحيم ايها الليلك ،القدس ، منشورات صلاح الدين، ١٩٧٦.

٣) اميل حبيبي ، الوقائع الغريبة فياختفاء سعيد ابي النحس المتشائل ، القدس: منشورات صلاح الدين .

٤) اكرم هنية ،طقوس ليوم اخر ، قبرص ، منشورات بيسان برس، ١٩٨٦.

٥) جمال بنورة، الشيء المفقود ،القدس ،منشورات الرواد ، نيسان ١٩٨٢.

٦) محمد ايوب ، الوحش، القدس ، منشورات صلاح الدين ، ١٩٨٠.

٧) غريب عسقلاني ، الخروج من الصمت ، القدس، منشورات البيادر ، ايار ١٩٧٩.

Digitized by Birzeit University Library

أدب الشعب
مرآة تعكس واقع الشعب

بقلم : جميل السلحوت

" ان من يتصور التراث الثقافي مجموعة تصورات وافكار وتأملات ذاتية منقطعة عن واقعها الاجتماعي والتاريخي ، منفصمة بعضها عن بعض كذلك، لا يمكنه ان يقف من هذا التراث غير موقفه من العاديات "المتحفية" الهامدة ، او من " المومياءات " الجافة لا حركة فيها ولا حياة. ويبدو من البدهي انه يتعذر كذلك على صاحب هذه النظرة ان ينطلق من موقفه حيال التراث من الحاضر الى الماضي ، او ان يجد العلاقة المنطقية بين هذا التراث وبين الواقع المعاصر ، ما دام هو لا يرى العلاقة حتى بين الظاهرات التراثية وبين واقعها الاجتماعي والتاريخي في الماضي نفسه . فأي شيء اذا فقدت هذه العلاقة ـ قادر ان يقيم جسر الصلة بين ماضي الثقافة القومية وحاضرها ؟ ويمثل ذلك من البداهة انه يتعذر عليه ايضا ان يقرر موقفه تقريرا منطقيا مبررا في قضية اخرى هامة كقضية اصالة التراث الثقافي لشعب ما او عدم اصالته . فان المعيار العقلاني في هذه القضية هو مدى التجاوب بين الظاهرات الثقافية في مجتمع معين وبين الظروف الاجتماعية والتاريخية لهذا المجتمع وطبيعة العلاقات الاجتماعية المرتبطة بهذه الظروف ، سواء كان ذلك التجاوب متوافقا كل التوافق او بعض التوافق ، مع تلك الظروف وهذه العلاقات ، ام كان تجاوبا سلبيا قائما على الرفض والتخطي ، وسواء جاء ذلك التجاوب بصورة انعكاس مباشر ام بصورة معقدة مركبة تصعب معها رؤيته بغير منظار منهجي خاص قادر على الرؤية النقدية التحليلية النفاذة " (١).

ان لكل فئة اجتماعية آدابها الخاصة بها التي تعبر بها عن واقعها وهمومها عن فرحها الروحيا ، عن الظرف الموضوعي الذى تعيشه في فترة زمنية محددة من تاريخها .

ويخطىء من يعتبر الادب الشعبي او الرسمي انعكاسا لواقع المجتمع ككل ، متناسيا الصراع الطبقي بين افراد المجتمع الواحد . هذا الصراع الذى وجد منذ ان وجدت الملكية

Digitized by Birzeit University Library

الفردية منذ غابر الازمان، فكيف يمكن ان تتطابق مفاهيم وهموم القوي والضعيف، الغني والفقير، الحاكم والمحكوم، المستغل ـ بكسر الغين ـ والمستغل ـ بفتح الغين ـ المالك والمملوك، العبد والحر ... الخ. ان هذا الاختلاف في التركيبة الاجتماعية لا بد وان يفرز ثقافة مختلفة بل اننا نجد تناقضا واضحا بين الثقافة البرجوازية والثقافة الشعبية التي تعبر عن مسحوقي الشعب .

ويخطئ من يقسم المجتمع طبقيا الى سكان المدن وسكان القرى والريف ـ الفلاحين ـ وسكان البادية ـ البدو ـ هذا التقسيم الذي يعطي فهما ساذجا وخطيرا في نفس الوقت حيث يعتبر ابناء الشعب الواحد " "عائلة كبيرة" متناسيا الفوارق الطبقية بين ابناء هذا الشعب .

صحيح ان رجالات الدولة الكبار والتجار قد يسكنون المدن، وفي نفس الوقت نجد اعدادا كبيرة من الفقراء يسكنون ازقة وحارات

بائسة في المدن ذاتها . ولكلا الفئتين من يشبهه في القرية او البادية . ومصالح الجميع متناقضة بتناقض الاختلاف المصلحي الشخصي لكل منهم .

" ان الفئات الاجتماعية بفعل علاقتها بأجهزة الدولة والايديولوجيا السائدة قد تظهر وحدة بذاتها رغم كونها تنتمي الى عدة طبقات، والاهم هو دورها السياسي فقد تظهر ذات استقلالية نسبية متصادمة مع الطبقات التي ينتمي افرادها اليها ." (٢) .

ان كون التراث الشعبي ملكا لعامة الناس لا يعني بالضرورة انه يتجاوب ويلقى القبول عند كل افراد المجتمع او فئاته . فلا يمكن ان يقول انسان يرفض الذل : " اللي بتجوز امي هو عمي" . ولا يمكن ان يقول : " اللي بيوكل من خبز السلطان بيضرب بسيفه " . لان هذه الامثال واشباهها كثيرة تتناقض ومصالحه بل نجد مصلحته في قوله " اللي بتجوز امي هو همي " . ومقابل المثل الثاني نجده يرى ان توفير حاجاته الضرورية امر يقع على عاتق الحاكم والا فليتخل عن الحكم فيقول : "اللي بيوكل حمير العرب بده يزازى في القرب".

ان اغفال التركيبة الاجتماعية والطبقية للادب الشعبي خطأ فاحش" وقد انصب الجمع والتدوين والتبويب لهذا التراث، على اساس هذه " النظرية الاحادية" وكأن صانع هذا التراث مجرد " قوة" غامضة لا ترتبط بقوى اجتماعية واقتصادية وسياسية متنازعة ومتصارعة " (٣) .

وقبل الخوض في هذا المجال بكثير من الامثلة لا بد من التطرق ايضا الى الاداب الرسمية المعروفة لقائلها والتي تنسب الى شخص معين فهي ايضا انعكاس واقعي للطبقة التي ينتمي اليها الاديب، فمثلا نقرأ عن العصر العباسي الاول وما مثله من تطور اقتصادي وعلمي ونقرأ مدائح شعراء البلاط للخلفاء التي تتغنى بامجادهم واصلاحاتهم وفي نفس الوقت نجد شاعرا " كأبي الشمقمق" يتغزل برغيف الخبز . ولا شك انه هو ايضا يعبر عن طبقة المسحوقين، طبقة الجياع .

وفي ايامنا هذه نجد الكثير من الامثلة على القصائد والادبيات التي تتغنى بالاعمال " الحميدة" للحكام حتى انها تقلب مخازيهم مفاخر كما نجد شعراء الشعب يهجونهم ذامين وساخطين عليهم .

ان المفهوم الطبقي للادب الشعبي لا يحتاج الى ذكاء حتى نستطيع التعرف عليه، ففي الحكايات الشعبية نجد حكايات تنفذ الى

Digitized by Birzeit University Library

حياة الملوك والوزراء ورجالات الحكم فتهزأ منهم وتبين مدى جبروتهم وطغيانهم وتفضح اجرامهم فنجدها تصفهم بالقتلة والمغتصبين والزناة واللصوص والاغبياء .. الخ من الصفات السلبية التي تحث الناس على مقاومتهم . وفي المقابل نجد حكايات اخرى تمجد الملوك والسلاطين وتظهرهم عادلين رعاة عمران وحضارة فمما لا شك فيه ان قائلي الحكايات الاولى ليسوا قائلي الحكايات الثانية لانهم على طرفي نقيض . والذي افرز لنا التناقض التناحري هو التناحر الطبقي بين الفئات الحاكمة والمحكومة . ونظرا لكون الحكايات الشعبية طويلة فاننا لن نستشهد بها بل سنقتصر استشهادنا على المثل الشعبي لقصره وسرعة فهم المعنى المقصود منه . او الحكمة التي يرمز اليها . وسنبحث في المثل عما في مجالات الموقف الاجتماعي والفكري والسياسي، او الموقف الانساني بوجه عام . وسنرى ايضا ان حركة التشكل التاريخي للذات الانتاج هي المسؤولة عن وجود مجتمع موضوعي اى مجتمع طبقي . وسنرى ايضا ان كل طبقة اجتماعية قد افرزت ادبها الشعبي الذي يحمل فكرها السياسي في ظرفها الموضوعي ضمن زمنها المعاش .

ننظر الى هذه الامثال الشعبية التي تحرضها الكادحون الثوريون ليحرضوا ـ بحكمة الشعب البليغة ـ عامة الناس على الثورة على السلطة المستبدة سواء كانت محلية ام خارجية استعمارية .

١) الموت ولا المذلة .
٢) اكثر من الصبر ما سخط الله .
٣) الصبر الواطي كل الناس بتنطه .
٤) اللي بصبر نعجة بتوكله الذياب .
٥) عيش يوم ديك ولا الف جاجة .
٦) الايد اللي بتتمد عليك اكسرها .
٧) اللي بسقط من السما بتتلقاه الارض .

ان الانسان الشعبي ليس نفعيا بطبعه لذا فهو يعشق الحرية ويقدم نفسه رخيصة في سبيلها ومن هنا فهو يرفض الذل ويرى ان الموت افضل من الحياة الذليلة كما في المثال الاول وهذا المثل يتطابق مع قول عنترة :

لا تسقني ماء الحياة بذلة
بل فاسقني بالعز كأس الحنظل

وهو برفض تهديد القوى المستبدة والظالمة بعقابه اذا ماتمرد عليها لان وضعه تحت سلطة الاستبداد هو اسوأ ما يكون فيقول المثال الثاني .

ولا يقبل ان يكون دون المستوى الانساني للانسان، اى لا يقبل ان يكون ضعيفا امام المستبدين خوفا من ان يطمعوا فيه فيردد المثال الثالث . ويرفض ان يكون استسلاميا امام قوى الظلام كي لا تفتك به فيقول المثال الرابع .

وفي المثال الخامس نرى ان الدجاجة وهي من الطيور الضعيفة تنافسها في طعامها ومنامها وقيلولتها كل الدجاجات الاخريات في حين لا يحصل هذا مع الديك .

والانسان الشعبي يسعى الى ان يملك حريته وشؤونه دون ان ينازعه فيها احد لذا فهو يردد هذا المثل .

والانسان الشعبي في المثال السادس مسالم بطبعه لكنه لا يقبل ان يعكر صفو حياته احد ، فالذي يعتدي عليه ولو باللمس فهو يدعو لكسر يده .

والمثل السابع يبين لنا ان الانسان الشعبي لا يخاف شيئا اذا كان على حق بلغة حازمة جازمة .يقول علي الخليلي عندما يتعرض لهذا المثل بقوله : " الوعي الشعبي حازم ، لا يغرق في المزاجية، بل لا يعترف بالمزاج الذاتي ... وهو وعي الكادحين

Digitized by Birzeit University Library

بالضرورة. صريح بدون لف ولا دوران . ومن خلال هذا الالتزام ينبع انتشار المثل الشعبي ، لانه يعكس الواقع الشعبي كما يعكس الطموح في تجاوزه " (٤).

ان النماذج السابقة من الامثال الشعبية هي تعبير واقعي عن الحقيقة التاريخية الماضية التي عاشتها قوى الكادحين والمغلوبين على امرهم من ابناء شعوبنا العربية وهي تعبير عن ثورية هذه الفئة التي قالت هذه الامثال وتغنت بها . ونرى ان هذه الامثال هي تعبير عن اشكالية تاريخية معينة للصراع بين هذه القوى ذاتها وبين القوى الاجتماعية الاخرى المسيطرة اقتصاديا وسياسيا والتي كانت وما زالت تحاول فرض ثقافتها وفكرها على جموع الكادحين .

والان دعونا ننتقل الى الجانب الاخر الجانب المضاد ، الجانب المسيطر والمستبد والذي يخلق حوله فئة انتهازية استسلامية تتربى على الذل والخنوع وتحاول ان تزرع مفاهيمها في ذهن الناس عن طريق الترغيب تارة وعن طريق الترهيب تارة اخرى . فدعونا نتمعن هذه الامثال :

١) امش الحيط الحيط وقول يا رب السترة .
٢) الزمن اللي ما بيجي معك تعال معــه .
٣) حط راسك بين الروس وقول يا قطاع الــروس .
٤) الموت مع الجماعة رحمــة .
٥) الايد الي ما بتقدر تعضها بوسها .
٦) النار ما بتسمط الا اللي بخبط فيها .
٧) الهريبة ثلثيــن المراجــل .
٨) اللي تحت العصا مش زى اللي بعدها .
٩) قتال كفه الله لا يرحمه .
١٠) يوم ع الدنيا ولا الف تحتهــا .
١١) جيان ولا الله برحمــه .

ففي المثل الاول انت مطالب بعدم التعرض لاى كان في اوقات الشدة حتى انت مطالب بعدم الظهور في الشوارع وذلك كي لا تتعرض للاذى تماما مثل الايام الماطرة فان الناس يمشون بجانب الاسوار والجدران كي يقوا انفسهم شرالامطار والعواصف . وفي المثل الثاني انت مطالب بالرضوخ بل والتأقلم مع الامور المعادية لرغابتك ، فاذا لم تكن السلطة مثلا تعبيرا عن ارادتك يجب ان تكون انت تعبيرا عن ارادتها .

وفي المثال الثالث يجب ان لا تخرج عن رأى الجماعة ولو كانوا على خطأ ، ولو ادى ذلك الى قطع رأسك وروءوسهم لان الموت مع الجماعة رحمة كما في المثل الرابع ، وفي المثل الخامس انت مطالب بالخنوع لمن هو اقوى منك سواء كان حاكما او سيدا او صاحب عمل لانك تحت امرته ولن تستطيع رفع يده عنك فيجب ان تطيعه بشكل كبير وأكثر مما لو كنت خارجا عن سلطته ، وعليك ان لا تسمع لقول المحرضين الذين لا يقبلون هذا المنطق لانه لا مجال لك بالخلاص وانما ستقع في نار تحرقك كما في المثل السادس . اما اذا وقعت الواقعة ووقعت في صدام مع الطرف الاخر فان البطولة في الهرب وعدم المواجهة كما في المثال السابع . واذا ماوصفك احدهم بالجبن لهربك فلا تأبه لذلك لانك نجوت بروحك وحافظت عليها كما في المثال الحادى عشر.

واذا ما عابك آخرون على هربك فاحذر السماح لهم " لان اللي تحت العصا مش مثل اللي بعدها " ـ المثال الثامن ، واذا صمدت في المواجهة ، وتعرضت لاذى او قتلت فانك ستموت غير مأسوف عليك وتتحمل نتيجة طيشك كما في المثال التاسع . واياك ان تقاوم او تتمرد على رؤسائك لان الحياة افضل من

Digitized by Birzeit University Library

الموت والراحة والسعادة في الحياة مهما كانت
رليس في الموت كما في المثال العاشر .
تأمل الامثال السابقة وانظر مدى العهر
الاجتماعي فيها فهل يمكن ان تصدر مثل هذه
الامثال واشباهها عن الوجدان الشعبي
الكادح؟ بالتأكيد : لا .. انها لن تصدر الا
من الفئات المستغلة ـ بكسر الغين ـ واذنابها
ان كل الامثال التي اوردناها تعطي
مدلولات سياسية من منظار طبقي ، ولكن الوضع
الشاذ ايضا موجود بين الاغنياء والفقراء .
فاذا كانت البرجوازية الرأسمالية او
الاقطاعية تحاول تسخير رأسمالها وسيطرتها
لاستغلال الفئات الكادحة فانها ايضا .. تعمم
ثقافتها لضمان سيطرتها الاجتماعية والسياسية
من خلال المال فلنلاحظ هذه الامثال :

١) اللي ما معه قرش ما بيساوه .
٢) اللي معه فلوسه بنت السلطان عروسه .
٣) مال بخلف مال وقتل بخلف صبيان .
٤) الدرام براهم .
٥) اسحب الخيط وحطه واللي عليه مال لازم
يحطه .
٦) المديون حمار الدايـن .
٧) خلي القطين في خوابيه تييجي مشتريه .
٨) الفاجر بوكل مال التاجـر .
٩) مالي وانا حر فيه .

لسنا بحاجة لتفسير الامثال السابقة فنظرة
بسيطة عليها تبين لنا ان الرأسماليين
يملكون وسائل الانتاج قد انتجوا أدبا شعبيا
يخدم مصالحهم المالية ويكرس سيادة رأس
المال، دون رحمة للفقراء والمحتاجين حتى
انهم يمتهنون انسانية الانسان الفقير الذى
يستدين لتوفير قوت يومه فيصفونه بانه حمار
المدائن .

وفي المقابل فان الفقراء الكادحين
يرفضون هذا الفهم البرجوازى فينتجون
ثقافتهم المضادة المقاومة لهذا الفهم ولهم
امثالهم ايضا مثل :

١) درهم عقل ولا خزاين مال .
٢) الفقير فقيـر العقـل .
٣) نصف البطن يغني عن ملاه .
٤) رجل في السوق ولا مال في الصنـدوق .
٥) الكسـل ما بطعـم عسـل .
٦) هين قرشك ولا تهين نفسك .
٧) يا ماخذ القرد على ماله، بروح المال
وبظل القرد على حاله .
٨) مال الخسيـس لابليـس .
٩) ما يكبر في المال الا الردى .

ان الكادحين . كما نلاحظ في الامثال
السابقة لا يطمعون في المال واقتنائه انما
يطمعون في العيش الكريم فقط فهم يريدون
سلامةالعقل والجسد وهم غير اتكاليين وليسوا
كسالى ، ويرفضون بيع انفسهم مقابل المال .

لكن الرأسماليين والاقطاعيين لا يتركون
الكادحين وشأنهم فهم يرتكزون الى الدين
المشوه لنشر الغيبية والاتكالية بين الكادحين ،
ليثبتوا لهم وكأن فقرهم واضطهادهم في هذه
الحياة هو قدرهم الذى كتبه الله عليهم .
وبطبيعة الحال فالفقراء هم اكثر تدينا من
الاغنياء ، لانهم يجدون في الله ملاذا يلجأون
اليه اوقات الشدة . في نفس الوقت فان
الاغنياء يعتبرون انفسهم خلفاء الله في ارضه
ويستغلون الدين ويحرفونه لخدمة مآربهم من
خلال نشر الثقافة القدرية والغيبية، وكأن
الفوارق الاجتماعية قدر من الله لا مناص منه :

١) الله فضل الناس على بعضها .
٢) اللهاللي بعطي والله اللي بيوخذ .
٣) اللي ما بعطيه ربه لا يتعب ولا يشقى .
٤) انت تريد وانا اريد والله يفعل ما يريد .
٥) احنا في التفكير والله في التدبير .
٦) اللي ما بعجبه قضاى بطلع من تحت سماى

Digitized by Birzeit University Library

وفي النهاية لا بد من التاكيد ان كافة جوانب ادابنا الشعبية سواء كانت مثلا، قولا، حكاية شعبية، اسطورة، نكتة، احجية .. الخ انما تنطلق من منطلقات طبقية تصل الى حد التناحر . ولا يستطيع دارس موضوعي ان ينكر ذلـــك .

وحتى الذين يتنكرون لهذا الفهم فهم بتنكرهم هذا انما يؤكدون الطبقية التي يرفضونها لتناقضها مع مصالح طبقتهـم .

ملاحظـــة :

غالبية الامثال التي وردت في هذا الموضوع وردت في كتاب " التراث الفلسطيني والطبقات " لمؤلفه علي الخليلي . ومن كتاب " قالوا في المثل " للاستاذ عيسى عطا اللـــه .

الهوامـــش :ـ

١) حسين مروة ـ الموقف الثورى في الادب، ص ٩٥، منشورات الفكر العربي .
٢) بنكوس بولانتزاس، " الماركسية والطبقات الاجتماعية "، ص٣١ ، منشورات آفاق .
٣) علي الخليلي، " الوعي الطبقي للتراث الشعبي "، مجلة الفنون الشعبية .
٤) علي الخليلي، التراث الفلسطيني والطبقات، ص٣٩، منشورات صلاح الدين ـ القـدس، كانون اول ١٩٧٧ .

Digitized by Birzeit University Library

وله في باب السقوط

سميح القاسم

يتقمّصُ قنبلةً يدويّةْ
ينفجرُ عميقاً وبعيداً
ينفجر لكل شظيةْ
إسم من أسماء البشر الحُسنى
إسم من أسماء الشهداءْ
قنبلةً - روحً
لا يخرج في الاموات
ولا يدخل في الاحياءْ
روحً
ينبح مجنونا في المقبرة الليليةْ
يتعثر ما بين العتمة والضوءْ
ويسقط في الريح
روح
ينبحُ
يصطكّ على شاهدة مائلةْ
ويسحُّ ثقيلاً
تحتَ ثياب العُرس وأكفانِ الموتى والنشرات الجويةْ

Digitized by Birzeit University Library

تتساءل عنه أكاليل الورد الذابل

وهياكل

أهلي العظميّة

ويئنّ غلامٌ وصبيّة :

" السيد من ؟ " " هذا السيد من ؟ "

ويغمغم ذكر البوم لأنثاه :

رجلٌ نائم في الفضاءْ

يسقط الشعر من رأسِهِ

خصلةً خصلةْ

يسقط الشعر عن حاجبيهْ

شعرةً شعرةْ

يسقط الشعر من شاربيهْ

رجل نائم في أغاني الهوى والشبابْ

ولياليّ العذابْ

رجل مثقل بالسرابْ

يسقط الشعر من لحيتِهْ

نائمْ

يسقط الدمع والدم من بوءبوءيهْ

رجلْ

في فِراش الخواءْ

نائمْ

يسقط اللحم من جثتِهْ

رجلْ

مومياءْ ..

وتقول الجنيّهْ :

Digitized by Birzeit University Library

يضحك في شَرَهٍ ويموت ويبعث
معتدل الطولِ ثقيلُ الاهداب
رجل في منتصف العمر
وسيمٌ حين يغني
وقبيح حين يوزع صُوَرَ القتلى
لوكالات الانباء وللصحف اليوميةْ
رجلٌ ـ أفعى
جُرَذٌ ـ رجلٌ
يتكاثر في الانقاض
ويمتدّ ويلتفّ نباتاً شيطانياً
حول الكُرة الارضيةْ
يبكي في شَرَهٍ
ويميل الى السِّمنة ما بين بُطين القلب الأيسر
والنعلِ اليُمنى
تسألُ عنه وتُجيب امرأةٌ حبلى:
" هذا السيد من ؟ "
والسيد من ؟
ربطةُ عُنقٍ حائلةُ اللونْ
يجذبها عُشاق القمم الشاهقةِ
ويجذبها الغرقى في بِرَك الدمْ
وهُواة كراسي الحكمْ

أحياناً ، ينبلج جبين السيد منْ ؟
عن رفٍّ سنونو
أحياناً تندف شفتاهُ الدفلى

Digitized by Birzeit University Library

أحيانا تقذف رئتاه الوحلا

ويوزّع صُور القتلى

والسيد من ؟

شخص مجهولٌ

لا يعرف أحد من أهل الارض متى جاء

وكيف ، ومن أينْ !

يتكلمُ لغةً لا يفهمها أحدٌ

ويُحب الاطفالْ

ويُقالْ

السيد من ؟

يحيا ليلاً ويموت نهاراً ، ويقال ...

السيد من ؟

نَبضُ الصحراءِ وهمهمةُ الادْغال

ذاكرةٌ أُخرى للريح الشرقيةْ

زُغرودة عُرسٍ

مرثيّه

والسيدْ من ؟

ظاهرةٌ جيولوجيّه

يتنفس ويغني في لغة لا يفهمها أحدٌ

ويئنُّ على باب الله :

تَنتابُني المُدن التي سقطتْ وتقرعُ باب بيتي جثةٌ أُخرى .أقوم

مهرولاً . بردٌ وليلٌ باهظُ القدمين . تبكي الريح خلف الباب .

أصرخ : من هناك ؟ ولا أحدٌ ..

سأنام والأموات في الطرقات

ينتحبون من خزيٍ ومن جوعٍ . وكيف أنام والاكفان غيمٌ ماطر

ثوبَ البلدْ ؟

صنعاً ساخرج للشوارع عارياً . وأصيح بالموتى

المُتكارى القادمين من المخيَّم خلسةً . وأصيحُ ربَّ هنيهةٍ تُصفي

إليَّ من الأبدْ

تتابُني المُدن التي شيدتُها شملاً بأحزاني . أُدندن في الميادين

الفسيحةِ بالطقاطيقِ القديمةِ مُشْرعاً طربوش " عبد الحيّ " للحسنات .

أعمىً مغربياً قادَهُ الثأرُ القديم الى رصيفٍ عامرٍ بالقصف والجثث

الجديدةِ . هل هُنا بيروت ،لا أم يكفنها وَلَدْ ؟

بيروت أم عمان لا يدرى القتيل ، لعلها الشام القديمة ! ربما بغداد أ

مراكش ، اختلطتْ عليَّ خرائطي اختلطتْ فلا يافا تلوح ولا صَفَدْ !

يصيحُ بي قلبي : انتظرني أيها المسكون بالترحال !

أرجوهُ وأمضي

أجتازُ قناصاً إلى لغمٍ

ويُلفي بي إلى ما ليس يُفضي

وألمُّ أطرافي على عَجَلٍ . طريقُ الموت سالكةٌ . قُبيل الليل ميعادي

هناك حبيبتي أغتُصبتْ أمام شقيقها . وهناك أزهارٌ من البارود

أقطفها بلا إذنٍ وأركضُ في حديقةِ منزلٍ هجرتْهُ أُسرته حديثاً

(إن أعمال التجارة في البرازيل اختيارٌ جيدٌ . والقنص في

صحراءِ أستراليا مُباحٌ . تلك فرصتنا الجديدةُ ، لا حسودَ ولا

حَسَدْ .)

عينُ الصوابِ وعينُ قناصٍ ، سأختارُ النكوصَ إليَّ . إن

كروم أهل الكهف سائبةٌ تكاد تجف من دَنَف ومن لَهَف على وُعْدٍ

وُعِدْ

وأكاد من عطشٍ أموتُ ، فما عليَّ إذا قطفتُ من العناقيد الأخيرة

قطرتين لرحلتين : من السقوط إلى السقوط

Digitized by Birzeit University Library

ومن نهايات الخيال الى نهايات الجسد

أَلآن

أهبطُ

فَرسخين

إلى

العَدَمْ

وأدقُّ أَوتادي . وأَنصب خيمتي البيضاءَ بين الرعدِ والكدمات
في زنزانة التعذيب . أُمضي عطلةَ الويك إند في مُتنزَّهي السريّ .
خلفَ البنك والثكنات والصحف المثيرة والممالك والأُممْ .

العَدَمْ

مـن

فرسخين

أَصعد

والآن

لأُظلَّ

رُبَّ صبيةٍ سلمتْ . ورُبَّ فتىً . أُحاول أن أزاوجَ
بينَ مرثاةٍ وأغنيةٍ . وبين دمٍ ودمْ

ولعلَّ زوجاً لم يزلْ من كل جنسٍ . يفتدي الآتي من الماضي
لعلَّ مدينةً سقطتْ تثوبُ لرُشدها في كوخِ صيادٍ وقُبلهْ ..
ولعلَّ في جسدِ القتيلِ لهذه الصحراء نخلهْ ..

والسيّد مـن ؟
شبحٌ حَمَلتْه من الدنيا وإليها طائرةْ

Digitized by Birzeit University Library

شحّ سمعوه يغنّي :

أقلعتْ طائرةُ الروحِ عموديا ،

لفيق الأرض .

لم يبقَ مطارٌ شاغرٌ في العالم السفليّ

لا مرشدَ

لا حارسَ

لا غوءَ

ولا طيارَ

لا شيءَ سوى هذا المسافرْ

أقلعتْ طائرة الروحِ

إلى أين ؟ ومن أين ؟

تكلمْ أيها الموتُ المغامر !

سقطتْ طائرة الروح

هنا البرقُ

وفي منعطف الليل سحابَهْ

سقطتْ . في أي بحر ؟ وعلى أيةِ غابَهْ ؟

فرقُ الإنقاذ لم تعثرْ على عُلبتها السوداء

لم تُفلح مساعي لجنة التحقيقِ في الحادثِ

سرّ غامضْ

إضبارةٌ غامقةٌ أخرى

ملفٌ مغلقْ

خُطبةُ تأبين

وأزهار كآبهْ .

سقطتْ عن أُمها تفاحةٌ

Digitized by Birzeit University Library

يا مستر نيوتن ،
سرُّ الجاذبيةْ
كامنٌ بين عصيري وقشوري
وسقوطُ البشريّةْ
واضحٌ ما بين جلدي وضميري
واضحٌ بي ، غامضٌ في لجنةِ التحقيق
قلبي عُلبتي السوداء
هل في فِرَقِ الإنقاذ من يسمعُ صوتي
مُقلعاً من هذه الأرض عموديا
وحيداً في الفضاءِ الشاسع الممتد
من موتٍ لموتٍ ؟

ويقال :

السيد من ؟
توأمُ سيّدنا آدمْ
طاردهُ رُؤساءُ الإنس
وأهدر دمَهُ مُلوك الجنّ
والسيد منْ ؟
توأمُ سيدنا آدمْ
مطلوبٌ للشرطةِ في كل مخافر هذا العالَمْ
مطلوب
حيّاً أو مَيْتاً
مطلوب
WANTED

Digitized by Birzeit University Library

حيّاً أو مَيْتاً

WANTED!
for being me and you and him
for being millions, being one
and being none

والسيّد من ؟

مطلوب

حيّاً أو مَيْتاً

أَلسيّد.. مَنْ ؟

الرامة - حزيران ٨٧

Digitized by Birzeit University Library

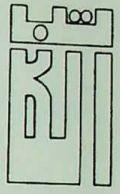

سبع زيارات .. لأم السبعة أبطن

عبد الحميد طقش

ـ الاولى ـ

الحب القهار بلا استئذان
يصعقني ويلظيني
وبرغم الرفض الكفر الحمى
رغم الخمر ورغم جنون الشعر
يشظيني
لا بل ان الحب بسبب السكر
الحمى
وجنون الشعر
يلظيني ويشظيني
واذا زلزلت الارض
وهاج وماج القوم
وطار الرأس وقال الناس
حتى م علام الام
وصلى القلب صلاة الفرض
وأدى العقل فروض الرفض
وعُذت بجميزة امس
وبعد الغد
وقبل الفجر
وبعد العصر
وقبل المهد
وبعد اللحد

اردت غطاء يحميني
فالحب القهار
رحاه تحطم قلبا ضاق
وقد وسع مداه كهدى
كل عوالم سفر التكوين
لجذورك يا جميزة
لدثارك الجأ غطيني
فأنا المزمل والمدثر
ضميني
يا جميزة شطآني
ازماني وحدى
أكواني
يا جميزة كل الشطآن
وكل الازمان
وكل عوالمنا السفلى والعليا
أنت زرعتيني
فاذا ما اكلت فسآتي
أفواج السوس
فدلى الناس علي واحيني
واعدى من جذرك
قدما خالدة من قبل الازل
وبعد الابد

Digitized by Birzeit University Library

وانحني من جذعك صدرا يحضنني ويغذيني
وفروعك فلتبعث لسماء الدنيا اجنحة
ان تنظر قولا يحييني
انظر جوابا دون دثار
يجيء الرد فينبئني
يا أسف
انك يا مزمل
يا مدثر
بهما قلت
انى طفت
مت ... طفت ..... غفوت .... صحوت
رغم الحول ورغم الطول
رغم القول ورغم الصوت ورغم الموت
رغم الناموس ورغم القاموس
رغم الصحو ورغم النوم
رغم الامس ورغم اليوم
يا أسف
لتبقى أنت
شقى انت
للطيني
يا أسف
نعيد بريدك لتراب الجميزة
لايخص بنظر امورك احد في جوقتنا
لاتسى ولا تكتب بعد اليوم لنا
فالم الجميزة قطعت معنا كل علاقة
أنا اخترت اموتها
مع سبق الاصرار
لماذا اوصدت بدوري كل حوار
رفضت بحب مجنون
بصدق السكر وبحر الحمى
وبكسل ولاء يصعقني ويشظيني
الجذرك
عاد الى الاعناق يقيني
للماني .. قلبي .. صحوى .. سكرى وجنوني

قدرى ان ابقى ابن الجميزة
لن اكتب لسماء سطرا بعد اليوم
كي اضمن حقي في ان يكتب فوق القبر
يحوى هذا عظم فلسطيني

الثانية

وذات ليلة مشابهة
طالت وغاب طعمها
تشابهت وضاع رقمها
وعربد الشتاء في الخريف
وبات يعوى من عظامها
كنت على وضوء
كنت على استحياء
وكنت اتلو سورة اللهب
لكنكم يا سادتي لو كنتمو حطب
لو انكم جربتمو في ليلة الصقيع
في اى ليلة يضيع رقمها
وكيف يسرى دونما صخب
السوس والفناء واللهب
طريقة المعبدة
تمتد كالثعبان في انسيابها
وهو يسير خاشعا في عظمها
كل الاشارات له خضراء
لا عجب ! لقد ذكرت انني في ليلة) مشابهة
وقد نسيت ان اقول اني
كنت وما زلت
ولن ابقى
حطب
عدت الى جميزتي الراسخة العنيدة
قلت اصلي واقفا في حضنها
فهي كما عرفتمو لا تعرف السجود
عدت وكان تحت ابطي
قراءتي الرشيدة
قلت اصلي مثلها

Digitized by Birzeit University Library

فهي تصلي دونما ركوع
وهي تصوم الدهر
وهي تغني دونما بكاء
لا تستوقف الباكين
منذ زمان حطمت قيثاره الدموع
وشقت السماء في صمت
ودونما تذاكر
تسامت الفروع ....
وسافرت في الارض
تحفر ملكيتها
وانها تجوع
لكنها كما علمتم امنا العنيدة
سلمت قبلت وتحت ابطي
قلت لكم قراءتي الرشيدة
وقلت اتلو سورة اللهب
وكدت اشكو عندها
مهذب اللهب
ودربه المهذب الملعون في عظامي
وليلتي المشابهة
ابكى مع الباكين من ذكرى حبيب
بين الدخول فحومل
لكن صرامة جذعها الوحشي
قيثارة نسيت قوافي النائحين
حبست غنائي في لهاثي
كي اعود بلا قراءاتي الرشيدة
وبلا تحيتي المهذبة العتيدة
ما عدت اصلح ان اقول كما دتي
يا سادتي
عمتم مساء او لياليكم سعيدة
الثالثة

وذات مرة صحوت
وكنت قد نمت على الحصيرة
وقد حسبت انني غفوت
كعادتي اغفاءة قصيرة
لكنها كافية لتنقض الوضوء
وكنت قد عزمت ان ازور
امنا الوحيدة
لا بد من وضوء
قد قلت امنا الوحيدة
مع اننا كنا ونحن نمتطي الدخان
نسبح في حضن الجرون
نتطح الكثبان
نذوب من الدفء بحضن الجدة
نسمع ما يدغدغ العروق
حتى وان كان حديث الغولة
كان يقال لست ادرى كيف ؟
كان يقال عنها امنا ....
ونسكت
يقال عنها امنا
ونسبح
كان يقال دائما ......
بأن راعيا .....
غاب ولم يعد
جرى وراء الضبع
وهو ينادى يابا
يقال هذا كله ... ونسرح
من اجل هذا قلت
امنا الوحيدة
فالان لست اسمح .....
أزورها مشرعة ابوابها
ترمقني عزيزة اهدابها
فلأتيمم عندها
معطر مضرج مضمخ ... ترابها
على جناح الشعر يمه
اعود للعرى وللطفولة
لكن درب الشوك في الحصيدة
ونظرات امي العنيدة
تجعلني ارفض ان انادى

Digitized by Birzeit University Library

ليس لي في الارض
نحي الضياع
نحي السماء
نحي الضياع
من أب
لن اقول يابا ....
يا ليت لي لكي اقول يابا
ارفض ان تكون الغولة
امـا
أنت امنا الوحيدة
انهي صلاتي عندها
ودفؤها يشحنني
حتى ولو نمت على الحصيرة
اعود كي اواصل المسيرة

الرابعة

في المساء والصباح
في الغدو والرواح
يظل هذا الشيخ يجني ما يشاء
من براثن الاله
عفوا فما عادت لديه براثن
أوعله قد كان دون براثن
منذ الازل
ولعلها
شيء صنعناه شبيها بالاظافر
غايتها ان ترى العجائز
فتخمش الوجوه
تفقأ العيون
تكفي لان تكون كهف العاجز
تصلح كي تكون في السراب
طيبة المهادن
ان كان هذا
قلت هذا جائز
لعلها تصلح للكلام
فتمنح المخالب
وتمنح الضفادع الطحالب
تمنحهم جوقتها جائزة السلام
وينشد الاطفال من تحت الركام ...
نشيد يا سلام
ان كان هذا قلت هذا جائز
لكن توضأت وكان قبلتي
جميزتي .... كعادتي
قبلت سلمت وقالت : يا بني
درسك هذي المرة
تعرف كيف ترفض الكلام
تعرف كيف ينتهي الصيام
تعرف كيف تفرض السلام
تحطم الحواجز
وترفض الجوائز
وعلمتني
حملتني للقبور
اشودة المناجز

الخامسة

وأنت لنا الاخبار ترقص
كي تزف لنا بشارة
هل من جديد
عم هم يتساءلون
قالت : عن النبأ العظيم
فقال قوم : انه النبأ السعيد
وقال قوم ذاهلون يرددون
اليوم عيد
وقال قوم : يا خسارة
وقال قوم : يا ترى ماذا جرى
وأجابت الانباء تقرع كل اذن
ثم تخترق العيون
اليوم ميلاد المجرة
ضوءها يطوى الزهور

Digitized by Birzeit University Library

السادسة

تنشأ قبور
من فوقها تبني قصور
حولها عرس الزهور
من بعدها تبلى قصور
بسمات اطفال تصير الى ذبول
والاقحوان الى أفول،
ومجرة حَوَت الكواكب والنجوم
تطوى الدهور
وسمعت بين الجمع جذلانا
تدغدغه المسرة
يا قوم هاكم ما يقال
وجدتها :
ويفجر الرجل الغطين سؤاله
وينوص في دفء الاريكة
اهي المجرة والشعاع طوى الدهور
لكي نقول
ولدت مجرة
ونزفه النبأ العظيم
لم لا تكون مجرة طوت الدهور
كي نحدث النبأ العظيم لديهم
فتكون ميلادا جديدا عندهم
ويهزهم نبأ جديد
وعندنا يتلي الحوار
لا شك ان البيض تضعه الدجاجة
لا ريب ان البيض يفقس عن دجاجة
وخناجر اللهوات في دفء الارائك
تهتك الليل البهيم اذا سجى
ويظل يلغي الصمت فرسان اللجاجة
وعلى جبين النادى البلدى
قد حفرت اخاديد عميقه
سألوه : قال :
جميزتي سأزورها صبحا
أقبلها وآتي بالحقيقة

وعدت لها .... وعدت بها
فمالي سواها وهل غيرها
ففي الفجر يحوم
لهيب يدوم
اذا كان فجر
سقيم
اذا قيل فجر
خداع مقيم
من الشمس ان كان
فهو الشواظ
ومن غير نور
شروق عقيم
وفي الليل ليس سواه
ضجيج عكاظ
فحيح قفاة الاثر
نواح العجائز
اين المفر
وليس سواء
فرار من القهر للقبر
ام ان يكون
فرارا من العار للنار
وفرساننا في نعيم الارائك
يحيون في دفئهم كل ليل
عكاظ
ملاحم عهر
براعم خيبتهم تتلظى
شواظ شواظ
فأين المفر
ومنذا يجير
براعم دون حليب
وفي مهرجان اللهيب
يؤد دون واجبهم كل يوم

Digitized by Birzeit University Library

بتون انشودة
للسلام
وأبن المفر
اذا الشمس مقرورة احبطت
نورهم كأسها اترعت
وبوجنهم قبل شهر الحصاد
ورغم عكاظ الارائك
بائعة اجهضت
لجأت الى ظلها الاوحد
لجأت الى حضنها السرمدى
وسلمت .. قبلت .. صليت
دون ركوع
وعدت
ولكن حملت رسالة
لهذى البراعم
جدتكم قولها امر
لكل البراعم صبى وصبي
ثواظا شواظ
وبوحا لبهتك
نسح البراقع
وذئ الارائك
وغبل عكاظ
فمن يستجيب ؟
لكم كل حبي
بالقاكم بودادى وظلي
وعدتم لجدتكم
من يلبي ؟
ملتم لكم كل حبي

السابعة

سمت تهجدها ذات ليل
وقد فاض كيل
فهرولت ... لبيت
وسلمت .... قبلت

ماذا سمعت
وماذا رأيت
رأيت الخشوع
بغير خضوع
سمعت تلاوتها
حيث كانت تقول :
ومن ذا الذى يقرض الارض قرضا
فيسقط فرضا
وانى اجازيه خير الجزاء
تسامت فروع
وغاص بعيدا بعيدا
تشبث بالارض منها الاصول
ولم يعنها في الشمال الثريا
ولا شدها للجنوب سهيل
فقد غاص دمع
وان فاض كيل
فمنذ الذى يقرض الارض قرضا
فيسقط فرضا
فصمت البي
رضاك وحسبي
وسلمت .. قبلت .. قلت اعود
الا زودينى
وقوى يقيني
فقالت كلامابه تبتليني
يجيؤك نهر غدا
اذا كنت منى
ظمئت
صبرت
والا ..... شربت
عببت
فلم تكن ابني
وعدت ..... وعُدْتُ
ملكت يقيني .....

Digitized by Birzeit University Library

لينا

اديب رفيق محمود

(١)

لينـــــــا

ـ صلوات اللـه عليـك

عديني بالدرس الثاني

ـ لا بـــأس ....

مواعيدى فجر فضى او ليل شتوى عاصف
عد . انى انتظر الاحباب على باب مصبوغ بالدم

خـذ هـــ .

واراقت من يدها كأسا دريا كالنجم
فأنارت قلبي المضنوك واعطتني ثوبا ورديا

وتلقفها البرق المحلول بغابات الدفلي والشربين
وشفت لينا كالطيف الصاعد من منشور المـاء

(٢)

صـد السنابـك

في كل يوم ينزلون منبسطا
او يعتلون القمم العظيمـة

في جيد ريحهم نميمـة

قد كان امرهـا فرطـا

فتشت عنها في الوصايا القديمة
في الغرف السفلى ، على البردى ،

Digitized by Birzeit University Library

ثم الهياكل المرقومة
في طور سيناء ، في التوابيت ، فلم اجدها ،
وفتحت عيني في الكتب الحكيمة
فلم اجد غير المراعي والمدن العامرات الكريمة
ثم دمرت شططا
في بامة الدخول والوليمة
ثم رُاذ راي الخيول تقدح الصخر بالسنابك
بإيكيا ، مد اليد الرحيمة
عبر النجوم ، موقدا اعضاءها بالعزيمة
لا تلفت اعرافها يد الفتح
والبتها في الصحارى ، القرى ، الدساكر ، المدن الجوعى ،
ظلمة ستديمة
نحن ... نحن ... آه من " نحن " وحدها !!
انهم يجيئون من كل حدب
يجيئون بالخطط المرسومة
"نحن" ما استرجعت ربطا
واندت خططا
قدها صرخاتنا المحمومة
زمرا قبضاتنا الملغومة
ايها صفقة الذل في ظلام الجريمة .

(٣)

نغريمة للقلب

فرد واصدح ـ صلبتك اللعنة ـ غرد
لم تصدح تضمر في صدري
ما قبة ان ينطفىء العمر وسري
يكمن فيك .
اتشدق بالنغمة كالطلقة في الفجر المتجدد
لا تابه لو كانت من جمر
انت من شفق حر
من رجل يفديك
هذا الوطن المأسور الدامي لن يفقد
شيئا ان انت سقطت
لو ان انت سقيت
نهر الحرية
فدما غيرك في الظل الابيض يعقد
لك اكليلا من غار ، والصوت
نفسي ما قالت شفتاك الى الموت

Digitized by Birzeit University Library

في البريـــــة
مـــا قالـــت ؟!
قالـــت نحـن المفتونين الـى الموعـــد
في الوطـن الرائـع حيـث النهـر الدامـي
يجـرى هـــدارا مـــن اعـــوام
تشتـــد خطانـــا
كـي نبنـي للاطفـــال بنـاء يمتـــد
عبـــر الرؤيـــا والاحـــلام .
وطنـــا حـــرا ،
وطنـــا يعصـر بالحبـس ونبـض القلـب الظامـي
وطنـــا ندعـــوه حمانـــا .

(٤)

بطاقـــة دعـــوة

أيهـا النائـم والموسـم قـد حـان استفقنـا ، فتهيـأ للتجارة
لا تخـف لـو كانت الاسـواق يقـوّق ربحـا او خســارة
قـم ســواد الليـل قـد جـرد قلبـك
مـن معانـي التـــوق واستـل الجســارة
لكـــن اســـمـــع :
سـوف لا يسبـــح رخ او بســاط في الفضـــاء
يلثـم الجـــوزاء والدامـــاء ، يهـوى حيث تهـوى
ان يمـوت الليـل في جفنيـك فالميـنـاء مأوى
للـذى يؤمن بالملـح ويعطـي للدعـــارة
ودمعـت عينيـة وشـوق الاقويـاء
أنـت مسكيـن ، يـرى القلـب ، لا تبدو علامـات الشطـارة
فـوق خديـــك . لرمـل البيـد اطعمـت التمنـي . والامـارة
فـوق برديـــك ســراب . ان حبـك
ينثـر الاحـزان فـي كـوخ وحـارة .
لكـــن اســـمـــع :
انني المـح في عينيـك طيـف النـار ، وهـج الكبريـــاء
فـي شغـاف الـروح والاحـلام قـد جـرد مثـــوى
فتعلـم حيـن يفشـى الليـل كيـف الضوء يقـوى
وتعـرى ظلمـة الغـاب مـن الزبـرد شـرارة
حينمـا تومـض احـداق العطـاء .

Digitized by Birzeit University Library

(٥)
النجمة في المدار المفتوح

ن يصل المكبن العارى تقتات الاحلام الحرة
من رؤيا ترسم بين الانجم والمحراث المحرور
لحن الارض شعارات الثورة .
لي المدار المنذور الى الحرية يورق قلبي
وقظه البوقات صباحا ومساء ترقصه نغمات خمس :
الارض هي الارض الحبلى بالمستقبل
والشمس تظل هي الشمس
والحرية تعني الحرية
لم مرفوع ... صوت ضار ...
اب زرقاء الجرح ... خنادق مروية
والموبيتى سجع للرعيد القاصف يشفي منه المشلولون
وبى مرحى ١١
بل هيل ١١
بل نويل ١١
من دون السفح تصيح الهامة اني عطشى فاسقوني ...
الظمأ جمرة حوصلتي الا الجرح الناغر ...
ايلتي الابطال المطلولون ...
قالوا :
ولا للاحرف معناها ....
ولا للاحرف ضوء النجمة ....
ولا للغة عطر الليل الشافي
ينشق نسمته المسلولون .
من خلف السحب السود تلوح النجمة ـ حبوها ـ
قلب الاوجه لا يكفي
حوها بالثمار الاخضر والزيتون
ما صحوة قلبي
ما نامت عيني بين البازى والافعى
تهمل عليها ضوء اخضر صاف
كالموالوء او زهر الليمون
ما ضوء النجمة ،
ما فيض الثورة في قلبي ..

Digitized by Birzeit University Library

اطفال الجوع الاسود قالوا :
من حدق بصائرنا قد نبني في الليل مجرة
بل نبني في الليل مجرة
ها قد شدناها ،علیناها ، شكلناها من لهب الجرح المفتوح

رصفناها في صدر القبة درة ...

كل الرعيان رأوها
كل الرعيان الى النجمة طلوا ...

عراف الدهر الجارى اطلق للريح

يمام الفسطاط النصوص

وطوقها بالكلمات الخضر

وأعطاها سره

يا ايتها الوضاءة في فلك التاريخ

عليك عيون الله

فكوني خالدة

دورى بعد الكون الازلي الخالد دورة

(٦)

خلنق

لست مني ، ليس من صدرك ما ارضعت من حر الحليب

انت من واد واني ضارب في التيه في الليل غريب
نجمة الصبح على عيني تنتصب فأقتات على الجوع ضياها
خفقت خضرة في الليل مناها
وأنا احيا مع الحزن
ليت هذا الجرف لي كي يخضر بالجرف وينمو في الجديب
شجر الزيتون يا خضرة ،
لا الصفصاف يروينى ولا ثغر الحبيب

يبعث الميت يا خضرة ،فامتدى على الساحة ، اما تبسط
الام النمتد، رؤاها
فوق هذا الشعب يا خضرة ، لا تقوى اليوم آها ثم آها
زغردى ، ان صوت الجرف والجرافة والسطو الرهيب
سوف يحيينا ، يرث النسغ فينا ، ان للخلق الها
دأبه القضم بأسنان من الصلب ، ان للخلق الها
دأبه الهدم ، على المهدوم ينمو ، ان للخلق الها
يوقد الجمرة فينا فتغنى في سماها
وتضيء الغيهب الحالك ، يا خضرة غني ـ نجمة الصبح القريب

Digitized by Birzeit University Library

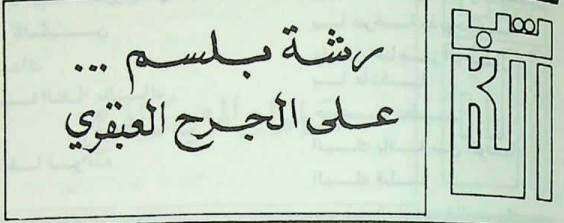

فوزى البكرى

(أمنية بالشفاء .. الى اسم فلسطين الحركي .. ناجي العلي)

للحظة
توقفت عن وحيها السماء
وخضبت ملامح المسيح بالدماء
فأطفأت شرائع اليمين
رماحة الوداع
لكنها في وجهه الحزين
تحولت لقبلة
تسق اللقاء

× × ×

فليفرح الاطفال في الخيام
وليرقص الاطفال في الخيام
مديقهم
صبرهم ... حنظلة
فقد الوسام
رصاصة .. جبانة .. حمقاء
لكنها شهادة
لسان ريشة الفنان
بسن ابجدية النضال

ألف ... و ... باء

× × ×

يا ناجي الجمال
الكادحون يسألون كيف حنظلة
ويطلبون منه ...
أن يدس في مراره اليمين قنبلة
والجائعون في مخيمات الكدح
واجمون
يصدقون تارة
وتارة يكذبون
هل يبلغ الرصاص قمة الفنون ؟
وهل تصاب أمة بكل ذلك الجنون ؟
هل تشنق الفراشة البيضاء
في اشعة الصباح ؟!
هل تخنق الطيور في أوكارها
وتخرج النجوم عن مدارها
لان طاقما مشوها من " الرجال "
يتقن النباح !؟

Digitized by Birzeit University Library

ثلت يداك يا يمين
ثلت يداك أيها المغروس في الوجدان
كالسكين
ثلت يداك
وفقئت بريشة النقاء مقلتاك

× × ×

بالنبض خافقا فؤاده
ما زال
حنظلة غدا
يقوم من سريره
ليصفع الوجوه الكالحات بالنعال
يصوغ من ريشته الشعاع
ليحرق القناع
عن سحنة اليمين
وينصب الكمين
لمن تحولوا
عصابة مأجورة من الرعاع

× × ×

يا ناجي النضال
سلمت يا حقيقة
أغرب من خيال
سلمت يا انشودة
منقوشة في دفتر الاطفال
يا صرخة مذبوحة
على حناجر الرجال
يا عاشقا
حنينه عطاء
اليك باقة من الوفاء
اليك قبلة
مغموسة بنسمة الرجاء
عليك الف وابل من الشقاء
يا ناجي النضال .. قم
الارض من يحتاج عبقرية الفنان
ليست السماء
يا ناجي النضال .. قم
وعلم التاريخ
كيف تنطق اليراعة الخرساء
وعلم الاجيال
كيف ـ بالمداد ـ يصنع الفداء !!!

Digitized by Birzeit University Library

مساحات الحزن والفرح

محمد رجب

كان يوما من ايام كانون والشمس كجنين لم يكتمل بعد من رحم الكون حديثا ترسل اشعتها بحياء لتخترق الانسجة الوصفية التي يتلفع بها نضال لتنشر قليلا من الدفء في جسده المتجمد بردا وخوفا، بينما بدأت السيارة بالتحرك من موقف الباصات، وهذا يعني بدء الرحلة نحو المجهول .

يتأمل وجه السائق المتجهم في المرآه امامه حيث يجلس خلف السائق مباشرة وادار وجهه يسارا ليبصر وجها اسمرا تعلوه كوفية بلون الارض وجها قرأ فيه كل عذابات الفلاح الفي لحظة واحدة، كلمات بلهجة مصرية ريفية تسمع في المكان بين الحين والاخر، تختلط بصوت محرك السيارة التي بدأت تتجه نحو الشرق، يتحسس نضال بأصابعه الجافة الباردة حقيبته الجلدية الصغيرة التي تضم بين ثناياها بضع اوراق نقدية بجانب اوراقه الخاصة بالجامعة ووثيقة سفر سميت جزافا بهذا الاسم الحقيبة عدة مرات، كأنما يبعد هاجسا ما يراوده بأن الحقيبة قد فقدت في زحم الرحلة التي لم تكد تبدأ، قفزت نظرة فاحصة من عينيه عبر زجاج النافذة ليعبر صحراء سوداء مقفرة خالية من كل ما هو حي ، لا يدرى كم تأمل ذاك المنظر الموحش وافاق على قطرات من العرق تتصبب من جبينه لتنزل على شفته السفلى ويتذوق طعم العرق المالح، .. جربه كثيرا عندما عمل في الاجازة عند " مناحيم " ، " لقد انتهى ذلك" حدث نفسه، تنهد ، مسح قطرات عرق تجمعت على جبينه ، واصابع مرتجفة امتدت داخل حقيبته لتلتقط صورة متوسطة الحجم ، نظر فيها لتصطدم نظرته بنظرة تنطلق من تلك العينين في الصورة، نظرة امتزجت فيها معاني اصرار ، فرح طفولي، وحزن متأصل فيهما ، تأمل الصورة، ضمها لصدره بشغف ، واغمض عينيه .

" آه ... كم طالت غيبتك وكم ستطول" تنهد بعمق كأنما يخرج كل الحزن المتأصل فيه .

أفاق .. اطرق سمعه ، لم يسمع ذلك اللفظ الذى تعوده منذ بداية الرحلة، ادار

Digitized by Birzeit University Library

عينيه في الحشد المتكوم على كراسي السيارة خلفه ، كان الكل نياما ، ووجوها سمراء جامدة بلا تعابير انهكها تعب ازلي ، وبدأ صوت المحرك يخبو استعدادا للوقوف والجثث المكسوة بثياب رثة بدأت تتململ كأنما هي على موعد مع الاستراحة التي يحددها السائق

ـ (استراحة نصف ساعة يا شباب) . نطق السائق ببرود ، تسربل الجميع داخل كشك صنع من الطين بدامن بعيد كجذع جميزة ضخمة ، هيأ نضال نفسه في كرسيه للنوم وما لبث ان فتح عينيه هروبا من صور متلاحقة جرت بذهنه ما فتئت تلاحقه منذ مغادرته الاهل من الجانب الاخر ، تنبه لصاحبه في الكرسي ، ابصر ذلك الوجه الاسمر ترى لماذا لم ينزل كبقية الركاب ؟ ، ربما لا يملك ثمن وجبة في رحلة سفره الطويلة وربما فضل النوم على تلك الوجبة الرديئة بالتأكيد ...؟؟" ، ولمعت فكرة في ذهن نضال "ربما لم يعرف ان السيارة توقفت اصلا ، اذن يجب ان اوقظه" تردد نضال للحظة وبعدها مد اصابع مرتجفة ، لكز صاحبه ، انتفض ، وعينان سوداوان متسعتان ، وذعر غريب ملأهما ، ملأ قلب نضال وملأ المكان كله .

ـ " استراحة يا أخي اذا اردت ان تأكل شيئا " .

تململ الفلاح المصري وعدل من جلسته في الكرسي الملاصق للشباك ورفع ذراعه اليسرى فبدا كم الثوب فارغا مخيفا ، كانت ذراعه مبتورة فلا تكاد تملأ ربع كم الثوب الذي يرتديه ، ذهول ووجوم خيم على المكان وأفكار متشابكة اقتحمت ذهن نضال ، ولم يمهله الفلاح طويلا اذ بادره قائلا :

ـ شكرا على اى حال ولو اردت صنع معروف لي لتركتني نائما ،فلم انم منذ ثلاثةايام كان نضال ما زال فاغرا فاه ، مفتوح العينين ، لم يعرف من قبل انه بذراع واحدة ، وقبل ان فكر في ان يسأله عن سبب ذلك ابتسم الفلاح المصري وأجاب على سؤال تردد بالحاح في ذهن نضال .

ـ تريد ان تعرف قصة تلك اليد المقطوعة ـ مشيرا الى يده بفخر ممزوج بحزن ، وصمت فترة ثم بدأ يتكلم وكان صوته كأنه جاء من عالم بعيد ، وفي نفس الوقت اخرج نضال رغيفين ، وقطعة جبن وبدأ يمضغان بلا احساس بطعم او مذاق .

ـ اسمي صابر ـ صابر عبد الرحيم ، متزوج اقصد كنت متزوجا ، فزوجتي ماتت تاركة لي ثلاثة اطفال .

ـ " ليس في ذلك ما يثير الغرابة ، فهذا شيء عادى ومكرر" .

ـ المهم انني كنت فلاحا ،استدعوني للجيش وحدثت حرب اكتوبر ووجدت نفسي بعد الحرب بذراع واحدة كما ترى ، وأفواه ثلاثة صائمة من الجوع وكما نصحني اولاد الحلال هاأنذا اقصد بلدا عربيا لاجرب حظي .

لم يسمع نضال ما قاله الفلاح بعد ذلك فقد غاب بأفكاره بعيدا ، كانت مأساة ولكن فيها من البطولة ما يخلق نوعا من التوازن ، ويبدأ الركاب في الصعود للسيارة ، ويأخذ كل موقعه وبدأ اللغط ، وكلمات بلهجة مصرية ريفية تملأ المكان ، والسيارة تعب الطريق الاسود الملتوى في وسط الصحراء التي لا تبدو لها نهاية ، ربما كان خمسون صابرا في السيارة . حدث نضال نفسه ، وعيون الاطفال الثلاثة باكية تلاصقه ، وتعب بدأ يراوده ، ورغبة في القيء لم تتحقق وعرق يتصبب من الجبهة والاطراف ، وخدر خفيف ، وغمامات بألوان

Digitized by Birzeit University Library

البلد تحوم بالمكان .....

وها هي كبرى مدن العرب بكامل زينتها

كعروس تزف لعريسها الذى طالما انتظرته وسط

زغاريد الصبايا واهازيج الفرح، والفقراء سكارى

بنشوة فرح طفولي، وفي ساحة البلد الرئيسية

تتباهى بأشعة قمر بيضاء يتحلق الفقراء حول

ملهم حسين الاهوازى بعباءته البيضاء

ووجيه الذى يشع نورا فياضا، كان يعلمهم

تعاليم الارض، يلتفت الجميع الى وجوده

يحتضنوه ويجلسوه بينهم ويلقي له المعلم

بابتسامة انتشرت في نفسه حبورا وطمأنينة،

كي المعلم يحتضن الفلاح المصرى صاحب

الذراع البتيمة، ولا احد يدرى كم طال ذلك

الزمن، وفجأة تلبدت السماء بغيوم داكنة

سوداء ،وريح صفراء هبت على المكان ونباح

كلاب مسعورة سمع من بعيد، وتزداد الريح

شراسة تتطيرً الفقراء وتطير عباءة حسين

الاهوازى ولكنه يبقى ملتصقا بالارض، متوحدا

بها، وضحكة ماجنة تعلو في الافق ليخبو ضوء

القمر وتعم الظلمة المكان ، كانت ضحكة

السلطان الذى امر كلابه بامساك معلم الفقراء

وتقطيعه نتفا بحجم نوى البلح ونشره في كل

زوايا الارض خوفا من ان يتجمع ثانية .

صراخ وعويل وذعر في كل الانحاء وريح

سوداء مليدة بغيوم سوداء ولكن لا مطر

تنشر العدينة كفاهرة لطخت وجهها بكل اوساخ

العالم، تقف على ناصية الحزن الليلي

لتلتقط متخما بالنفط وبالدولار، ليشبع رغبة

سادية فيه، وقطرة دمع تسقط من عيني نضال

لتستقر على شعيرات شاربه الشابة،

ويفيق نضال على صوت خشن ولكزة قاسية

في كتفه، كان صوت ضابط الحدود يسأله عن

جواز سفره، تعبث اصابع نضال في حقيبته

السوداء الصغيرة لتلتقط وثيقة سفره ، فتسقط

صورة أخيه صاحب العينين الرابضتين هناك

خلف قضبان الاسر على ارضيه السيارة .

يلتقط الضابط وثيقة السفر ويقلب اوراقها

ويحرك قدما ليدوس الصورة قبل ان تمتد

اليها اصابع نضال .

ملاحظة لا بد منها :

سألت فقيرا في العراق كان يتسول ثمن

رغيف ، ولحظة حرية عن سبب انتشار النخيل

في ذلك البلد، فأجاب وحزن يقطر من كل

ملامحـــه .

ـ منذ مئات السنين مر على هذا البلد رجل

اتقن تعاليم الارض، فعلمها، فاغضب ذلك

السلطان فامر بتقطيعه نتفا بحجم نوى البلح

ونشره في كل الزوايا . ومن كل قطعة من جسده

نبتت نخلة، حملت ثمارا ما زلت تراها حتى

اليوم وما زلت اتسولها .

Digitized by Birzeit University Library

قصص قصيرة جداً ...

عمر حمش

أصل الشوكة

هتفت الزهرة المتمردة :

– أنا لن اذبل في المساء .

جاء سلطان الطبيعة، فزعت الزهرات، اختبأت في الاوراق، لكن زهرة صرخت من جديد :

– أنا لن اذبل في المساء .

زمجر السلطان، هوى سوطه على الزهرة، ظل يرتفع ويهوى، وظلت الزهرة تردد :

– أنا لن اذبل في المساء .

اشتد غيظه ، رفع قدمه المفلطحة، داس الزهرة المتمردة، هرسها ، جمعت الزهرة فتاتها ، عجنته، غاصت في التربة ، انبثقت ثاقبة الارض من جديد ، وكانت شوكة تنغرز في بطن القدم المفلطحة، فهرب السلطان .

يوم قتل محمد عياش

يصفر الرعب في المدينة ، تغطس في السكون المخيف ، الناس سردين في البيوت، لا حركة في المدينة لا حياة، بساطير في الشوارع تحوم ورطن غريب، حظر التجول يجثم على النفوس ،يكتم الانفاس، محمد عياش شاب تتلاطم في عروقه الدماء، تتدفق ، تكاد تثقب الشرايين، يجول في فناء البيت ، يطوف فيه ،حظر التجول كريه بغيض ا يحتمله محمد عياش، ايوان يأخذان ركنا في الفناء ، ينفخان انفاس الصبر فيه ، ينتظران وطفل لم يتيبس بعد ساقه ، يحبو هنا وهناك يصرخ الطفل، يرنوالى الباب، اربه تحاصرهم البساطير والرطن الغريب، ص محمد عياش تطفو فيه الدماء، تنفلت فجا الى الباب ساقاه، يصبح في الشارع، تزمـ حنجرتا الوالدين، تحملق عيونهما في فرا الباب ، تأتي الطلقة مسرعة، سهم رصاص نار لا يتأخر ،ينفجر دماغ الشاب، يطفح د احمر قان، يترنح برهة، يسقط في الشارع يسقى الارض دما فتمنحه الارض فراشا .

رايـــــة

سألوه : كم ولدا انجبت ؟

Digitized by Birzeit University Library

قال : عشرة ١١

قالوا : وما حاجتك لعشرة ذكور ؟ .

قال : خمسة يذبحهم اخوتنا من الخلف ،

واربعة تسقي دماء صدورهم ارض الوطن .

قالوا : والعاشر ؟

قال : يصل بالراية الى مدينة كانت يظلل جنباتها البرتقال والياسمين .

الطفـــل والبحـــــر

ضرب البحر الطفل ، لطمته امواجه ، دخل الماء الى حلقه ، بصق الماء المالح ، شتم البحر وخطا فيه ، دحرجه البحر الى رمل الشاطئ ، جرت قدماه الحافيتان على الرمل ، لمسته الشمس ، هتف :

- احب البحر والشمس .

لكن الشمس اقتربت من البحر ، لامسته ، اصرت وراح شعاعها ، هتف الطفل :

- ماذا يحدث للشمس ؟

تعطت الشمس وصارت قربه ، قبض البحر على الشمس ، التهمها ، ضاعت الشمس في الافق البعيد .

صرخ الطفل :

- خرب البحر الشمس ١١ ملعون انت يا بحر

ذهبت آخر خيوط الضوء ، تلون البحر بالسواد فبكى الطفل وتمتم ١.

- ملعون انت يا بحر ،، انت الذى شربت الشمس .

حـــــب

تفرد شفتاها ، تبتسم ، تتعلق عيناى بخلال اسود يتطاير في النسمات وتسقط على الكتفين ، العنق رخامي يا سرني، مشاعر عشق قاتلة تقفز في اقصى اعماقي ، تزحف عيناى والهي اليها ، تتسلقها انفاس، كيف لم أعشق من قبل امرأة في بلادى ، اتجاوز خوفي فابحر بعينيها ، تصطف الرموش اشواكا جميلة ، تنخسني ، تتسع العينان ، تكبران لي ، فاغوص مرحا ، اطوف بجمال العينين ، يكبر مرحى ، أخطو طفلا غير عابئ بالدنيا .

أتوقف فجأة غطاني ، اجفل مرتعشا ، كان هناك في عمق المقلتين يتربص بي ، يرقبني ، امير ثيابه الكاكي والعتاد ، يعاودني وعيي ، وتلبسني الهموم .

طفولـــــــــة

الطفل يفرغ طاقته في وسخ الشارع ، تدور الداورية في الاركان ، تبحث عن متمرد او عاص ، من يجرؤ اويتحامق فليرفع هامته ، الضابط جبار ، جاء يدوس المخيم بقدميه ، يخنقه الضابط لو يشاء ، او يتركه يتنفس ان رغبت عظمتـه .

فالداورية جاءت في ذات اللحظة ، حيث الطفل يلف ويسقي الشارع بولا ، يصنع للضابط دوائر تشبه طاقيته .

فرغ البول ، لكن الطفل لم يتوقف ، ظل يدور على حاله ، يشهر للضابط ثورته .

هاجمت الداورية الطفل ، فلص الطفل كحبة ملح في الشارع ، غلى جوف الضابط ، نفخ هواء ساخن ، سار فجاء الطفل ، شيطان ضرب بقدميه قناة عارية وطار ، اصطبغت اثواب الجند بالوسخ الاسود ، زعقوا واحمرت عينا الضابـط .

ظل الطفل يجيء ، يتسابق في الطرقات مع الداورية ، ينقر للضابط بين الفينة والفينة جمجمته ، يكويه بلسانه وحجارته .

ضاع جبروت الضابط ، صاريترقب لحظة نفاذ زمن داوريتـه .

Digitized by Birzeit University Library

مـــــد وجـــــزر

يأتي المد فيمتد الانتهازى يسارا ، يغادر قمقمه ، يطلق شارب وجهه ، يصبح ثوريا ، يشهر في النابين جملا حماسية، يلهبهم ، ينتفخ الثورى، يتكرش عوده، يصبح طبلا رنانا ، يتغنى بالمد الدافق .

يغيب المد ، يدهمنا الجزر، يزول ي
وجه الثورى شاربه، يبحث عن قمقم يدخل
يصنع لحية، يصف يمينا ، يشهر في النا
لحيته.

ويظل الانتهازى يترقب مدا يأ
فيستثمره .

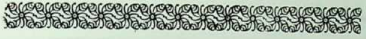

Digitized by Birzeit University Library

لا مكان عندي لحزني

يوسف حامد

ألقي على جثتي لحزني
تعيني ولن يصيبني
وامشي الا ما كتب
مان لي عليّ
الرمل بعد
ان ارقص فيه تحيتي
وأثير غباري افتحوا جثتي
نفسي الدود يمشي
مان لي لقلبي
ان اغني ولساني
حبيبتي ويدي
وبعدي أشهد ان الدود
له ما له
ألقي .... في الزمان العنيد
تعيني له ما له
وامشي صف من عسكر
من الحب غبي
أصابني له ما له
ما اصابني من نساء
يمارسن
افتحوا وجهي بالطهر
وادخلوه عهرا
لا مكان عندي وبالعهر

Digitized by Birzeit University Library

يقتلـــن وردا
.....
يقتلـــن حتـى دمـي
لـه مـا لـه
مـن مـوج بحـر
يفيـــض
علـى مستقبـل
المـدن النائمـة
... مـن يكـن
في المـدن النائمـة
يجـد ظلـي قبلـه
يلاحقـه
الـدود يمشـي
ومـن
فـي القـاع
فـي القـاع
لـن يصيبنـي
الا مـا كتـب
عليّ
بعـد

تحيتـي لجثتـي
سأعطـي
للحـب
بالـي
وشوشـات المـوت
تحملنـي
وصوتـي
ضـد
الوشوشـات
ضـد
مـن هربـوا
مـن الحـرب
ليعلنـوا
فجـأة
قيـادات
تسقط كل قيادات هذى الثاكل
سأعطـي
للحـب بالـي

• تحيـا المقاومـة

Digitized by Birzeit University Library

تجربة الحزب الاشتراكي اليمني
الدروس والعبر

د . زياد ابو عمرو ـ جامعة بيرزيت

يشكل تأسيس الحزب الاشتراكي اليمني نمطا جديدا من انماط بناء الاحزاب الثورية في " العالم الثالث " . فهذا الـ... لا يتكون من اعضاء انتموا في السابق الى تنظيم سياسي واحد وذى ايديولوجية واحدة . كما ان نشأته مثلت شكلا تنظيميا ارقى من اطار " الجبهة الوطنية" التي تضم تحت لوائها مجموعة من الاحزاب السياسية تحتفظ في العادة ببنائها واستقلالها التنظيمي . جاء قيام الحزب نتيجة لانصهار ثلاثة احزاب سياسية في اطار حزب واحد يتبنى ايديولوجية واحدة هي الماركسية ـ اللينينيـة .

عرف اليمن الديمقراطي في الفترة التي سبقت الاستقلال حوالي ١٢ حزبا سياسيا رئيسيا . تقلصت هذه الاحزاب بعد الاستقلال الى ثلاثة فقط هي " الجبهة القومية" و " الاتحاد الشعبي الديمقراطي" و " حزب الطليعة الشعبية" . وبينما لم يجر الاعتراف رسميا او دستوريا بالحزبين الاخيرين حتى تاريخ انصهارهما مع " الجبهة القومية" في اطار الحزب الاشتراكي اليمني ، فان وجودهما كان مقبولا ومتحملا من قبل الجبهة القومية التي كانت تحكم البلاد .

سوف نتتبع في الجزء التالي من هذه الدراسة التطورات الايديولوجية والتنظيمية والسياسية التي وقعت داخل كل حزب من الاحزاب الثلاثة ، وما صاحب ذلك من حوارات على مدى عقد من الزمان ، تلك التطورات التي جعلت الاتفاق بين التنظيمات الثلاثة لانشاء الحزب الاشتراكي اليمني عام ١٩٧٨ امرا ممكنـا .

١ـ الجبهـة القوميـة :

لم يكن هناك ما يوحي عند تأسيس الجبهة القومية بأنها ستتحول الى حزب ماركسي ـ لينيني (١) . الا ان مجموعة من العوامل المتفاعلة جعلت عملية تطور الجبهة

Digitized by Birzeit University Library

ايديولوجيا وسياسيا امرا محتوما . من اهم هذه العوامل الحياة السياسية النشطة التي شهدتها عدن، وحرب التحرير التي ادت الى الاستقلال، والدور الذى لعبته الحركة العمالية والنقابية ، بالاضافة الى التحولات الفكرية والايديولوجية التي طرأت على قادة الجبهة، وعلى قادة حركة القوميين العرب قبل ذلك في مؤتمر الحركة الذى عقد في بيروت عام ١٩٦٦ . وكان لهزيمة الانظمة العربية القومية عام ١٩٦٧، التي كانت ايضا بمثابة هزيمة للفكر القومي العربي كما جسدته هذه الانظمة، اثر في حدوث هذا التحول .

شهد المؤتمرالاول للجبهة القومية الذى عقد في تعز بالشطر الشمالي من اليمن في شهر يونية (حزيران) ١٩٦٥ اول تحول رئيسي في ايديولوجية الجبهة . في هذا المؤتمر تبنت الجبهة " ميثاقا وطنيا " كان اكثر راديكالية من " الميثاق الوطني" الذى تبناه الاتحاد الاشتراكي العربي فيمصر عام ١٩٦٣ والذى كانت الجبهة القومية قد تأثرت به في الاساس . ذكر الميثاق الجديد بأن الجبهة القومية ستكون الاطار التنظيمي لكافة قطاعات الشعب العاملة في عملية البناء الاجتماعي على الطريق الاشتراكي (٢). وتحدث ميثاق الجبهةلاول مرة عن البرجوازية المستغلة وعن ضرورة مقاومة الوجود الاستعمارى ومصالحه وقواعده ومؤسساته في البلاد . وحدد هدف الثورة بالتحويل الجذرىللواقع الاجتماعي الذى خلقه الاستعمار وبناء حياة جديدة وعلاقات جديدة على المستويات المحلية والاقليمية والقومية والدولية. تقوم على المبادئ التالية : التحرر الاقتصادى التام من رأس المال والاحتكارات الاجنبية المستغلة، واعادة بناء الاقتصاد الوطني على اساس جديد ينسجم مع مبادئ العدالة الاجتماعيةوسيطرة الشعب على موارد ثروته الوطنية ووسائل انتاجه ، وتنظيم القطاع الخاص ليلعب دورا بناءا في اطار خطة عامة للتطور الاقتصادى والاجتماعي (٣). لقد مثل الميثاق الوطني قفزة كبرى بالمقارنة بالبرامج السياسية والايديولوجية لحركة القوميين العرب، الا انه مع ذلك لم يكن متماسكا من الناحية النظرية. فهو لم يعط مفهوما محددا للاشتراكية التي اشار اليها ولم يؤكد بشكل واضح وكاف على اهمية دور ومكانة الطبقة العاملة في المجتمع .

أدرك قادة الجبهة القومية ان الكفاح المسلح من اجل الاستقلال كان بحاجة الى نظرية ثورية يهتدي بها . كما ادركوا ان ايديولوجية حركة القوميين العرب كانت بحاجة الى مراجعة لانها تميزت بالغموض واحيانا بالشوفينية ، وكانت تعكس مصالح البرجوازية الصغيرة في العالم العربي (٤).

ومنذ البداية برز داخل قيادة الجبهة القومية تياران كانا انعكاسا لوجود اتجاهين متمايزين داخل حركة القوميين العرب الام . عرف التيار الاول بـ"تيار الداخل"، وكان يشير الى تلك المجموعة منقادة الجبهة التي كانت تخوض الكفاح المباشر ضد الاستعمار البريطاني في البلاد . واحتلت قيادة هذا التيار الصفوف الثانية في قيادة الجبهة وجاء عناصرها من اصول اجتماعية فقيرة . وكانت اول من تقدم بافكار ثورية جديدة وحظيت بشعبيةكبيرة بسبب ممارستها اليومية (٥). ويمكن الاستنتاج من خلال قراءات هذا العناصر التي شملت كتابات كل من لينين الحصرى وغارريبالدى وماتزيني وفرانس فانون وماو وبعض الادبيات الماركسية انها كانت ذات نزعة ماركسية او قريبة منها . يقول احد الكتاب العارفين بشؤون الجبهة القومية :

" مرت الجبهة القومية نفسها في عملية تجذير تدريجي بعد ١٩٦٣ حين تبلورت

Digitized by Birzeit University Library

مجموعة نضالية صلبة في ساحة النضال اطلق عليها اسم 'القيادة الثانية' . هذا التبلور ادت اليه عوامل عديدة : فتطور الكفاح المسلح في الجبال وفي عدن كشف الحدود الضيقة للفكر القومي السابق، واجبر الناطقين الجذريين على تطوير مفاهيمهم الثورية ودراسة الادبيات الماركسية والتجارب الثورية الاخرى التي عانت مثل هذه المشاكل من قبل . وحقيقة ان الكوادر القيادية اضطرت الى الاختفاء والعمل السري فترات طويلة في عدن، مكنتها من الدراسة والتطور . كذلك اجبر الخمود التدريجي للحماس الناصري وتقلب السياسة الناصرية هذه الكوادر على تطوير نظريات الاعتماد على الذات سياسيا وعسكريا وماليا ، اضافة الى هذه العوامل المحددة ، عززت هذا المعنى عملية 'تجذر' حركة القوميين في كل انحاء العالم العربي ، والمناخ السياسي الدولي الذى ساد اواسط الستينات (نهوض النضال الفيتنامي والثورة الثقافية في الصين ونفوذ كوبا) "(٦).

ويشير الكاتب الى دور الاتحاد الشعبي الديمقراطي في عملية تجذير مواقف ومفاهيم الجبهة القومية حيث قام الاتحاد بدعم الكفاح المسلح ووضع " خبرته الايديولوجية والتنظيمية تحت تصرف الكوادر الشابة في الجبهة القومية ، بقيادة عبدالله باذيب . وقد تعاون نقابيو الاتحاد مع الجبهة القومية واثاروا بذلك حقدا مريرا ضدهم من قبل جبهة التحرير "(٧).

شكلت مجموعة " تيار الداخل" كل من عبد الفتاح اسماعيل وعلي ناصر محمد ومحمد صالح مطيع وسالم ربيع علي وعبد العزيز عبد الولي (٨). اما التيار الثاني فعرف ب " تيار الخارج" ورأسه قحطان الشعبي . وكان من اعضائه كل من فيصل عبد اللطيف الشعبي وطه هتيل وعلي السلامي . وقد امضى هؤلاء معظم وقتهم خارج اليمن الجنوبية وكانوا منشغلين بشكل اساسي في مجال الدعاية والاعلام والعلاقات الخارجية ، ولم يكن لهم علاقة مباشرة بالكفاح المسلح. ظل هذا التيار اسيرا للايديولوجية التقليدية لحركة القوميين العرب . وربما كان ذلك بسبب العلاقة الوثيقة لاعضاء هذا التيار بكل من مصر والشطر الشمالي من اليمن .

ويمكن ارجاع جذور الخلافات والانقسامات وحملات التطهير في صفوف الجبهة القومية وقيادتها ، وكذلك التطورات الايديولوجية والسياسية والتنظيمية اللاحقة الى وجود مثل هذين التيارين . وعلى الرغم من فترات المصالحة والتفاهم المرحلي بين التيارين لم يتيسر للطرفين حسم مسائل الخلاف والتناقضات بينهما بسهولة . تركزت نقاط الخلاف حول الموقف من الماركسية والعلاقات مع الناصرية وحول العلاقات بين زعماء الجبهة في الخارج في القاهرة وتعز وبين قيادات الداخل .

لم يسهم المؤتمران الثاني والثالث للجبهة القومية في تطوير الجبهة من الناحيتين الايديولوجية او التنظيمية على الرغم من ان نتيجة هذين المؤتمرين كان لها في النهاية اثر في تحديد الاتجاه العام للجبهة القومية والبلاد بشكل عام . ركز المؤتمران على السياسات الداخلية للجبهة وعلى مسألة اندماجها في " جبهة التحرير" والانسحاب منها . جرى في المؤتمر الثاني الذى عقد عام ١٩٦٦ طرد الاعضاء القياديين الذين وافقوا على الاندماج في جبهة التحرير وهم طه مقبل وسالم زين وعلي السلامي . كما تم طرد قحطان الشعبي وفيصل الشعبي بسبب مسؤوليتهم عن عملية الدمج . وفي المؤتمر الثالث الذى عقد في نفس العام جرى اعادة قحطان الشعبي وفيصل الشعبي الى صفوف الجبهة بعد اقرار الانسحاب من جبهة التحرير

Digitized by Birzeit University Library

التي وصفتها كوادر الجبهة القومية بأنها "حليف برجوازي متخلف غير قادر على المضي قدما في النضال من اجل التحرر الوطني "(٨).

وفي بيان اصدرته يوم الاستقلال اعلنت الجبهة بأنها " سوف تعمل في المرحلة المقبلة على بناء حزب طليعي عقائدي قادر فعلا على مواجهة اعباء هذه المرحلة" ، دون ان تحدد بشكل دقيق خصائص هذا الحزب (٩) . كما اعلن البيان بأن الجبهة تعتبر نفسها قائدة الثورة والسلطة العليا وانها التنظيم السياسي الوحيد في البلاد " وقد عنى ذلك عمليا اتباع نظام الحزب الواحد وحظر التنظيمات السياسية الاخرى بما فيها التنظيمات التقدمية "(١٠).

تكونت الحكومة الاولى بعد الاستقلال في معظمها من قيادة جناح الخارج برئاسة قحطان الشعبي . وكان من الواضح ان هذا الجناح لم يكن معنيا باحداث تحولات جذرية في الدولة او المجتمع . فبدلا من ان يسعى قادة هذا الجناح الى تدمير اجهزة الدولة القديمة حاولوا حل اجهزة الجبهة القومية العسكرية وسعوا الى تعزيز وضع الجيش وجهاز الشرطة (١١) . استمر التوتر بين هذا الجناح وجناح الداخل حتى وصل ذروته اثناء انعقاد المؤتمر الرابع للجبهة الذى عقد في مدينة زنجبار

في شهر مارس (اذار) ١٩٦٨. مثّل هذا المؤتمر منعطفا رئيسيا على طريق التطور الايديولوجي والسياسي والتنظيمي للجبهة القومية . تركز الخلاف في المؤتمر بين جناحي الداخل والخارج حول طريق التطور الذى يتوجب على البلاد ان تتبناه . فبينما حاولت قيادة جناح الخارج التي كانت تقف على رأس السلطة بزعامة قحطان الشعبي تنظيم المجتمع على اساس برجوازي او شبه اقطاعي يحافظ على المؤسسات والعلاقات الطبقية التي كانت قائمة في المجتمع قبل الاستقلال (١٢) ، مع احداث بعض التغييرات الشكلية، اراد قادة جناح الداخل الراديكاليون من جهتهم تبني وتطبيق برنامج من التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الثورية بشكل فوري يكون من شأنه هدم ركائز المجتمع القديم ووضع الاسس لبناء مجتمع جديد . وصل الخلاف بين الجناحين الى نقطة اللاعودة وبذلك تم وضع المقدمات لقيام الحركة التصحيحية في ٢٢ يونيه (حزيران) ١٩٦٩ والتي جاءت منسجمة ايضا مع ما كان يحدث من تمايز وحسم ايديولوجي في الافرع الاخرى لحركة القوميين العرب الام (١٣) ، او التنظيمات القطرية التي كانت قد تحولت اليها بالفعل .

وكان جناح الداخل قد فرض برنامجه في مؤتمر زنجبار الامر الذى اثار جناح الخارج بقيادة قحطان الشعبي الذى قام بتدبير محاولة انقلابية للتخلص من جناح الداخل واعتقال مجموعة من قياداته . ولكن جناح الداخل افلح في النهاية وبدعم من الفصائل المسلحة وقواعد الجبهة في اجبار قحطان الشعبي على التراجع عن الاجراءات التي قام بها والانصياع الى مقررات المؤتمر . الا ان تيار الخارج لم يتوقف عن محاولات التخلص من جناح الداخل التقدمي مما اضطر هذا الاخير الى القيام بالحركة التصحيحية في شهر يونية (حزيران) عام ١٩٦٩ والتخلص من جناح قحطان الشعب .

ومع ذلك لم يكن قادة جناح الداخل متجانسين تماما من الناحية الايديولوجية . فقد وجد داخل هذا الجناح عدة اتجاهات متباينة ولو بشكل طفيف احيانا . وربما شكل ذلك سببا اضافيا لوقوع الخلافات والصراعات اللاحقة في صفوف قادة الجبهة . كانت هناك مثلا المجموعة الاقرب الى ايديولوجية

Digitized by Birzeit University Library

الاشتراكية العلمية والتي انحازت الى قيام تعاون اوثق مع ماركسيي الاتحاد الشعبي الديمقراطي . وكان على رأس هذه المجموعة عبد الفتاح اسماعيل . وكانت هناك مجموعة اخرى ارادت اسقاط حكومة قحطان الشعبي بواسطة العنف، ومجموعة ثالثة بقيادة سالم ربيع علي اتسم موقفها بالبراجماتية تارة وبالتطرف اليساري تارة اخرى .واخيرا كانت هناك مجموعة رابعة مكونة من عناصر يمينية محافظة وقفت الى جانب التيار اليساري، ليس لاعتبارات ايديولوجية ، ولكن بسبب عدائها لقحطان الشعبي وقيادة الجيش والشرطة، او بسبب ارتباطات قبلية (١٤).

قدم عبد الفتاح اسماعيل بالنيابة عن الجناح الراديكالي، الى المؤتمر الرابع مجموعة من الوثائق حدد فيها الطابع الطبقي للدولة الجديدة ، من بين موضوعات اخرى: "والمسالة المركزية في الثورة الاشتراكية هي سلطة العمال والفلاحين الفقراء والجنود في دولة الديمقراطية الشعبية وذلك لان الدولة هي آلة قهر طبقي بيد طبقة او تحالف طبقات ضد طبقة او تحالف طبقات ، ومن هنا فان الدولة المؤهلة لاخذ وتنفيذ البرنامج الاشتراكي هي دولة جديدة تقوم وتبنى على انقاض الدولة القديمة .. دولة العمال والفلاحين الفقراء والجنود ضد الاقطاعيين واغنياء الفلاحين والرأسمالية الاجنبية والمحلية "(١٥).

واكدت الوثائق على اهمية تبني طريق تطور غير رأسمالي كمقدمة لوضع البلاد على عتبة الاشتراكية، ولان طريق التطور البرجوازي هو طريق الارتماء في احضان الاستعمار الجديد لوضع البلاد في قبضة الثورة المضادة.

واشارت الوثائق الى ان معضلات الثورة الوطنية الديموقراطية والانعتاق من التبعية للسوق الرأسمالي العالمية لا يتأتى الا من خلال تبني طريق تطور غير رأسمالي (١٦).

نبه عبد الفتاح اسماعيل في الوثائق التي قدمها الى المؤتمر الى خطورة تعليق الامال على البرجوازية الصغيرة . فهذه الطبقة ليس فقط غير قادرة على حل معضلات التحرر الوطني والثورة الوطنية الديموقراطية كما اثبتت " التجربة المصرية والتجربة الجزائرية والتجربة العراقية والتجربة السورية"، بل انها ايضا تخشى " المطالب الشعبية العمالية والفلاحية الفقيرة " بمقدار ما تخشى" التمركز الاقطاعي والرأسمالي" وتقف" في التحليل الاخير مع مصالحها الطبقية "(١٧). وذكر عبد الفتاح اسماعيل " ان الطبقة البرجوازية الصغيرة واحزابها التي كثيرا ما تسمى بالاحزاب والجبهات الاشتراكية (الاتحاد الاشتراكي المصرى، حزب البعث، جبهة التحرير الجزائرية ...) هي في حقيقة مواقعها الطبقية والايديولوجية لا علاقة لها بالاشتراكية، لا علاقة لها بالسياسات الطبقية الجذرية .. سياسات العمال والفلاحين الفقراء والجنود " (١٨).

طالب اسماعيل المؤتمر بتحديد موقف من الخيارات المطروحة : " نظريا علينا ان نحدد اين نقف نحن كقيادات واين نقف كتنظيم ، مع الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية ام مع التطور البرجوازي او البرجوازي الصغير .. مع الثورة الاشتراكية او مع طريق التطور البرجوازي الرأسمالي او البرجوازي الصغير ... وبكلمة محددة اين نقف، مع الثورة ام مع الثورة المضادة . ولاوسط بين الثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية وبين الثورة المضادة ، لا وسط بين الاشتراكية والرأسمالية، لاوسط بين العمال والفلاحين الفقراء والجنود ، وبين الاقطاع واغنياء الفلاحين والبرجوازية الاجنبية والمحلية الطفيلية العميلة "(١٩).

Digitized by Birzeit University Library

ومن القضايا الاخرى التي اكد عليها اسماعيل في الوثائق التي قدمها للمؤتمر ضرورة القيام بالاصلاح الزراعي وتأميم الشركات الاجنبية او المملوكة من قبل البرجوازية الوطنية الكبيرة وتأميم الميناء وانشاء مجالس شعب محلية ومجلس شعب اعلى وخلق قيادة جماعية للبلاد بدلا من رئيس للجمهورية. ودعت الوثائق الجبهة القومية الى تبني الاشتراكية العلمية واقامة علاقات وثيقة مع الدول الاشتراكية .

وعلى صعيد آخر دعت الوثائق الجبهة القومية اعطاء الحزبين الرئيسيين الآخرين في البلاد، الاتحاد الشعبي الديموقراطي والبعث ، الحق القانوني للعمل بشكل علني، ودعت الجبهة الى اقامة علاقة تعاون وثيق معهما يؤدي الى اقتسام السلطة ومن ثم تحقيق الوحدة بين التنظيمات الثلاثة (٢٠) .

وبعد الحركة التصحيحية مباشرة جرى استئناف الحوار بين الجبهة وكل من الاتحاد الشعبي الديمقراطي والبعث (الطليعة الشعبية) وسمح لممثلين عن هذين التنظيمين الاخيرين بالمشاركة في الحكومة . فقد اصبح عبدالله باذيب، زعيم الاتحاد الشعبي الديمقراطي، وزيرا للتعليم والارشاد، بينما اصبح زعيم البعث، انيس حسن يحيى ،وزيرا للاقتصاد. وسمح لهذين الحزبين بالنشاط في اطار النقابات ومنظمات الشباب والطلاب وغيرها من المنظمات الجماهيرية .

جاء قيام الحركة التصحيحية وانتصارها ليرسخ خيارات الجناح الثورى في الجبهة القومية كما حددها عبد الفتاح اسماعيل في المؤتمر الرابع . ولكن تبني هذه الخيارات لم يتم بشكل رسمي الا في المؤتمر الخامس للجبهة الذى عقد في مارس (آذار) ١٩٧٢. تم في هذا المؤتمر اقرار برنامج الجبهة القومية لمرحلة "الثورة الوطنية الديموقراطية".

وقد اوكل البرنامج مهمة انجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية الى تحالف من العمال والفلاحين والجنود والمثقفين الثوريين والبرجوازية الصغيرة، على ان يقوم هذا التحالف تحت قيادة الطبقة العاملة وطليعتهـــا (٢١).

وعلى الرغم من ان المؤتمر الخامس للجبهة اشارالى ان الحزب الطليعي هو الضمان الوحيد لانجاز مهام الثورة المرحلية والتاريخية ، اعتبر المؤتمر التنظيم السياسي للجبهة القومية اداة الثورة الوطنية الديمقراطية باعتباره " الاطار العريض الواسع بين كل القوى الديمقراطية صاحبة المصلحة الحقيقية في الثورة الوطنية الديمقراطية من عمال وفلاحين وجنود ومثقفين ثوريين وبرجوازية صغيرة "(٢٢). ومن الواضح ان مثل هذا الموقف كان يعاني من بعض القصور النظرى . فالتنظيم السياسي للجبهة القومية لم يكن الاطار السياسي الذى استوعب كافة القوى الديمقراطية في البلاد، والاشارة هنا هي بالتحديد الى الاتحاد الشعبي الديمقراطي، التنظيم الماركسي الوحيد في اليمن حتى ذلك الحين. كما ان الادبيات الماركسية تحدد بوضوح تام ان اداة انجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية هي حزب طليعي للطبقة العاملة (٢٣). وربما جاء اقتراح عبد الفتاح اسماعيل بأن يعمل التنظيم السياسي للجبهة القومية على تحويل نفسه الى حزب طليعي يتبنى ايديولوجية الاشتراكية العلمية بسبب ادراكه لمثل هذا القصـــور النظـــرى (٢٤).

ومع ذلك فان المؤتمر الخامس للجبهة يعكس في عموميته التوجهات الايديولوجية التي قامت على اساسها الحركة التصحيحية عام ١٩٦٩ . ففي هذا المؤتمر جرى الاعلان عن تبني الاشتراكية العلمية، الامر الذى يمثل

Digitized by Birzeit University Library

طورا نوعيا عما كان عليه الوضع اثناء انعقاد
المؤتمر الرابع . وعكس المؤتمر ايضا نوعا
من الانسجام والتجانس الايديولوجي بعكس
المؤتمرات السابقة التي سيطرت عليها
الخلافات والنزاعات بين الاجنحة المختلفة
في الجبهة القومية .

وجرى في المؤتمر السادس للجبهة
القومية الذي عقد في مارس (آذار) ١٩٧٥
التأكيد على الخط الايديولوجي للتنظيم
السياسي للجبهة القومية والتأكيد على اهمية
الايديولوجية الثورية. فطبقا لاسماعيل،
فليس هناك حركة ثورية بدون نظرية ثورية
(٢٥). وكان من اهم انجازات المؤتمر
السادس قرار الجبهة القومية بالموافقة على
الوحدة مع التنظيمين الاخرين في البلاد ،
الاتحاد الشعبي الديمقراطي وحزب الطليعة
الشعبية (البعث سابقا) . وكان هذان الحزبان
قد اتخذا قرارات مشابهة من مسألة
الوحدة مع الجبهة القومية . او كل
هذا المؤتمر للجنة المركزية للتنظيم
السياسي للجبهة القومية مهمة الاستمرار في
الاتصالات لتحقيق الوحدة، وأوصى بالاعداد
لعقد مؤتمر توحيدي بين التنظيمات الثلاثة
يعقد في شهر سبتمبر (ايلول) عام ١٩٧٥ (٢٦) .

٢- حزب الطليعة الشعبية :

بدأت بوادر التحول الايديولوجي
التنظيمي للبعث في اليمن الديمقراطي بعد
عام ١٩٦٣ عندما تسلم البعث في المنظمة
الام السلطة في سوريا . وقد اعقب ذلك
حدوث مراجعة ايديولوجية في صفوف افرع
الحزب في الاقطار العربية المختلفة بما في
ذلك اليمن الديمقراطي . شعرالبعث بضرورة
مراجعة مواقفه بشكل خاص في اعقاب قيام
الجبهة القومية عام ١٩٦٣ . وشعرالبعث ايضا
بالحاجة الى تمييز مواقفه عن المواقف
السياسية لحزب الشعب الاشتراكي
بقيادة عبدالله الاصنج، خاصة وان علاقات
وثيقة كانت قد ربطت الحزبين معا في مرحلة
سابقة .

وفي شهر يوليو (تموز) عام ١٩٦٤ عقد
البعث مؤتمره الثاني لمناقشة الازمة الناجمة
عن انقسام داخل قيادة التنظيم . ولم يضع
المؤتمر حلا جذريا لهذه المشكلة . وفي
المؤتمر الثالث الذى عقد في سبتمبر (ايلول)
عام ١٩٦٥ جرت الاشارة الى المحاولات
الاولى التي قام بها البعث من اجل التوصل
الى اتفاق بشأن العمل المشترك مع الجبهة
القومية . فبينما اقر الحزب اشكال النضال
التي اعتمدتها الجبهة القومية رفض بالمقابل
موقف الجبهة المتمثل في عدم الرغبة في
قيام تحالف اعرض يشمل تنظيمات اخرى
كالبعث والاتحاد الشعبي الديمقراطي. وقد
تميزت العلاقة بين التنظيمات الثلاثة في ذلك
الحين بالشك وبخلافات سياسية وايديولوجية
جدية . ولم يكن الظرف مهيئا لحسم مثل
تلك الخلافات . كان كل من الجبهة القومية
والبعث معاديين للشيوعية، كما كانت العلاقة
بينهما غير ودية بسبب ولاء كل منهما لخطين
قوميين متناحرين هما خط عبد الناصر وخط
البعث في سوريا على التوالي .

وعندما قامت " جبهة التحرير" عام
١٩٦٦ رفضت هذه الجبهة التحالف مع أى
اتجاه كقوة تنظيمية مستقلة، واصرت على حل
هذه التنظيمات والتعامل مع اعضائها كأفراد
كشرط لدخولهم صفوف جبهة التحرير . لقد
مثل قيام " جبهة التحرير " حجر عثرة في
طريق الحوار الوطني ومصدرا من مصادر التوتر
بين تنظيم البعث في اليمن والمنظمة الام في
سوريا والتي حثت التنظيم
في اليمن على الانخراط في " جبهة التحرير".

Digitized by Birzeit University Library

ولذلك دعم تنظيم البعث في عدن نتائج المؤتمر القطري التاسع للمنظمة الام الذى عقد في سوريا عام ١٩٦٦ وكان من نتائجه طرد القيادة التقليدية للحزب وبروز قيادة شابة راديكالية .

ومنذ البداية سيطرت الازمات والانقسامات على مسيرة البعث في اليمن . وكان نتيجة ذلك ان برز في وقت لاحق اتجاهان داخل التنظيم ، يدين الاول بالولاء لسوريا ، بينما يدين الاخر بالولاء للعراق . وقد اخضع الحزب في اليمن لتقديرات وقرارات وتوجيهات من قبل المنظمة الام التي لم تستوعب او تأخذ بعين الاعتبار خصوصيات السياق اليمني . ان مثل هذه العوامل حالت دون تمكين البعث من لعب دور فعال في سياسة البلاد قبل الاستقلال وبعده . ولذلك لم يتسن للبعث ان يشكل منافسا جديا للجبهة القومية على الاصعدة المختلفة .

وبعد الاستقلال تعرض البعث في اليمن الديمقراطي الى الاضطهاد من قبل الجناح اليميني في الجبهة القومية والذى ظل مسيطرا على البلاد حتى شهر يونية (حزيران) عام ١٩٦٩ . ومع ذلك فقد بدأ البعث ، ومنذ عام ١٩٦٨ ، ينحو منحا ايديولوجيا مختلفا . فقد تحدثت الوثائق المقدمة للمؤتمر الاول للبعث بعد الاستقلال والمنعقد في شهر اغسطس (آب) عام ١٩٦٨ عند ضرورة اعادة البناء التنظيمي والايديولوجي للحزب على اساس الاشتراكية العلمية . (٢٧) سهل مثل هذا التطور عملية التقارب بين البعث والجبهة القومية في مرحلة لاحقة تالية . وتحدثت نشرة لاحقة للبعث عن ضرورة انشاء " جبهة وطنية ديمقراطية " تلتزم بالماركسية ـ اللينينية في اليمن . وحددت النشرة القوى اليسارية في البلاد كأطراف لهذه الجبهة . كما اكدت على الحاجة الى ربط النضال الاجتماعي بالنضال القومي في الخليج والجزيرة العربية (٢٨). وعلى الرغم من ان البعث في اليمن نظر الى الحركة التصحيحية داخل الجبهة القومية نظرة متحفظة يشوبها الشك في البداية ، الا انه قام بدعم الحركة على امل ان تنظر الجبهة القومية فيما بعد نظرة ودية تجاه فكرة "الجبهة الوطنية الديمقراطية" . وبعد الحركة التصحيحية واستلام الجناح اليسارى في الجبهة القومية للسلطة ، اصبح كل من البعث والاتحاد الشعبي الديمقراطي يتحركان بشكل اقل سرية .

شهد البعث في اليمن الديمقراطي تطورا ايديولوجيا مع مرور الوقت . فقد اصبح التنظيم اكثر استعدادا لتقبل الافكار الاشتراكية العلمية واكثر ميلا الى نقد الفكر القومي الذى وصف بالتناقض والقصور ، وبدأ يتحدث بشكل علني عن تبنيه للماركسية ـ اللينينية ، واخذ ينهي بشكل تدريجي علاقته مع حزب البعث الام في سوريا . وقد صاحب ذلك استئناف الحوار مع كل من الجبهة القومية والاتحاد الشعبي الديمقراطي .

وفي مؤتمره الثاني بعد الاستقلال الذى عقد في شهر يناير (كانون الثاني) عام ١٩٧١ انهى تنظيم البعث علاقته التنظيمية والايديولوجية بالحزب الام بشكل رسمي حيث قام التنظيم باسقاط شعار " امة عربية واحدة ... ذات رسالة خالدة " واصفا هذا الشعار بأنه مفرط في الرومانسية (٢٩) . وشهد عام ١٩٧٤ تحولا جديدا على صعيد التطور الايديولوجي للبعث . فقد عقد الحزب في هذا العام مؤتمرا وطنيا اعلن فيه بأنه اصبح يسترشد بالماركسية ـ اللينينية وأنه سيعمل بالتعاون مع الجبهة القومية والاتحاد الشعبي الديمقراطي على تأسيس حزب طليعي واحد في البلاد .

Digitized by Birzeit University Library

٢ـ الاتحاد الشعبي الديمقراطي :

كان الماركسيون ، ومنذ الخمسينات ، من أوائل المجموعات السياسية الداعية الى تشكيل " جبهة وطنية" تجمع كافة القوى الوطنية في البلاد. فقد دعا الاتحاد الشعبي الديمقراطي الذي تأسس عام ١٩٦١ في " الميثاق الوطني " الذي صدر مع الاعلان عن قيام الحزب الى قيام جبهة وطنية . وجه الاتحاد في هذا الميثاق نقدا للمحاولات الرامية الى ايجاد " تجمع سياسي تحشر فيه الاطراف الوطنية حشرا ، واعتبره ابعد ما يكون عن صيغة الجبهة الوطنية المنشودة .. " (٣٠).

وبعد الاستقلال ايضا كان الماركسيون السباقين الى الدعوة لقيام حزب ماركسي طليعي . ففي شهر يناير (كانون الثاني) عام ١٩٦٨ اصدر الاتحاد الشعبي الديمقراطي وثيقة يعلن فيها ان الحزب الطليعي هو الاداة الوحيدة القادرة على قيادة البلاد الى الاشتراكية . وناشد الاتحاد الجبهة الوطنية بالسعي الجاد لتحقيق مثل هذا الهدف : " ان مصلحة ثورتنا تتطلب التخلي عن الافكار الحزبية الضيقة وعن عوامل الحذر والخوف من الماركسيين ، والتخلص من روح التردد والتذبذب والخوف من انطلاقة الجماهير، والتخلص من كل ما هو من طبائع وعقلات البرجوازية الصغيرة صاحبة الاوهام القائلة عن امكانية بناء الاشتراكية بدون الاشتراكيين وفي غياب حزب طليعي يسترشد بمبادئ الاشتراكية العلمية " (٣١). واكدت الوثيقة على ضرورة ان يحتل الاشتراكيون مكانهم الطليعي في عملية البناء الثوري الاشتراكي ، وحذرت من تكرار التجارب الخاطئة التي مرت بها الشعوب الاخرى ومنها بعض الشعوب العربية : " يجب ان نبدأ من حيث انتهت تجربة مصر وسوريا لا من حيث بدأت ، ويجب ان نستخلص منها كل الدروس والعبر وان نستفيد من ايجابياتها ونتبنى سلبياتها " (٣٢). واكد الاتحاد الشعبي الديمقراطي على ضرورة تبني حلول ثورية جذرية للقضايا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المختلفة .

وفي عام ١٩٧٤ اقترح الاتحاد على الجبهة تشكيل اطار موحد للتنظيمات السياسية الرئيسية الثلاثة في البلاد على ان يحتفظ كل تنظيم ببنائه التنظيمي المستقل داخل هذا الاطار ، وعلى ان يعتبر ذلك بمثابة مرحلة انتقالية على طريق تأسيس الحزب الطليعي . واعتبر الاتحاد هذه الصيغة اكثر الصيغ ملائمة بسبب بعض التباين الايديولوجي والتنظيمي الذي كان لا يزال قائما بين التنظيمات الثلاثة. ولكن الجبهة القومية رفضت هذا الاقتراح واصرت على استيعاب التنظيمين الاخرين في اطار الجبهة القومية حتى يتحقق تأسيس الحزب الطليعي (٣٣). ومع ذلك فقد جرى التوصل الى حل وسط تم بموجبه توحيد الاتحاد الشعبي الديمقراطي وحزب الطليعة الشعبية مع الجبهة القومية في اطار التنظيم السياسي الموحد للجبهة القومية مع الالتزام باحداث تعديلات على برنامج هذا التنظيم حتى يتوافق ومبادئ الماركسية ـ اللينينية .

المؤتمر التوحيدي :

اصبحت التنظيمات السياسية الثلاثة في مطلع عام ١٩٧٥ تلتزم بالاشتراكية العلمية التزاما علنيا . وبذلك اصبح المناخ، الايديولوجي على الاقل، مهيئا لتحقيق الوحدة بينها . وفي الخامس من شهر فبراير من نفس العام تم التوصل الى اتفاق اولي بين اللجان المركزية للجبهة القومية والاتحاد الشعبي الديمقراطي وحزب الطليعة الشعبية

Digitized by Birzeit University Library

بشأن قيام الوحدة. وقد جرى التصديق على هذا الاتفاق في " مؤتمر توحيدي" عقد في شهر اكتوبر (تشرين الاول) عام ١٩٧٥ . جرى الاتفاق على ان تصبح الجبهة القومية اطارا تنظيميا انتقاليا يطلق عليه " التنظيم السياسي الموحد ـ الجبهة القومية" . وقد اعيد بناء الاجهزة التنظيمية للجبهة بشكل يسمح بالمشاركة الجادة من قبل قيادات وقواعد التنظيمات الثلاثة. كما جرى بعض التعديل على برنامج " الثورة الوطنية الديمقراطية" الذى سبق للجبهة القومية ان تبنته في مؤتمرها الخامس . وجرى كذلك تعديل الانظمة الداخلية للجبهة لمواجهة متطلبات العمل المشترك .

اتفقت الاحزاب الثلاثة على فترة انتقالية تسبق قيام الحزب تتراوح مدتها بين سنة على الاقل وسنتين على الاكثر وذلك من تاريخ عقد المؤتمر التوحيدى وحتى انعقاد المؤتمر التأسيسي الاول للحزب الطليعي . كان الاطار التنظيمي الانتقالي اكثر تطورا من صيغة "الجبهة الوطنية" لان الاحزاب المشاركة فيه لم تحتفظ بأبنيتها التنظيمية والايديولوجية السابقة . وفوق ذلك لم ينص اتفاق التوحيد على منح اى تنظيم دور التنظيم القائد كما هو الحال بالنسبة " للجبهات الوطنية " المتبناه في اقطار عربية كسوريا والعراق . وتشكل تجربة اليمن الديمقراطي في هذا السياق نموذجا فريدا على صعيد انجاز الوحدة السياسية والايديولوجية بين مجموعة من التنظيمات السياسية .

ومن المبادئ الرئيسية التي جرى التركيز عليها ضمن توصيات المؤتمر التوحيدى مبدأ " القيادة الجماعية" وضرورة مراعاة هذا المبدأ على كافة الاصعدة القيادية . كما لفت المؤتمر نظر اللجنة المركزية للتنظيم السياسي الموحد الى ان تركيب الهيئات القيادية للتنظيم لا يعكس المكانة المركزية التي يجب ان يتبوءها العمال والفلاحون في التنظيم . واكد التقرير النهائي للمؤتمر على " انه ليس هناك تعايش سلمي في المجال الايديولوجي ، والصراع الطبقي في هذا المجال ينسم بضراوة كبيرة " (٣٤) .

وفيما يتعلق بتمثيل التنظيمات الثلاثة في اللجنة المركزية والهيئات القيادية الاخرى للتنظيم الموحد فقد كان بنسبة (١:١:٤) للجبهة القومية والاتحاد الشعبي الديمقراطي وحزب الطليعة الشعبية على التوالي . وفي المكتب السياسي للتنظيم جرى تمثيل كل من الاتحاد الشعبي الديمقراطي وحزب الطليعة الشعبية بعضو كامل وعضو مرشح لكل منهما .

تأسيس الحزب الاشتراكي اليمني

استمرت المرحلة الانتقالية بين المؤتمر التوحيدى وتأسيس الحزب ثلاث سنوات بدلا من سنتين . وتطور التنظيم السياسي الموحد ـ الجبهة القومية بين عام ١٩٧٥ وعام ١٩٧٨ الى " حزب طليعي من طراز جديد " هو الحزب الاشتراكي اليمني . عقد الحزب مؤتمره التأسيسي (الاول) في شهر اكتوبر (تشرين الاول) من عام ١٩٧٨ . وبعد قيام الحزب اصبح مبدأ التمثيل النسبي (١:٤ :١) ' والذى لم يكن متكوبا في الاساس، لا يحظى اى صفة ملزمة وذلك على الرغم من استمرار مراعاته الى حد كبير خاصة على صعيد الهيئات القيادية العليا . فمن لجنة مركزية عدد اعضائها ٥١ عضوا كاملا كان نصيب كل من الاتحاد الشعبي الديمقراطي وحزب الطليعة الشعبية ٩ اعضاء لكل منهما . وفي المكتب السياسي كان هناك عضوان لكل من التنظيمين .

وجاء برنامج الحزب ليعكس خصوصية التجربة اليمنية وتجارب احزاب الطبقة

Digitized by Birzeit University Library

العاملة وخاصة تلك التي تمسك بزمام السلطة في الدول الاشتراكية .وكهدف مرحلي وضع الحزب لنفسه هدف استكمال مهام " الثورة الوطنية الديمقراطية" . وركز برنامج الحزب على سلطة الدولة بقيادة الحزب الاشتراكي اليمني باعتبارها سلاح الثورة الرئيسي واحدى الادوات الرئيسية لاحداث التحولات الجذرية في الميادين الاجتماعية والسياسية والثقافية.

وفي المجال الاقتصادي يذكر البرنامج ان الهدف الاساسي للحزب والدولة هو بناء القاعدة المادية التكنيكية لاقتصاد وطني . واعطى البرنامج دورا متزايدا للقطاع العام واشترط اشرافا حكوميا صارما على نشاطات القطاع الخاص والقطاع المختلط .

وعلى صعيد التكوين الاجتماعي تأتي غالبية قيادات الحزب واعضائه من شرائح البرجوازية الصغيرة . فالعمال والفلاحون لا يزالون يشكلون اقلية (٢ر١٣ بالمئة و ٨ر١٢ بالمئة على التوالي) (٣٥). ويعكس التكوين الاجتماعي لاعضاء المؤتمر الاول للحزب الاشتراكي اليمني مثل هذا الوضع . فبينما بلغ عدد الاعضاء من العمال والفلاحين والصيادين مجتمعين ١٣٦ عضوا ، كان عددهم من الجنود ١٤٦ ومن الموظفين والمثقفين ١٩٤ عضوا بينما بلغ عددهم من الطلاب ٢٠ عضوا (٣٦). وفي المؤتمر الاستثنائي للحزب كان عدد المندوبين من العمال والفلاحين والصيادين ١٣١ عضوا بينما بلغ عدد المندوبين من الجنود ٤٩ عضوا ومن الموظفين والمثقفين ٢٧٦ عضوا ومن الطلاب ٥ اعضاء (٣٧). وتوضح ارقام المندوبين للمؤتمر الاستثنائي تزايدا في اعداد الاعضاء المنتمين الى شرائح البرجوازية الصغيرة ، الامر الذي لا يعكس تعاظم نفوذ الطبقة العاملة او قاعدتها الاجتماعية ، والذي لا ينسجم وطبيعة السلطة السياسية في مرحلة " الثورة الوطنية الديمقراطية" التي يجب ان تعطي للطبقة العاملة وحزبها الطليعي . اصبحت البرجوازية الصغيرة ، بحكم اغلبيتها العددية، تشكل القاعدة الاعرض للحزب .

ان مثل هذا الوضع ينعكس بالضرورة على طبيعة السلطة السياسية القائمة وذلك على الرغم من تأكيد وثائق الحزب بأن افراد البرجوازية الصغيرة القائمين على السلطة يتبنون ايديولوجية الطبقة العاملة وهم بالطبع منحازون اليها . ويؤكد قادة الحزب بأن اية فجوة اجتماعية او ايديولوجية بين قادة الحزب وقواعده سوف تتلاشى مع مرور الزمن (٣٨).

مسألة " الصراعات " داخل الحزب :

سوف ننتقل الان للحديث عن مسألة حساسة للغاية وهي مسألة"الصراعات" داخل الحزب الاشتراكي اليمني . ان الحديث عن هذه القضية لا يلقى الترحاب في العادة لما يثيره من حرج . ولكن هذه المسألة على الرغم من ذلك تتطلب معالجة صريحة ومواجهة ذاتية جريئة . فليس هناك في الواقع ما يدعو الى الحرج لان اليمن الديمقراطي لم يكن البلد الوحيد في العالم الذي تقع فيه مثل هذه الصراعات ، أكان ذلك في الوقت المعاصر أم في فترات تاريخية سابقة . ان مثل هذه الصراعات محكومة بقوانين . فان ازيلت اسبابها سوف تتلاشى هي بدورها .

ان ما يميز صراعا داخليا بين اطراف السلطة السياسية (او النخبة السياسية الحاكمة) في بلد من بلدان "العالم الثالث" كاليمن الديمقراطي من ناحيةوبلد كالولايات المتحدة او حتى الاتحاد السوفياتي من ناحية اخرى هو ان الاثار المترتبة على مثل هذا الصراع في بلدان "العالم الثالث" تكون في

Digitized by Birzeit University Library

الغالب ذات اثر كبير على مسار الاحداث في البلاد . ويتجاوز هذا الاثر في العادة دور المؤسسات السياسية القائمة التي تتميز بالضعف بسبب ضعف البنى الاجتماعية ـ الاقتصادية وعدم قدرتها على خلق تراكمات من التراث السياسي، وكذلك بسبب التدخل المتكرر من قبل القيادةالسياسية وما يترتب على ذلك من تعطيل لدور المؤسسات السياسية . ففي الدولة المتطورة، الغربية منها او الشرقية على حد سواء ، يجرى احتواء ، او التحكم في ما يقع من صراعات داخل السلطة السياسية من خلال مؤسسات سياسية قويـــة .

وقبل محاولة تفسير الاسباب الكامنة وراء ما وقع في اليمن الديمقراطي من " صراعات " لا بد من استعراض اهم الاحداث التي جرت في السنوات الاخيرة والتي يشار اليها من قبل الثوريين اليمنيين على انها احداث اوجبتها ضرورة حسم اتجاه البلاد الايديولوجي والسياسي ، ولذلك نعطي مثل هذه الصراعات شكلا من اشكال التبرير الايديولوجي او التنظيمي .

جاء اول صراع (عملية تطهير) داخل الجبهة القومية بعد تأسيسها مباشرة . فقد جرى في ذلك الوقت طرد عدد من القادة القبليين من قيادة الجبهة وبعد المؤتمر الثاني للجبهة عام ١٩٦٦ جرى طرد قحطان الشعبي وفيصل الشعبي مع عدد من قادة الجبهة الاخرين وخاصة من اولئك المقيمين في الخارج بسبب مسؤوليتهم عن دمج الجبهة القومية مع " منظمة تحرير الجنوب المحتل " لتكوين " جبهة التحرير " قبل ان تجرى اعادتهم للجبهة في وقت لاحق . ولكن " عملية التطهير " التي تركت اثرا دائما على الجبهة القومية والبلاد بشكل عام هي تلك التي صاحبت الحركة التصحيحية عام ١٩٦٩ والتي اطاحت بقحطان الشعبي وواحد وعشرين عضوا آخر من قادة الجبهة . قامت الحركة التصحيحية هذه على خلفية سياسة ايديولوجية بين اتجاه " تقدمي" واتجاه "رجعي" وانتهتالمواجهة بانتصار الاتجاه التقدمي .

وفي عام ١٩٧١ تم التخلص من محمد علي هيثم الذى كان رئيسا للوزراء في "عملية تطهير" اخرى . اتهم هيثم بخلق مراكز قوى داخل الجيش وبالاعتماد على صلاته القبلية لبناء قاعدة قوة خاصة به .

وفي عام ١٩٧٨ ، وقبيل تأسيس الحزب الاشتراكي اليمني، جرت مواجهة عنيفة بين سالم ربيع علي، رئيس الدولة، وعدد من اتباعه من ناحية، وبقية قيادة الجبهة القومية من ناحية اخرى جرى على اثرها اعدام سالم ربيع وطرد اتباعه من الاطر القيادية للجبهة، وقد عزيت اسباب المواجهة الى الخلاف في التوجهات الايديولوجية بين اتجاهين، واحد بقيادة سالم ربيع والثاني بقيادة عبد الفتاح اسماعيل، بالاضافة الى خلافات شخصية . اتهم سالم ربيع، وبعد سقوطه، بالفوضوية والانتهازية اليسارية وبموقفه المتذبذب و " الطفولي اليسارى" من مسألة تأسيس الحزب، فقد اراد في بداية الامر تحويل التنظيم السياسي الموحد الى حزب طليعي بشكل فورى وطالب برفع شعار ديكتاتورية البروليتاريا . ومن ناحية اخرى، وبعدما تأكد من جدية الجهود التحضيرية المبذولة لتأسيس الحزب على مدى ثلاثة اعوام عاد ونبه الى خطورة الاعلان عن تأسيس حزب طليعي تحت ذرائع مختلفة كالقول بأن قيام حزب طليعي من شأنه عزل القادة عن الجماهير وانه سوف يؤثر على علاقات اليمن مع جيرانها ، وان الطبقة العاملة ، قاعدة الحزب الطليعي، ضعيفة ، وغير ذلك من

Digitized by Birzeit University Library

الذرائع . واقترح سالم ربيع علي اقامة حزب ديمقراطي ثوري بدلا من الحزب الطليعي . ويبدو ان سالم ربيع كان اكثر تحفظا تجاه بناء علاقة استراتيجية مع الاتحاد السوفياتي (٣٩) . ويقال انه كان يريد علاقة متوازنة مع الصين التي وجد فيها مصدر الهام ايديولوجي ، كما اراد تحسين العلاقات مع الدول الغربية وبعض الدول العربية المحافظة . ويشار ايضا الى ان سالم ربيع علي كان يعتمد على عدد من الانباع الموثوقين متجاوزا بذلك اجهزة الدولة والحزب ومتسببا في وقوع الفساد وسوء الادارة (٤٠) . وكان لاعدام سالم ربيع دلالة سيئة . فقد كانت اول حادثة " تصفية جسدية " لاحد قادة الجبهة التاريخيين وكانت بداية لاعتماد مثل هذا الاسلوب في تصفية الحسابات السياسية ، كما حدث في شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦ .

وفي عام ١٩٨٠ تم ابعاد عبد الفتاح اسماعيل ، الامين العام للحزب الاشتراكي اليمني الى الاتحاد السوفياتي بعد عملية مواجهة سلمية . وكان السبب غير المعلن لابعاده هو الحيلولة دون وقوع المزيد من الخلافات داخل صفوف الحزب . ولكن ابعاد عبد الفتاح اسماعيل لم يضع حدا للخلافات داخل الحزب مما ادى الى السماح له بالعودة الى البلاد . وفي شهر اكتوبر (تشرين الاول) عام ١٩٨٥ جرى عقد المؤتمر الثالث للحزب الاشتراكي اليمني وجرى تعيين عبد الفتاح اسماعيل سكرتيرا للجنة المركزية للحزب ، بينما احتفظ علي ناصر محمد بمنصب الامانة العامة للحزب ورئاسة الدولة ورئاسة مجلس الشعب الاعلى . واعطى منصب رئيس الوزراء ، الذي كان يحتله علي ناصر محمد الى ذلك الحين ، الى حيدر ابو بكر العطاس .

ولم يقلع المؤتمر الثالث على ما يبدو في حسم الخلاف في وجهات النظر القائمة . فبعد مرور ثلاثة اشهر تقريبا على انعقاد المؤتمر حدث صراع عنيف بين جناحين في الحزب لم يعرف اليمن الديمقراطي له مثيلا منذ الاستقلال . ففي شهر يناير (كانون الثاني) عام ١٩٨٦ نشبت مواجهة مسلحة ادت الى مقتل المئات من ابناء الشعب اليمني وتدمير اجزاء من مدينة عدن ، ونجم عنها الاطاحة بعلي ناصر محمد ، الذي فر من البلاد ، ومصرع بقية القادة التاريخيين الرئيسيين للجبهة القومية وعلى رأسهم عبد الفتاح اسماعيل ، وعلي عنتر ، وعلي شائع هادي ومحمود عشيش .

تركزت اسباب الصراع الدموي الاخير هذا على عدة موضوعات اهمها :

١) العلاقة بين اليمن الديمقراطي وجيرانه من دول الخليج العربي وخاصة المملكة العربية السعودية وسلطنة عمان .
٢) السياسات الاقتصادية المستقبلية لليلاد .
٣) اقتسام السلطة السياسية .
٤) العلاقة مع الاتحاد السوفياتي .
٥) والعلاقة مع الشطر الشمالي من اليمن .

يذكر ان الاتجاه الذي قاده عبد الفتاح اسماعيل كان يريد علاقات متحفظة ومحدودة مع السعودية وعمان ، بالاضافة الى تبني سياسات اقتصادية اشتراكية متشددة ، واقتسام ديمقراطي للسلطة السياسية وعدم تركزها في قبضة رجل واحد كما كانت الحال بالنسبة لعلي ناصر محمد قبل انعقاد المؤتمر الثالث للحزب ، وقيام علاقة اوثق مع الاتحاد السوفياتي ، واخيرا تبني موقف جدي وصائب تجاه مسألة الوحدة بين شطرى اليمن .

كانت الاسباب الكامنة وراء اندلاع احداث يناير ١٩٨٦ هي بالاساس وبدون شك ايديولوجية . ورما كان لها بعدان آخران الاول شخصي والاخر قبلي . ولكن هذين البعدين يظلان ثانويين . من الممكن ان يكون

Digitized by Birzeit University Library

التناحر الشخصي والدوافع الذاتية قد لعبت دورا في تأجيج حدة الخلاف الايديولوجي ودفعت به الى مواجهة مفتوحة . اما البعد القبلي فلا يجب المبالغة في دوره . فلو كان الصراع قبليا لامتد الى مناطق اخرى داخل البلاد ولاستمر لفترة زمنية اطول ولما انحصر مجاله في مدينة عدن وضمن صفوف الجيش والمليشيات الشعبية واجهزة الامن (٤١). ومع ذلك فانه ليس من السهل الغاء هذا البعد القبلي في الصراع بشكل تام . فحتى لو لم تقم الاطراف القيادية المتنازعة باثارة او تحريك الولاءات القبلية ، ليس هناك ما يحول دون تحرك قبلي تلقائي في مجتمع لم يتحرر بشكل تام من العلاقات القبلية ، لدعم احد الطرفين المتنازعين او الاخر ، ودون استشارته او الانصياع لرغباته . ومن غير المستبعد ان يكون البعض قد لجأ ، في لحظة يأس، الى اثارة النعرات وتحريك الولاءات القبلية لتعزيز موقفه .

ولا يجوز بأي حال من الاحوال اهمال اثر محاولات التدخل الاقليمية والخارجية التي تسعى الى اجهاض التجربة اليمنية كبؤرة ثورية في محيط معاد في اثارة الصراعات او تكريسها او زيادة حدتها

الخاتمة :

اشرنا في موضع سابق من هذه الدراسة الى ان الخلافات والصراعات والمواجهات المتكررة كانت تهدف بشكل اساسي الى حسم اتجاه البلاد الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والايديولوجي . ويظل السؤال المطروح : لماذا نشأت اسباب الخلاف الايديولوجي والسياسي التي تطلبت حسما في الاساس، ولماذا اخذت عملية الحسم ، وخاصة في احداث عام ١٩٧٨ و عام ١٩٨٦ هذا الشكل العنيف دون غيره من اشكال حسم النزاعات السياسية والايديولوجية ؟

من الواضح وكما برهنت التجربة ان اتجاه البلاد في اليمن الديمقراطي قد حسم . فعلى الرغم من الاحداث العنيفة المتكررة ظل الخيار الاشتراكي هو التوجه المعتمد للبلاد . ان الثورة في اليمن الديمقراطي قد ترسخت لدرجة تسمح باستمرار النهج السياسي والايديولوجي الماركسي ـ اللينيني الذي اختطته القيادة الثورية لنفسها وللبلاد وذلك رغم ما استعرضناه من خلافات ومواجهات متكررة . ويمكن الاستنتاج ايضا ان الحزب والنظام السياسي في اليمن الديمقراطي هو اكثر صلابة من اي فرد او جناح داخل السلطة اذ ان هذا الحزب وهذا النظام السياسي حافظا على نفسيهما كخيارين ثابتين للبلاد على الرغم مما وقع داخلهما من صراعات كانت عنيفة بعض الاحيان .

ولكن من الواضح ايضا ان التراث الثوري في البلاد لم ينكرس بشكل كاف ليحول دون وقوع هذه الخلافات اوالمواجهات، والعنيفة منها على وجه الخصوص. ويبدو ان جهازي الحزب والدولة لم يتأسسا بالقدر الكافي لاحتواء وتنظيم وحسم الخلافات الايديولوجية والسياسية ، وحتى الشخصية، وان دور القادة الافراد يفوق في اثره دور هاتين المؤسستين الناشئتين . بالاضافة الى ذلك يمكن الافتراض ان التجانس الايديولوجي التام بين القادة المؤسسين للحزب لم يتطور بشكل ليسمح بالقضاء على التفاوت في استيعاب الافكار الماركسية ـ اللينينية والالتزام بها على صعيد الممارسة. وان كان الامر كذلك فانه من غير المستبعد ان تتكرر اشكال المواجهات السابقة وان تنشب خلافات جديدة ، في المستقبل المنظور على الاقل ، والى حين تطور دور مؤسستي الحزب والدولة بشكل يطغى

Digitized by Birzeit University Library

على دور الافراد . ولكن تطور هاتين المؤسستين وتجذرهما يرتبط ارتباطا وثيقا بمدى التطور الاقتصادي ـ الاجتماعي للبلاد بمدى احداث المزيد من التراكمات من اجل ترسيخ تقاليد حزبية وثورية ثابتة تتحقق عبر مرحلة زمنية معينة تكفل تحقيق المزيد من الوعي والتجانس الايديولوجي . يشار في سياق تفسير اسباب قيام خلافات في صفوف الجبهة القومية وفيما بعد الحزب الاشتراكي اليمني الى الطبيعة الفضفاضة التي ميزت الجبهة القومية عند قيامها والتي كان من اهم شروط الانتماء اليها الالتزام بالكفاح المسلح . ويشار ايضا الى قصر فترة الثورة المسلحة (١٩٦٣ ـ ١٩٦٧) ، الامر الذي لم يسمح بترسيخ المؤسسات السياسية وأهميتها لدى افراد الشعب اليمني (٤٢) .

في هذا السياق يمكن ان يثار التساؤل عما اذا كان الوقت قد حان في عام ١٩٧٨ للاعلان عن تأسيس الحزب الاشتراكي اليمني، وان كان الظرف الموضوعي في ذلك الوقت مهيئا للاقدام على مثل هذا العمل، او ان كانت صيغة "الحزب الماركسي ـ اللينيني" هي افضل تعبير عن طبيعة تلك المرحلة، وعما اذا كانت صيغة " الجبهة الوطنية" مثلا تمثل صيغة اقرب الى واقع البلاد ؟ هل يمكن تفسير ما جرى داخل الحزب الاشتراكي اليمني في شهر يناير عام ١٩٨٦ على خلفية مثل هذه التساؤلات ؟ حتى لو سلمنا بأن قيام الحزب كان سابقا لأوانه، فان علاقة ذلك بما وقع من احداث في شهر يناير ليست واضحة كل الوضوح . ان قيام جبهة وطنية " بدلا من " حزب ماركسي ـ لينيني" لم يكن ليحول دون وقوع مثل تلك الاحداث . وخير دليل على ذلك هو الاحداث التي وقعت عام ١٩٧٨ ، وقبل تأسيس الحزب الاشتراكي اليمني، في اطار التنظيم السياسي الموحد ـ الجبهة القومية ، هذا التنظيم الذي حمل عمليا خصائص" الجبهة الوطنية" والذي شكل مرحلة انتقالية على طريق تأسيس الحزب الطليعي . وواقع الامر هو ان وجود الحزب الاشتراكي اليمني ربما يكون قد اسهم في احتواء الاحداث والحيلولة دون تطورها الى كارثة تودي بالتوجه الذي اختارته البلاد لنفسها .

وعلى افتراض ان الظروف الموضوعية للبلاد لم تكن مهيأة لقيام حزب ماركسي ـ لينيني ، فمتى ستكون مثل هذه الظروف مهيأة في بلد ليس لديه القدرة على تطوير طبقة عاملة قوية (بروليتارية صناعية) في ظل امكانيات مادية وبشرية محدودة للغاية ؟ ان اخراج البلاد من هذا المأزق ربما ارتبط بشكل اساسي بالدور المحوري للعامل الذاتي الذي يمكن ان يعوض البلاد عن الخلل القائم في الظروف الموضوعية والذي يمكن ان يقوم باحداث ما يكفي من التحولات الاقتصادية والاجتماعية النوعية لضمان استمرار التوجه الاشتراكي للبلاد على امل ايصالها الى وضع مماثل لوضع كل من كوبا وفيتنام .

وربما كان اساس الصراع هو خلل في التركيب الطبقي للسلطة السياسية، ونقصد على وجه التحديد غياب التمثيل الكافي للطبقة العاملة او بالاحرى عدم استلامها لزمام القيادة السياسية . وربما حتم قيام هذا الوضع المختل طبيعة التوازن الطبقي الاجتماعي في البلاد . ان قيام شرائح طبقية برجوازية صغيرة بتبني " ايديولوجية الطبقة العاملة" بالقيادة السياسية نيابة عن الطبقة العاملة نفسها ، ولو كان ذلك بشكل مؤقت، لا يغني عن ممارسة الطبقة العاملة نفسها للسلطة. ان التذرع بعدم نضوج الطبقة العاملة وعدم قدرتها على استلام زمام الامور بنفسها ينسحب بنفس الدرجة على مدى نضوج شرائح

Digitized by Birzeit University Library

البرجوازية الصغيرة . وليس هناك من ضمانات بأن يتكفل الزمن وحده برأب الفجوة وازالة التمايز بين الطبقة العاملة وشرائح البرجوازية الصغيرة في السلطة أو خلق وحدة حال بينهما . ان ذلك يعني ان تكافح الطبقة العاملة باستمرار لانتزاع حقوقها وان تقوم شرائح البرجوازية الصغيرة بالتنازل عن السلطة بشكل تدريجي . لكن هذا الامر لن يتم بشكل تلقائي لان السلطة لها منطق خاص بها . كيف يمكن ان يتم انتقال السلطة هذا دون خلق جو من التناحر بين شرايح البرجوازية الصغيرة في السلطة من ناحية والطبقة العاملة التي تناضل وتطمح باستلام السلطة من ناحيـــة اخـرى ؟.

ان الدور الحلقي على عاتق الثوريين اليمنيين هو دور تاريخي فمثلما كان اسلوب انشاء الحزب الاشتراكي الـ ـطليوبا متميزا يتعين على هؤلاء الثوريين ان يخرجوا ايضا بصيغة متميزة لحل ازمة السلطة السياسية في البلاد ووضع حد للصراع عليها . واذا كان الحزب قد حدد طريقا لحل السلطة السياسية عندما اعتبر [illegible] من المصادر الرئيسية لتشكيل انتلجنسيا ثورية جديدة، (٤٣) هذه الانتلجنسيا التي جاء اعضاؤها ايضا من بين صفوف الفلاحين والصيادين وغيرهم من قوى الشعب العاملة ممن جرى تدريبهم داخل البلاد وخارجها ، وأوكل لهذه الانتلجنسيا مهمة القيام بالثورة الثقافية وزيادة ادراك الطبقة العاملة وتقديم افكار الاشتراكية العلمية لها ، فانه يتوجب بالمقابل تقديم الترجمة العملية لمثل هذه الاطروحات . كما يتوجب وضع الضوابط لعدم التخلي عن مشاغل الطبقة العاملة من قبل اولئك العمال الذين يرتقون الى سدة السلطة السياسية .

وطالما ظلت شرائح البرجوازية الصغيرة ، بما تتميز به هذه الشرائح من خصائص، هي المهيمنة على السلطة، فان اساس الصراع سيظل قائما . وربما كان من المفيد استذكار ما جاء على لسان عبد الفتاح اسماعيل في الوثائق التي قدمها للمؤتمر الرابع للجبهة القومية حول طبيعة الطبقة البرجوازية الصغيرة والتي تم الاشارة اليها في موضع سابق من هذه الدراسة . كما انه من المفيد ايضا ، وفي سياق البحث عن تفسيرات لاسباب الازمات الداخلية التي مر بها اليمن الديمقراطي، استذكار الاسس اللينينية المتعلقة بطبيعة تكون الحزب الطليعي وطبيعة قيادته الطبقية . ان التساهل في مراعاة مثل هذه الاسس، ومهما كانت الذرائع ، سيؤدي بالضرورة الى تأخير أو انتكاسة عملية الانتقال الى الاشتراكية .

ومما لا شك فيه، ان قيام الثوريين اليمنيين بتناول المسائل الشائكة والملحة في البلاد والتعامل معها بجدية وحزم قبل ان تتراكم وتتحول الى مشاريع تعبر عن نفسها بشكل عنيف وسيسهم في حل الخلافات الناشئة واحتوائها . فأية ازمة لا تأتي من فراغ، بل تسبقها بعض المظاهر او المقدمات على ارض الواقع . اننا لم نعرف مثلا ان سالم ربيع علي كان " براجماتيا وبساريا أنتهازيا " الا بعد سقوطه عام ١٩٧٨ . ولم نعرف ان علي ناصر محمد كان " منحرفا " الا بعد سقوطه في فبراير عام ١٩٨٦ ، وكأن مثل هذا التحول جرى فقط بين ليلة وضحاها . ان الامتناع عن التعرض لقضايا من هذا النوع بشكل علني وصريح قبل تطورها الى احداث مؤسفة سيعطي الانطباع بغياب الحياة الديمقراطية في بلد من المفترض ان يكون ديمقراطيا الى ابعد الحدود .

وفي الختام ومما لا شك فيه ان احداث يناير ١٩٨٦ قد اخذت جزءا من بريق التجربة اليمنية الديمقراطية، فأصبح ملق على عاتق القيادة اليمنية ان تبرهن من جديد على جدارتها بالدرجة العالية من الثقة التي

Digitized by Birzeit University Library

تحيا اياها ابناء الشعب اليمني والثوريون في التجربة في كل مكان .
عربي الوطن العربي والمتعاطفون مع هـــذه

الهوامـــــش :

1) Fred Halliday, Arabia without sultons (London:Penguin Books, 1974),P.190.

٢) الجبهة القومية ، الميثاق الوطني للجبهة القومية ، ص ٤٤.

٣) نفس المصدر السابق ، ص ٣٧ .

٤) فيتالي ناؤومكن ، الجبهة القومية في الكفاح من اجل استقلال اليمن الجنوبية والديمقراطية الوطنية (موسكو : دار التقدم ، ١٩٨٤) ، ص ٢٩ .

٥) نفس المصدر السابق ، ص ١٢٤.

٦) فرد هوليداى. الصراع السياسي في شبه الجزيرة العربية (بيروت : دارابن خلدون ، ١٩٨٦) ص ١٥١.

٧) نفس المصدر السابـــق ، ص ١٥٢ .

٨) نفس المصدر السابـــق ، ص ص ١٥٤ — ١٥٥.

٩) ناؤومكن ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢١٤ .

١٠) نفس المصدر السابق ، ص ٢١٤.

١١) نفس المصدر السابق ، ص ٢٢٠ .

١٢) نايف حواتمة ، ازمة الثورة في الجنوب اليمني : تحليل ونقد (بيروت : الطليعة ، ١٩٦٨) ، ص ٦٨ .

١٣) Walid Kazziha , Revolutionary Transformation in the Arab world: Habash and his comrades from Nationalism to Martism (New York:st. Martin's press, 1975), p.97.

١٤) ناؤومكن ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٢٨.

١٥) حواتمة ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ١٣٣ — ١٣٤.

١٦) نفس المصدر السابق ، ص ١٣٤ .

١٧) نفس المصدر السابق ، ص ص ١٣٤ — ١٣٥ .

١٨) نفس المصدر السابق ، ص ١٣٧.

١٩) نفس المصدر السابق ، ص ص ١٣٥ — ١٣٦ .

٢٠) ناؤومكن ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣٢ .

٢١) عبد الفتاح اسماعيل ، الثورة الوطنية الديمقراطية في اليمن (بيروت : دار ابن خلدون ، ١٩٧٢) ، ص ص ٧٥ — ٧٦ .

٢٢) نفس المصدر السابق ، ص ٧٧ .

٢٣) I. Andeeyer , The Non - Capitalist Way (Moscow: Progress Publishers, 1977),P.98.

Digitized by Birzeit University Library

٢٤) اسماعيل، مصدر سبق ذكره، ص ٧٧.
٢٥) عبد الفتاح اسماعيل، حول الثورة الوطنية الديمقراطية وآفاقها الاشتراكية (بيروت: دار ابن خلدون، ١٩٧٩)، ص ٩٤.
٢٦) الجبهة القومية، القرارات والتوصيات الختامية للمؤتمر العام السادس للتنظيم السياسي للجبهة القومية (عدن: ١٩٧٥)، ص ٣٢.
٢٧) حزب الطليعة الشعبية، الوثيقة التاريخية المقدمة الى المؤتمر العام الثالث لحزب الطليعة الشعبية (عدن: ١٩٧٥)، ص ٤٣.
٢٨) نفس المصدر السابق، ص ٤٦.
٢٩) نفس المصدر السابق، ص ٥١.
٣٠) محمد علي الشهاري، الخروج من نفق الاغتراب واحداث ثورة ثقافية في اليمن (بيروت: دار الفارابي، ١٩٨٣)، ص ٨٤.
٣١) الاتحاد الشعبي الديمقراطي ـ رفاق السلفي، وجهة نظر حول المرحلة الراهنة، ص ٩.
٣٢) نفس المصدر السابق، ص ٩.
٣٣) الاتحاد الشعبي الديمقراطي، مذكرة من الاتحاد الشعبي الديمقراطي الى الجبهة القومية ١٩٧٤، ص ٤.
٣٤) عبد الفتاح اسماعيل، المؤتمر التوحيدي (بيروت: دار ابن خلدون، ١٩٧٦)، ص ٢٤١.
٣٥) سكرتارية اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني، حول وثائق الحزب الاشتراكي اليمني (عدن: ١٩٨٠)، ص ١٦.
٣٦) عبد الفتاح اسماعيل، المؤتمر الاول للحزب الاشتراكي اليمني (بيروت: دار ابن خلدون، ١٩٧٩)، ص ٣٨٠.
٣٧) علي ناصر محمد، المؤتمر الاستثنائي للحزب الاشتراكي اليمني (بيروت: دار ابن خلدون، ١٩٨٠)، ص ٤٣٥.
٣٨) بقا[illegible] جامعة عدن (حاليا سكرتير اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني)، عدن، ديسمبر ١٩٨٤.
٣٩) عبد الفتاح اسماعيل، حول الثورة الوطنية الديمقراطية وآفاقها الاشتراكية، مصدر سبق ذكره، ص ٤٨٦.
٤٠. Robert Stooky, South Yemen : A Martist Republic in Arabia (Boulder, Colorado : Westview Press, Inc., 1982), P.69.
٤١) سمير عبدالله، "اليمن الديمقراطي، دفاعا عن الحقيقة دفاعا عن الثورة"، الكاتب، العدد ٧١، (مارس ١٩٦٦)، ص ص ٣٧ ـ ٣٨.
٤٢. Lavrie Mylroie, Politics and the soviet presence in the PDRY: Internal Vulnerability and Regional challenges(Santa Morica, California :Rand Corporation, 1983),P.11.
٤٣. Proceedings of the First Congress of the Yemeni Socialist Party (Moscow: Progress Publishers, 1979),P.199.

Digitized by Birzeit University Library

اينشتين
العلم والحضارة

بقلم : يوريس كونتسوف *
ترجمة : عيسى الصراص

الحلقة الاولى

(١) المعرفة والكون رباعي الابعاد :

كان للعلم في كافة العصور تأثير حتمي في
طور الحضارة. ولكن برغم ذلك فمن الصعب
على سوابق تاريخية لذلك الاثر الذى
ت افكار اينشتين على حضارة القرن
شرين، وبقدر ما يستطيع المرء ان يتكهن ،
ى حضارات القرون القادمة ايضا . ان
خيال لهذا الاثر يكشف عن التركيب
اخلي للفيزياء غير الكلاسيكية : فعلاقة
الارتباط وتأثير فروعها المستقلة تصبح جميعا
اصر الفكر في الفيزياء المعاصرة ذاتها . ان
ز نظرية النسبية هو اثرها ليس فقط على
مجالات الحضارية المستقلة ـ كالاقتصاد
التربية والادب والفن، الخ ـ وانما على
تحول الشامل الذى طرا على هذه المجالات
ايضا .

لنتساءل : اية فكرة ، من مجموع افكار
شتين ، هي تلك ذات الاهمية القصوى
للحضارة بمجملها ، ولتكوينها ولتعزيز دور
العلم في احداث تحولات على الاوجه المادية
والروحية للجنس البشرى ؟ انها فكرة الكون
رباعي الابعاد ، فهي صورة للكون تتجاهل
وجود فعل لحظي يحدث عن بعد. كما
تتجاهل مفاهيم الزمن المطلق الذى يوجد
مستقلا عن المكان، بالاضافة الى التزامن
المطلق ايضا .

لقد تحول النظام المكاني للكون الى
التاريخ الزمكاني للكون . وحتى العلم نفسه
تحول بدرجة ما الى " تاريخ " للعلم وذلك
بتجاهل رواية المقولات المحددة التي توجد
مستقلة عن الزمن، وبالقاء الضوء على عمليات
التقريب التي تجرى بلا حدود على الحقيقة
المطلقة. ان العلاقة السببية بين افكار
اينشتين ومنهاج الفكر العلمي ـ العلم كظاهرة
للحضارة ـ بدأت بحدوث توافق بين طبيعة

* بروفيسور في تاريخ العلوم ـ معهد تاريخ العلوم والتكنولوجيا ـ موسكو ـ ونائب رئيس الاتحاد الدولي لتاريخ وفلسفة العلوم .

Digitized by Birzeit University Library

رباعية الابعاد تتفاعل مع الزمن وبين جهاز معرفة يدرك اعتماد هذه الطبيعة على الزمن . وباستمرار هذا النوع من العلاقة توقف العلم عن كونه متماثلا شكليا مع الحضارة بكل بساطة واستمر ذا تأثير سببي حقيقي عليها .

ان منهاج التفكير في الفيزياء ، او بالاحرى ميزات الافكار المعاصرة في الفيزياء باعتبارها عنصرا من عناصر الحضارة المعاصرة (مثل استيعاب الزمن في الادراك الانساني) ، تقود الى توسع حتمي في الافكار والى تحول في الادراك العلمي بمنظور عالمي . ففي مطلع هذا القرن ، وبعد ظهور نظرية النسبية بفترة وجيزة ، قال Nernst ان هذه النظرية لم تكن نظرية فيزياء فقط ، وانما فلسفة ايضا . وقد جاءت هذه الملاحظة قبل تطور نظرية التركيب الذري بفترة طويلة . الان ، وفي وقت تتوفر فيه الاثباتات التجريبية والتطبيقات العملية لنظرية النسبية بغزارة ، فانه يصبح من الصعب الاستخفاف بطابعها الفيزيائي المميز . ولكن بمفهوم معين تجذب ملاحظة Nernst الانتباه الى السمات البارزة لنظرية اينشتين ـ تحول فكري بحجم لم يسبق له مثيل جرى على اعتقاد عام وشامل وعلى كل ما يتفرع عن ذلك الاعتقاد ايضا . في سيرته الذاتية التي نشرها عام ١٩٤٦ ، يتحدث اينشتين عن مقياسين لاختيار نظرية فيزيائية ، او مقياسين للحقيقة العلمية . المقياس الاول هو " التسويغ الخارجي " (External Justification) ، اي التطابق بين المشاهدات والتجارب ، والمقياس الثاني هو " الاكتمال الداخلي " (Internal Perfection) ، اي امكانية استنتاج نظرية معينة بوسائل علمية من المبادئ الاكثر عمومية دون الحاجة الى افتراضات اضافية .

ان تكوين نظرية النسبية كان عبارة عن اعادة جمع لهذه المقاييس : كانت هناك تجربة علمية لم تتفق نتائجها مع النظرية القديمة حتى باستخدام افتراضات ذات صلة بتلك النظرية ، وبذلك فرضت تغييرا على المبادئ الاكثر عمومية . لقد تنبأت نظرية Lorenz بحدوث انكماش في طول قضيب متحرك وذلك بعد التوصل الى فرضية الكترودينامية خاصة . ثم لجأ اينشتين الى استخدام العلاقات الاكثر عمومية ذات الصلة بالمكان والزمان ، وبذلك اكتسبت قضية انكماش القضيب اكتمالا داخليا . كان هناك تناقض ظاهري تحيط به هالة (او فضيحة ، اذا شئت) بقيت بانتظار نتائج التجارب التي برهنت على ثبات سرعة الضوء في المختبرات المتحركة ، مما انسجم بشكل طبيعي والمادة والحركة . لقد اسمى اينشتين هذا التحـــول بـ " انطلاقـة في الدهشـة " (a flight of wounder) لانه اظهر خضوع اكثر المشاهدات تناقضا لمبدأ كوني . وفي موازاة ذلك تعديل حتمي لهذا المبدأ ، فمبدأ كهذا ، كونه يشكل اساس اعتقادنا بالاكتمال الداخلي للعلم ، قد توقف عن كونه ثابتا . والقوانين الجوهرية للحياة اثبتت انها مرتبطة بتسويغ خارجي معتمد على التجربة ، ديناميي ومتغير ، وليس بديهيي باي حال .

يشبه الفيزيائي المعاصر محاميا اميركيا معينا اوضح ان معرفته بالمبادئ العامة للقانون مبنية على معرفته بالقوانين كل بمفرده ، ثم قال : " وماذا سأفعل اذا كان هناك قانون اعرفه قد تم الغاؤه ؟ " . ان قوانين الفيزياء لم يتم الغاؤها ، وانما تم تعميمها وتعديلها ، وهذا الشكل للفيزياء المعاصرة يجعلها غير كلاسيكية ، ليس بالمحتوى فقط وانما بالطابع ايضا . والحقيقة انها لا يمكن ان تكون كلاسيكية بعد الان . فهي تسعى دائما نحو هدف اسمى ، لا يتحط

Digitized by Birzeit University Library

في صورة جاهزة للكون ، وانما في ارتقاء بالغ
الحرية بقدر الامكان في التعبير عن الكون ، اى
التقرب بالمستمر ابدا في تصورنا للكون نحو
مثل الموضوعي .

في هذا المجال كانت نظرية النسبية ،
طبيا مثل رؤى اينشتين النافذة فيما يتعلق
بكوم الضوء والتي ليس لهانصيب اقل من
التأثير الظاهري، كانت بداية ليس فقط
للفيزياء غير الكلاسيكية ، وانما للعلوم غير
الكلاسيكية جميعها . في اواسط هذا القرن
بدأن افكار نظرية النسبية وميكانيكا الكم في
الانتشار بقوة باتجاه دراسة الكون والعوالم
المتعددة، ورافق ذلك تآلف متناثم بين هذه
الافكار ، فقد دخلت الفيزياء غير الكلاسيكية
بقوة في دراسة الحياة ، معطية دفعة قوية لعلم
الحياء الجزيئية . ابتدأت تطبيقات الافكار
الفيزيائية غيرالكلاسيكية في الطاقة الذرية
والكومبيوترات الكم والسبرانية (علم الضبـــط
Cybernetics). وتم تحديد
الخطوات الاولية للاتجاهات الجديدة في
تطور التكنولوجي ، والتي لم تكن كلاسيكية
بالنسبة لاسسها العلمية . كانت الفيزياء
الحديثة الى حد ما كفيزياء ارسطو لكونها
تبحث على تفسير سببي واحد للكون ، ولكن
توجد هناك فرق هام : لم تحتو الفيزياء
الجديدة على تفسير للكون فقط ، ولكنها كانت
تنطوي على تحويله ايضا . وهذا كان اختلاف
الجوهري الكمالي في دور الفيزياء في تطور الحضارة ،
واختلاف في اثر الفيزياء على ارتقاء الحضارة
والقيم اثرها التحويلي هذا ، وتأثيرها على
الانتاج وعلى طابع الفكر الانساني والحضارة
بوجه على المرء ان يؤكد على منطق
التفكير الاساسي في تعريف العلم غير
الكلاسيكي . فالفكرة الاساسية لشمولية الفكـر
الفيزيائي واثره على الحضارة تتجلى في بحث
عن الكمال الداخلي ، والتحول الى قواعد
موحدة عامة ومثلى تجد تسويغها الخارجي من
خلال التجربة .

ان تأثير المعرفة على الحضارة في مرحلة
معينة كثيرا ما استخدم كأساس لتسمية تلك
المرحلة . او بكلمات اخرى يتم تعريف مرحلة
ما بالدور الذى لعبه العقل الانساني خلالها .
اذكر انني قرأت عبارة قالها عالم الاحياء
الروسي Clement Timirizev في
العام ١٨٨٦ بمناسبة احتفال اقيم على شرف
الكيماوى الفرنسي Eugene Chevreul
، والذى كان يبلغ عام المئة . كان ذلك
الكيماوى قد ولد في القرن الثامن عشر، وامتد
نشاطه العلمي خلال القرن التاسع عشر
بأكمله تقريبا . موجها كلامه الى الكيماوى ،
قال العالم الروسي : " يا ابن عصرالعقل،
لقد اصبحت تجسيدا حيا لعصر العلم !".
تلك الاوصاف صحيحة للعصرين المذكورين،
ولكن ما هو الوصف الصحيح للقرن العشرين؟

ان التمييز التقليدى بين العقل والادراك
ينبع من حقيقة ان الادراك يقوم بتطبيق
قواعد منطقية وقوانين اساسية للوجود ، اما
العقل فهو يقوم بتغييرها . من وجهة النظر
هذه كان علم القرن التاسع عشر بمثابة المثل
الاعلى للادراك . فقد اقام نظاما متماسكا
ومتطورا للمعرفة وذلك على اساس من القواعد
والقوانين المنطقية الراسخة ــ هكذا كان جوهر
العلم الكلاسيكي في جميع الاحوال . وبنفس
الدرجة من الدقة ، متذكرين دائما الصفات
المميزة للعلم في القرن العشرين والتي تؤثر
على العصر والحضارة ككل بشكل اكثر حدة،
يستطيع المرء ان يقول ان القرن الحالي يشكل
تجسيدا للعقل كما تم تعريفه قبل قليل،
وتجسيدا للفكر الانساني الذى يقدم على
تغيير معاييره . بالطبع كانت هناك تغيرات
سابقة في المعايير في تاريخ الفكر الانساني ،
لكنها كانت اما متقطعة او بطيئة جدا بحيث تم
الكشف عنها فقط بعد حدوثها . قـــال

Digitized by Birzeit University Library

Laplace ان العقل يتقدم بصورة اسهل اذا استطاع ان يمتد في داخل ذاته . ان امتدادا كهذا في القرن العشرين كان مرافقا لحركة تقدم العقل بوضوح وبلا انقطاع . عندما يجرى تعديل على معايير العقل، يصبح لدينا معنى ما تاريخ للعقل، لاننا ندخل الزمن كمحور لهذا التعديل . فاذا قارنا فكرة علمية بتقاطع بين خطوط منطقية، اى بين نقاط في فضاء من المعرفة " له من الابعاد، عندئذ سوف يشتمل العلم المعاصر على الزمن فيهذا الفضاء كبعد اضافي رقمه (ن + ١) . وهذا يشبه الى حد ما اثرنظرية النسبية على الفضاء ثلاثي الابعاد .

٢) طوبولوجيـــة الحضـــارة :

ان اساليب التعبير عن المكان والزمان والعلاقات بينهما كانت دائما بمثابة سمات مميزة لحضارة معينة . فالحضارة القديمة تميزت بفكرة التناغم الاستاتيكي في الوجود . وجميع اوجه الحضارة تخللتها افكار الشريعة، وهي فكرة ذات كمال تام . هنا تكمن المنابع الاسطورية للعصور القديمة : فاكهة الفن اليوناني المنحوتة كانت تجسيدا لشرائـــع المثالية . كما ان مصطلحات الشعـــر والادب المسرحي كانت جزءا منها . ثم جاء قبـــول الفلاسفة الارسطويين لوجهة النظر هـــذه ليحسم مصير تلك الحضارة ـ تحولها الـــى المنظور الدوغماتي للعالم الذى خلقـــه فلاسفة العصور الوسطى التقليديون .

بالطبع لم تكن اشكال الفن والفكر في العصور القديمة استاتيكية بشكل تام . نحن نتحدث فقط عن سمات معينة وثابتة شملت جميع اوجه الحضارة . فالتناغم الاستاتيكي بهذا المعنى بدأ في علم الكونيات والفيزياء

عند ارسطو، ذلك العلم الذى يحدد اسلو
حركة جسم ما اعتمادا على مخطط استاتيكي
لكون له مركز ثابت وله حدود و " مكان طبيع
أيضا . ان الحضارة الاغريقيةكل لم تنظ
وجود الحركة، ولم تتجاهل الزمن في الصو
التي رسمتها للكون. كذلك مصطلحات الف
لم تغلق الطريق امام ديناميكية الالياذة
ومآسي سوفوكليس ومنحوتات فيدياس . و
أغلب الاحوال لم تغلق مبادئ الفن، مثل
مثل مبادئ المنطق ومخطط التناغم السار
الساكن، الطريق امام المفهوم الارسطو
للحركة . بالرغم من كل ذلك، لا يسعنا س
تسمية حضارة العصور القديمة بحضارة المفاهي
المكانية المحضة ثلاثية الابعاد .

ان الاتجاه السائد والاكثر تميز في حضا
العصور الوسطى، والذى تمت المحافظة عل
عند الانتقال من حقل لاخر، قد جعل ذل
العرف الاستاتيكي اكثر رسوخ وحرمه م
مصاحبة الايقاعات المتعددة التي تواجدت ف
بيئات تلك العصور . فبالنسبة للقدي
اوغسطين كان الزمن محدودا، تبدأ حدو
بخلق الكونوتنتهي بنهاية العالم، وبه
المعنى فقد كان مطلقا . اى ان الزمن يبتد
مبتدئا بسقوط الانسان ومتجها نحو خلاصه
وبعد ذلك يتوقف تدفقه . ذلك المفهو
المحدود للزمن كان يميز لاهوت القرو
الوسطى، ويمكن مقارنته " بفضاء" احاد
البعد يمتد من " قمة" في العالم السماوي ال
"قاع" في عالم الجحيم . ان التار
الحضارى للعصور الوسطى يظهر كيف ان سل
مشابهة متسلسلة هرميا وأحادية البعد قد
التعبير عنها بمصطلحات دينية في الاد
والفن، وكم كانت درجة ارتباطها به
الكونيات والفيزياء عند ارسطو .

لقد تنكرت حضارة العصر الحدي
للافتراضات الكونية والاخلاقيةوالجمالية ذا

Digitized by Birzeit University Library

الاهمية الكبرى بالنسبة لحضارة العصور الوسطى وتوقف الزمن عن كونه شيئا قدريا ومنفصلا عن العالم الفيزيائي. اما المكان فتحول الى كون يحتوي كل من الاشياء التي يمكن ادراكها بالحواس وكذلك استخدامها كمقياس للزمن الفيزيائي ، رغم ذلك فالاتحاد بين الزمان والمكان او التحول الى التمثيل الزمكاني لم يكن كاملا ، اذ ابقت Principia نيوتن على صورة ثنائية محضة لوصف توزيع التفاعلات ، وعلى زمن مطلق غير مكاني لا يعتمد تدفقه على الاحداث المكانية .

لكن خصوصية العصر الحديث التي تميزه بعدة عن العصور الوسطى ، والتي لها اهمية كبرى بالنسبة لحضارة هذه المرحلة ، تتمثل في اتحاد الزمان والمكان داخل الكيانات المتناهية في الصغر ، او بكلمات اخرى ، التمثيل التفاضلي للحركة عند الانتقال من نقطة لاخرى ومن لحظة لاخرى . خلال ذلك برز هناك مفهوم زمكاني للحركة اصبح يشكل اساسا لصورة سببية للكون ، وكذلك للحتمية التي ميزت العصر الجديد ـ كما تم التعبير عنها في ملاحظات Laplace الشهيرة ، والتي تعني ان مستقبل الكون بأكمله يمكن حسابه من حيث المبدأ من خلال معرفة القوى الطبيعية ومواقع وسرعات كافة الاجسام في لحظة معينة .

ان تطور وجهة النظر هذه تسمح للمرء ان يتصور وجود علاقة بين التحول في الطبيعة والتحول في المجتمع الانساني ذاته ، وفي الحضارة بمعناها الاوسع . لقد قال انجلز ان العلم في القرن الثامن عشر ، عندما تمت ممارسته ، قاد الى الثورة الصناعية ، اما تطور الفكر فكان مصدرا للثورة السياسية . هناك علاقات معقدة ولكنها مع ذلك واضحة بين الحتمية الزمكانية من جهة ، وبين الدين الفطرى والاخلاق الفطرية والمثل الاجتماعية من جهة اخرى . كما ان الهدف الاسمى المتمثل في التناغم (او الانسجام) الاجتماعي والكوني قد فقد طابعه الاستاتيكي ، واصبح منذ الان مرتبطا بالزمن . ان التناغم الكوني ليس مخططا مكانيا " للاماكن الطبيعية ، وانما صورة زمكانية لانواع الحركة . لقد ركب التناغم الاجتماعي موكب الزمن ، وسار مع روسو في الماضي ، ثم انطلق مع فولتير الى المستقبل . فالحتمية الزمكانية تخترق حتى الاداب . هناك ملاحظة هامة جدا قالها P.Murator معلقا على رواية (Les Liaisons Dangereuses) التي كتبها (Choderlos de Laclos) " ان الشخصيات الرئيسية في هذه الرواية مليئة حقا بثقة نيوتنية بعدم وجود التباس في نتائج افعالها وملاحظاتها ". لكن بالطبع اذا قمنا بتطبيق كلمات الحتمية الزمكانية ، على الظواهر الحضارية المعقدة ، فاننا لا نقصد "بالمكان" المكان العادى وانما نقصد شكلا هندسيا له تركيب معقد جدا . قبل الانتقال الى قضية التركيبات المعقدة هذه ، هناك حاجة لبعض الملاحظات التمهيدية .

في العام ١٩٧٢ قام الرياضي فيلكس كلاين في كتابه (Comparative Considerations on Recent Geometric Researches) الذى اصبح معروفا " ببرنامج ايرلنجر " ، بفحص سلسلة الهندسات وبتركيز خاص على فكرة الكمية الثابتة Invariant التي تم ادخالها قبل عقدين من ذلك التاريخ ان ثابت التحول في الهندسة الابتدائية يستخدم المسافة بين النقاط ، معرفة بصيغة مناسبة تتضمن خواص الفراغ الذى نعرفه . ولكن هناك صفات معينة (مثل بعدية شكل

Digitized by Birzeit University Library

هندسي) تبقى ثابتة في مواجهة التحولات الطوبولوجية ، تلك التحولات تعبر بلغة هندسية عن خواص لاجسام وعمليات فيزيائية معقدة جدا . كما ان التحولات المشابهة الموجودة في نظرية اينشتين اكتسبت معنى فيزيائيا . لقد فسر اينشتين بعض الصفات الاساسية للكون عن طريق الانتقال من فراغ ثلاثي الابعاد الى آخر رباعي الابعاد .

انه من الممكن تخيل وجود فراغات (انواع مختلفة من الفراغ) تزداد، بعديتها بلا حدود ، ونموهذه البعدية (كما حصل في نظرية اينشتين) يمكنه ان يعبر عن تغيير جذري في تصورنا للعالم . فهل يدفعنا هذا الاسلوب الى خارج نطاق الفيزياء ؟ وهل باستطاعته ان يمثل اثر الفيزياء على الحضارة وعلى الحياة المادية والروحية للمجتمع الانساني ؟ ان الاجابة بالايجاب على هذا السؤال ، أي اثبات وجود امكانية كهذه، يمكنه ان يكون استنتاجيا فقط، وذلك عن طريق تطبيق فكرة البعدية على ظواهر الحضارة . ولكنه من الواضح بديهيا ان هذا التطبيق يغير معنى البعدية، اذ تتوقف عن كونها مجرد مجموعة من الفئات (categories) وتصبح هناك ضرورة لوضعها بين علامتي اقتباس في النص الجديد ، رغم انها تظل محتفظة ببعض التشابه او التماثل الشكلي مع الفكرة الرياضية والفيزيائية الصرفة .

اننا لا نتحدث عن وجود تشابه سطحي بين بعدية الكون وبعدية الحضارة، وانما عن انعكاس حقيقي لصورة معينة للكون على بنية وتطور الحضارة المعاصرة، والتي تشكلت داخل اطار العلم غير الكلاسيكي . ان البعدية بمعناها الطوبولوجي الاصلي، تشتمل على التحول من فراغ صفرى البعد مكون من نقاط منعزلة الى فراغ احادى البعد ، اى الى خط مستقيم يتكون من هذه النقاط . بهذا المعنى الطوبولوجي المجرد والاساسي تختصر فكرة البعدية الى بيان عن عملية تركيب الكون، اى استثناء وجود نقاط منعزلة بشكل مطلق من صورة الكون، وتمثيل النقاط كعناصر في مجموعة . وهنا يصبح من الممكن رسم خط موحد ، ورؤية التماثل الشكلي بين البيان المذكور وبين بيان آخر عن عملية تركيب المجتمع . هذا البيان يمكنه ان ينكر امكانية وجود ذلك النوع من الاستقلال الفردى الذى اقترحه في القرن الماضي الفيلسوف العدمي ماكس ستيرنر في كتابه The Ego and His Own (١٨٤٤)، لكونه يمثل الحضارة كمركب يدخل فيه من الفرد كمجموعة من العلاقات الايديولوجية والمادية المتقاطعة ، والتي تزداد باضطراد . وبالقفز قليلا الى الامام ، يتوجب على المرء ان يصرح بأن تماثلا كهذا يصبح بيانا سببيا اذا اعتبرناان مفهوم او صورة الكون هي قوة محركة لها اثر حتمي على الحضارة، تعطيها تركيبا متناميا وتعقيدا متزايدا ، مثل تصورنا للعالم الذى يزداد تعقيدا، والذى بدوره يعكس لنا التركيب الحقيقي واللامحدود لنظام الكون الكبير وكذلك الكيان الصغير . من هنا نبدأ بتمييز العلاقة بين مفاهيم البعدية في الكون والمعرفة والحضارة، والتي هي موضوع هذه المقالة .

٣) لا معكوسية الارتقاء الكوني ولا معكوسية الحضارة

تعتبر نظرية النسبية من جهة، وتمثيل الحقول المتصلةمن جهة اخرى، بداية لسلسلة من المفاهيم الفيزيائية التي تقود الى ادراك واسع لنظام الكون الكبير والكيان الصغير، حيث تم تمثيله بمخطط هندسي شامل . هذا

Digitized by Birzeit University Library

الادراك ينتقل بنا من تركيب النظام الكوني الى تركيب العلم ذاته كظاهرة للحضارة، ثم الى تكوين الحضارة، وبعدئذ الى لا معكوسية تطورها .

... ان المفهوم الكلاسيكي للامعكوسية الزمن لم يحتوى على منظور واسع، كهذا . لذلك رأى الاساس الفيزيائي للامعكوسية الزمن، اي الفرق الذى تتغذر ازالته بين قبل و بعد ، في ارتفاع كمية الانتروبيا (اى الفوضى (Entropy). ان دليلا من هذا النوع على اللامعكوسية يتجاهل وجود الكيان الصغير جدا ، كما يواجه صعوبات جمة عندما يطبق على النظام الكوني ، اى على الكون بمجمله . كما ان التفسير الكلاسيكي لم يرتبط بقضية الادراك الحسي الداخلي والذاتي للامعكوسية الزمن، ولا بقضية لا معكوسية الادراك ولا معكوسية الحضارة .

ان نظرية النسبية لا تشتمل بشكل واضح على مخطط للعلاقة السببية بين لا معكوسية الارتقاء الكوني والعمليات الميكروسكوبية، وكذلك العلاقة بين الارتقاء اللامعكوس للنظام الكوني والارتقاء اللامعكوس للنظام الكوني والارتقاء اللامعكوس لاساليب التعبير عنه . لكنها تعرض امكانية وجود مخطط كهذا . ويمكن للمرء ان يأمل ان نكون اينشتين، (التي اوردها في سيرته الذاتية عام ١٩٤٦)، بأن نظرية النسبية لا تستنتج علاقاتها من التركيب الذرى للمادة ، قد يمكن التغلب عليها من خلال التطور اللاحق في الفيزياء ، مما سيؤدى الى ظهور وصف تفصيلي للتطور اللامعكوس في الكون . ورغم ان دراسة هذه القضايا لم تقدنا الى نظرية للجسيمات الاولية والفيزياء الفلكية، فان التطور اللامعكوس له اثبات مؤكد عندما لا نتحدث عن النظام الكوني ، وانما عن ادراكنا له ، وعن العلم كظاهرة للحضارة وكجزء اساسي من تاريخ العقل القادر على الادراك . فالادراك يسير على خط يشبه كثيرا مسار الحركة البراونية (Brownian Motion) ، اذ يمكن للعلم ان ينحرف عن طريق الحقيقة، ثم يعود اليه احيانا ، ولكن تبقى هناك بعض التحولات اللامعكوسة باتجاه تمثيل أكثر ملائمة للكون . ان تاريخ نظرية النسبية يبين لنا ما هو صحيح بالنسبة لتاريخ العلم ككل : العلم هو الاقتراب اللامعكوس للعقل نحو الحقيقة الموضوعية .

والسؤال هو : هل تستطيع لامعكوسية المعرفة ان تضمن لا معكوسية الحضارة ؟ لا شك ان لا معكوسية المعرفة مرتبطة بظهور مقاييس آينشتين، اى التسويغ الخارجي والاكتمال الداخلي، الضرورية للتعبير عن الكون . ومجرد نمو كهذا في المعرفة يزودها بطابع لا معكوس . فهو يقود الى ما اسميناه بنمو المبعدية في صورة الكون، اى ان كل تأكيد علمي جديد يبرهن على انه تقاطع لعدد متزايد من تسلسلات منطقية اكثر عمومية (اكتمال داخلي)، وتعميم لعدد متزايد من المعطيات التجريبية (تسويغ خارجي). اما صورة العالم فتصبح اكثر توحد في اسسها، وأكثر تمايز في تفاصيل عناصرها المكونة . فما هو الاثر الحضارى لتطور كهذا ؟ .

من الواضح ان المثال الذى تزودنا به اعمال اينشتين كاجابة على هذا السؤال هو ليس مثال خاص . فنظرية النسبية ليست فقط خلاصة لسلسلة كاملة من الاجابات على تساؤلاتنا المتعلقة بطبيعة الفراغ والزمن والحركة والمادة . لكنها ملخص لتطور العلم كظاهرة للحضارة، ولارتقاء علاقته بعوامل حضارية اساسية اخرى، مما يعني ارتقاء في القيمة الانسانية للعلم . لذلك، فعند تحليل

Digitized by Birzeit University Library

الاثر الحضارى لنظرية النسبية ، ينكشف لنا الارتباط بين النمو اللامعكوس على عدة مستويات للبعدية داخل تكوين العلم من جهة ، وبين مميزات الحضارة من جهة اخرى . ان النسبية تؤكد على الحقيقة الفيزيائية للحالة الموضعية (Local situation) امكانية تحرك جسم ما بسرعة محددة ، وذلك عن طريق ربط هذه المسألة بمختبر معين تفقد بدونه الحركة معناها . هذه الصيغة العامة للنظرية هي التعبير الاوضح والاشمل عن المعرفة التي تناضل من اجل تعدد بعديتها بشكل لا نهائي . لا شك اننا نذكر التعريف التقليدي للحقيقة والخير والجمال كتجسيد ثلاثي للانهاية . ان تطور الحضارة يشتمل ايضا على تطوير لهذه المكونات . انني لا اعطي هنا تعريفا جديدا للحضارة، لان كل تعريف، سواء أكان واضحا ام لا ، يجسد اعترافا بالطبيعة اللانهائية للحضارة . فربط الانسان بكون لا نهائي التعقيد ، ونشوء وتطور الانسان متعدد الابعاد ، هو ما يربط المعرفة وعناصر الحضارة بالخير والجمال في الحقيقة

Digitized by Birzeit University Library

الطابع التصنيفي للنماذج العالمية

بقلم : جيرمن غويشياني ـ اكاديمي

تحظى التفاعلات الحية والضخمة الجارية في الاتحاد السوفياتي، يوما بعد يوم بمزيد من الاهتمام في مختلف اوساط الرأى العام ووسائل الاعلام في بلدان العالم المختلفة. واذ تعكف وسائل الاعلام الامبريالية، على تشويه العملية الجارية في الاتحاد السوفياتي، نتيجة الحرج المتزايد الذى تسببه لها الهجوم السلمي السوفييتي، والتطوير الحي لمبادئ واصول الديموقراطية الاشتراكية، والتوجه المثابر لرفع مستوى الشعب والشغيلة الاقتصادى والاجتماعي، والذي ينطلق من ان الانسان هو الهدف السامي للاشتراكية، فان بعض ابواق الدعاية المحلية، في المناطق المحتلة، آثرت لنفسها الانضمام الى ـ جوقة التحريض والتشكيك في مواقف الاتحاد السوفياتي وسياساته. واذ لا يفاجئنا ذلك، خاصة وان مصادر العديد من المقالات التي ترد على صفحات بعض الصحف المحلية، تصلها من خلال النشرات الاعلامية التي يتولى توزيعها القنصلية الامريكية في القدس، فان المغزى السياسي الذى تريد هذه المقالات ايصاله للقارئ، هو خلق الشكوك في موقف الاتحاد السوفياتي، من اجل تسهيل الانضمام الى مسيرة الحل الامريكي ـ الاردني.

ان الكلمات الروسية الجديدة التي غزت قواميس العالم هذه الايام، نوفي ميشلينا، وجلاستسن، وبرستيورتا، اى التفكير الجديد، وتوسيع العلنية، واعادة البناء، هي حصيلة جملة واسعة من الدراسات والاختبارات العملية للمجتمع الاشتراكي، وهي تطور حي وخلاق لمبادئ وافكار ثورة اكتوبر الاشتراكية.

ومن اجل عرض حقيقي للاسماء والمنطلقات النظرية والعملية للتغيير الجديد في الاتحاد السوفييتي، بدأت الكاتب بتخصيص زاوية لعدد من

Digitized by Birzeit University Library

المقالات المختارة تعريفا لقارئنا المحلي بالتطوير الحي النظرى والعملي الذى يرتسم ملامحه في وطن اكتوبر وقد اختارت الكاتب في هذا العدد مقال الطابع التصنيفي للنمذجة العالمية .

ان دراسة منظومات العصر العالمية تصبح اليوم مهمة حيوية كبيرة من مهام العلماء السوفييت. فقد جاء في الصيغة الجديدة لبرنامج الحزب الشيوعي السوفييتي ان القضايا العالمية " ... احتدمت في النصف الثاني من القرن العشرين بوجه خاص وباتت تمثل اهمية حيوية بالنسبة لكافة البشرية : حماية البيئة وقضايا الطاقة والخامات والغذاء والسكان، والاستثمار السلمي للفضاء الكوني وثروات المحيط العالمي وتذليل تخلف العديد من البلدان المتحررة اقتصاديا والقضاء على الامراض الخطرة وغيرها . وتتطلب معالجتها بذل جهود مشتركة من جميع الدول" (١). ولا تنحصر دراسة الاشكال العالمية الان في اهداف علمية ومعرفية بحتة، بل وعلينا الا نقوم بدراستها فحسب وانما ان نتعلم التحكم به، اى ان نعمل على حل المعضلة العملية المهمة التي يتوقف عليها استمرار التطور العلمي ـ التقني والاقتصادى ـ الاجتماعي .

ولكن حل هذه المعضلة بنجاح يتطلب الاستعانة بمعارف وطرق مستمدة من مختلف العلوم، وتوحيد جهود العلماء المختصين في المجالات العلمية ـ الطبيعية والانسانية . وان النمذجة العلمية التي تستعمل طرق البحث الرياضية الشكلية والغنية هي واحدة من طرق الدراسة الشاملة والمتعددة المواضيع العلمية للقضايا العالمية والقائمة على مبادئ الموقف التصنيفي . وهذه الطريقة تضمن تحقيق التلاحم اللازم بين المعارف المتوفرة عن الجوانب والعناصر المختلفة للمنظومة العالمية .

ونحن نبحث في هذه المقالة مسائل نمذجة البنى والعمليات العالمية ، ومواصفتها التصنيفية وخاصياتها المتميزة ومنهجية التقسيم البنيوى لموضوع البحث ، والطبيعة الاجتماعية للنمذجة التصنيفية .

تصنيف نمذجة البنى والعمليات العالمية

==========

ان التحليل التصنيفي الذى يستعمل معطيات العلوم الاجتماعية والطبيعية والتقنية والذى يجمع عضويا بين تنسيق وتكامل شتى انواع النشاط اصبح في ايامنا الراهنة اهم الادوات المنهجية في معرفة مختلف جوانب وعمليات المنظومة العالمية والتحكم بها . ذلك ان التحليل التصنيفي بالاستناد الى المبادئ الفلسفية ـ المنهجية للتحكم بالمنظومات المعقدة، لا يتيح لنا ان نكون صورة متكاملة للتفاعل القائم بين التقدم العلمي ـ التقني وتطور المجتمع فحسب بل ويعتبر اداة عملية لتحقيق امثل انواع التحكم بالعمليات العالمية المعقدة . ومن اهم المجالات الفعالة في التحليل التصنيفي النمذجة العالمية .

ان الاساس النظرى لمنهج التصنيف الكمبيوترية ـ اكثرها تماثلا في المرحلة الراهنة من دراسة العمليات العالمية (٢) ـ

Digitized by Birzeit University Library

يكون من مبادئ المادية الديالكتيكية . وان
ذه الطريقة الجديدة في المعرفة والتحكم
الاجتماعي ـ الاقتصادي، هي ليست الا اداة
نية خاصة تابعة للنظرية الماركسية ـ
لمنهجية العامة حول تطور الطبيعة والمجتمع
والفكر الانساني .

والنمذجة العالمية ترتبط ارتباطا وثيقا
بالمبادئ الاساسية للموقف التصنيفي . وهي
مفهوم التكامل العلمي المتعدد المواضيع
لطبية دراسة المواضيع العالمية، ومبدأ
التكامل التصنيفي للمعرفة ـ في النماذج
العالمية تتلاءم معطيات جميع العلوم الراهنة
عليا ـ علما ان امكانية التلاحم العلمي
الذي تؤكدها الفكرة الفلسفية بشأن وحدة
الطبيعة . فالموقف والنمذجة التصنيفيان
يقران الانسان هدف المسيرة التاريخية، وان
مبادئ هاتين الطريقتين العلميتين
وغيرهما موجهة مبدئيا نحو مستلزمات
وصالح الانسان بصفته القيمة الاسمى (لذا
نوصنا ان نقول هنا ان المواقف الاقتصادية
الضيقة من تقييم تطور المنظومة العالمية
والآثار الاجتماعية الناجمة عن التقدم العلمي
ـ التقني تبقى محدودة) .

والمادية الديالكتيكية تعلل التحليل
والنمذجة التصنيفية للعمليات العالمية انطلاقا
من المبادئ المنهجية التالية :

- تطبيق مفهوم تصنيف الموضوع العالمي
باعتباره حركة من الكل الى الجزء ومن
المنظومة الى العنصر .
- فرز مستويات بنيوية، وبناء سلم تدرج
عناصر المنظومة .
- الانطلاق من دراسة الخواص الى دراسة
العلاقات .
- الاعتماد على الوصف المتعدد النماذج
للموضوع العالمي المعقد في نظام
المحاورة .

تحديد الابعاد المثلى لنظام النموذج
القادر باطراد على رفع مستوى تماشيها
مع الموضوع التصنيفي قيد البحث .

ولا يمكن ان تتناول في عملها كل هذه
القضايا بالطبع الا اسرة علمية تتكون من شتى
الفروع العلمية وتجمع بشكل عقلاني بين
البحوث الاساسية والتطبيقية .

ولدى تحليل نزعات النمذجة العالمية
يمكن ان نشير الى ان هذا الشكل التاريخي
من طريقة النمذجة التقليدية يشهد اعتماد
المزيد والمزيد من عناصر التصنيف . فمحل
البنى الصلبة غير المحاورة التي ميزت اول
النماذج العالمية، تحل منظومات المحاورة
الانسانية ـ الكمبيوترية لنمذجة عمليات
التطور العالمي التي تعمل على وضعها جملة من
المؤسسات العلمية بما في ذلك معهد البحث
العلمي للدراسات التصنيفية. اذ ان دراسة
وتحليل النماذج الانسانية ـ الكمبيوترية
يكونان واحدا من المجالات الهامة في مواصلة
تطوير الدراسات التصنيفية التي تربط بين
البحوث الفكرية ـ النظرية والوصفية وبين
الطرق الشكلية وامكانيات الكمبيوترات في
معاملة المعلومات .

ومن ثم فنحن سنبحث ثلاث حالات مهمة
مبدئيا ، تجسد على اتم وجه الطابع
التصنيفي للنمذجة العالمية وهي : الطابع
الديالكتيكي لموضوع وطريقة النمذجة العالمية
، وتقريب النماذج من مستوى التعقد
التصنيفي للمواضيع الطبيعية والاجتماعية ـ
الطبيعية الكبيرة، وقضية مراعاة العوامل
الاجتماعية لتطور المنظومة العالمية في
النماذج على اتم وجه .

منهجية التقسيم البنيوي لموضوع النمذجة العالمية

==========

ان التقسيم البنيوي للنمذجة العالمية

Digitized by Birzeit University Library

يقوم على اول مبدئين في المنهجية التصنيفية ـ الحركة من الكل الى الجزء / فرز العناصر / وتمثيل الموضوع كمنظومة متعددة المستويات . كما تجرى ديالكتيكيا دراسة المنظومة العالمية وتحليل تناقض نزعات التطور العالمي .

ان المنظومة المتكاملة للتناقضات العالمية في منتهى التعقيد وتضم العديد من المشاكل الحادة التي تنقسم بدورها الى مجموعات ومنظومات . فمع ان المجتمع والطبيعة يميلان الى الاتحاد الا انهما يشهدان في الوقت نفسه نزاعا حادا للغاية ،وكذا القوى السلمية تسعى الى التكاتف والسلام الوطيد والتعاون السلمي ولكن الاوساط الامبريالية تعمل على تأزيم الوضع الدولي واستمرار سباق التسلح والمجابهة العسكرية . والتناقض قائم بين قوى السلم والمجمع العسكرى الصناعي في كبريات البلدان الرأسمالية . ويتناقض وجود المنظومات الاقتصادية ـ الاجتماعية مع نزعات نمو التبادل التجارى الدولي والتعاون الاقتصادى ومواصلة تدويل العلاقات الاقتصادية . وتحتل مكانة هامة هنا التناقضات المتعلقة بالتطور الاقتصادى ـ الاجتماعي في البلدان النامية ـ فدورها في العالم ، ينمو ، ولكن تخلفها في مجال التطور الاجتماعي يتجلى علميا في جميع ابعاد حياتها الاجتماعية . والطبيعة المتناقضة للثقافة التي تعمل على التقارب بين الناس، من جهة، وكون الاهداف الثقافية الناشئة تاريخيا ، من جهة اخرى، قد يعيقان التعامل ، الامر الذى يعتبر في منتهى الخطورة في ظل القضايا العالمية . والكثير غيرها . على ان كل ذلك التناقض العميق القائم بين عمليات التطور العالمي لا ينفي عناصر التكامل في المنظومة العالمية التي يرتبط مصيرها ارتباطا لا ينفصم بمصير كوكبنا كوحدة طبيعية .

وموضوع النمذجة العالمية هو عبارة عن منظومة من عناصر مترابطة ذات مواصفات متميزة . كمالا يفترض التقسيم البنيوى للموضوع ضرورة بحثه الموضوعي فقط بل والعمل ايضا على فرز القضايا التي سوف يتم تحليلها . فضلا عن ذلك ان تحليل الاشكال العالمي يتوجب فرز الكثير من المنظومات الثانوية التي يقيض تطورها مسار ومجرى العمليات في المنظومة العالمية ، ويتيح باطراد امكانية دراسة عناصر الموضوع من وجهة نظر المهام العلمية للنمذجة العالمية .

والدور الرئيسي في هذه المجموعة المعقدة من المنظومات الثانوية يعود الى المسائل المتعلقة بضمان سلام وطيد ، ووقف سباق التسلح . فهي مسائل حياة او موت كامل المنظومة العالمية . اذ تبرهن الدراسات العلمية بشكل قاطع على ان الضربة النووية العالمية تعني فناء الحضارة والحياة ذاتها على الارض . فعلى كوكبنا الصغير الذى يزخر بعلاقات لا تعدولا تحصى ، لا يجوز حدوث اية نزاعات نووية " محدودة " او " محلية " . ولكن حتى لو لم يفض التوتر الدولي الى اوخم العواقب كان نتيجته الحتمية ـ سباق التسلح والخطر العسكرى، ومحاولات تحقيق تفوق عسكرى احادى الجانب ـ سوف تؤدى بحدة الى تردى ظروف معالجة مجموعة القضايا العالمية .

اذ ان مهام حماية البيئة الطبيعية وتوفير الطاقة والاغذية والرعاية الصحية للسكان لا يمكن حلها الا في ظروف امن متكافئ ومضمون وفي ظل تعايش وتعاون سلمي تشارك فيها جميع البلدان والشعوب . اما وقف سباق التسلح فسوف يتيح الفرصة لتوجيه موارد مادية كبيرة وقدرات بشرية ضخمة اضافة الى اقيم الخامات والموارد الطبيعية الى مجال النشاط السلمي ونحو تنفيذ مشاريع كبيرة في مجال التجديد الايكولوجي للطرق التكنولوجية وزيادة انتاج الاغذية ولتلبية مستلزمات

Digitized by Birzeit University Library

التعليم والرعاية الصحية . فمعالجة القضايا البيئية، كما تؤكد الصيغة الجديدة لبرنامج الحزب الشيوعي السوفييتي، "سوف تتيسر بقدر كبير فيما اذا اوقفنا هدر القوى والموارد على سباق التسلح" (٣) .

والاقتصاد هو المنظومة الثانوية المهمة الاخرى من المنظومة العالمية التي يجرى تناولها . فهو من خلال تطوره يعمل على تلبية متطلبات السكان حسب قواعد تحددها آلية عمل الادارة من خلال استعمال الارصدة الانتاجية والموارد الطبيعية والبشرية ومنجزات التقدم العلمي ـ التقني . ويرتبط الاقتصاد ارتباطا وثيقا بجميع عناصر العمليات العالمية، وهو يؤثر تأثيرا كبيرا بالاخص على حالة البيئة ، ويجب على نفسه مفعول المشاكل الايكولوجية لاسيما في مجال الخدمات . اما الصلة بين الحالة التي يشهدها الاقتصاد وعملية العسكرة في العالم فهي بادية للعيان .

وفي منظومة الاقتصاد الثانوية يبرز عنصر مرتبط بتغذية انتاج الغذاء . ولا يتوقف هذا العنصر فقط على الارصدة الانتاجية والموارد البشرية والتقدم العلمي ـ التقني كما هو حال العناصر الاقتصادية الاخرى، وانما ايضا على العوامل الطبيعية، مثل مساحة الارض المزروعة والظروف الطبيعية ـ المناخية . اذ يعتبر الخبراء، ان معدل النمو السنوي لانتاج الغذاء في العالم سيبلغ حتى عام ٢٠٠٠ نسبة ٢ر٢ بالمئة ـ في ظل ظروف مستقر وفي حالة الاعتماد على عوامل التنمية العمودية مثل الهندسة والكيمياء والري، اي تلك العوامل التي تحتاج الى استهلاك الطاقة . و" الاتجاهات الاساسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في الاتحاد السوفييتي للاعوام ١٩٨٦ ـ ١٩٩٠ والفترة الممتدة حتى عام ٢٠٠٠" تخطط لزيادة معدل الحجم السنوي للانتاج الاجمالي في القطاع الزراعي بنسبة ١٤ ـ ١٦ بالمئة " بالدرجة الاولى على حساب عوامل التنمية العمودية واستعمال احدث منجزات العلوم والتقنية والممارسة المتطورة، والاستثمار الفعال للقدرة الانتاجية المتوفرة " (٤) .

واما ذلك العنصر في المنظومة العالمية مثل احتياط الخامات المعدنية فلا يقيضه حجمها الطبيعي وحده بل وكثافتها وسهولة استثمارها . وعلى ذلك تتوقف كلفة استخراج ومعاملة الموارد وهذه الكلفة بدورها تحدد الجدوى الاقتصادية لاستعمال مادة بدل اخرى ولهذا فان التنبوءات الجيولوجية بظروف الاستخراج تكتسب اهمية بالغة جدا هنا . فضلا عن ذلك ان الموارد الطبيعية على الارض وبالاخص الطاقة تتوزع على مناطق العالم بشكل غير متجانس، الامر الذي يؤثر على الكثير من العوامل الاخرى ـ فالبلدان الرأسمالية في سعيها وراء الخامات والوقود والاغذية الرخيصة لا تتورع عن استغلال موارد البلدان الاخرى استغلالا وحشيا وتؤزم بذلك قضية حماية الطبيعة والتعامل العقلاني معها ، وان السعي الى السيطرة على مصادر الخامات كثيرا ما يؤدى الى المجابهة والعدوان المباشر . ولهذا ينبغي في غضون النمذجة الا نراعي خواص البلدان السكانية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية فقط بل ومدى اكتفائها بالموارد الطبيعية ايضا .

وباستخراج ومعاملة الموارد الطبيعية ترتبط بقدر كبير مسألة تلوث البيئة، اى ذلك العنصر من المنظومة العالمية الذى يتكهن له الخبراء بالضبط اوخم عواقب التنمية العفوية والمتفلتة، مثل " الامطار الحامضية" والتلف الجزئي لطبقة الازون، وارتفاع كثافة غاز ثاني اوكسيد الكربون في الجو، تحتات التربة وانحسار الغابات وتحول مساحة واسعة من الاراضي المزروعة اى الصحراء . كما ان التشاط الانتروبوجني يؤثر على الطقس ايضا الامر

Digitized by Birzeit University Library

الذى يؤدى كذلك الى تأثيرات سلبية كبيرة على الكثير من العمليات الطبيعية . ومع انه يتعذر على الخبراء حتى الاونة الاخير الاجماع على رأى واحد بشأن دينامية هذا العنصر الا ان غالبيتهم تفترض ان الارض تمر في عهد ارتفاع درجة الحرارة في الطقـــس .

ويكون التقدم العلمي ــ التقني عنصرا خاصا في المنظومة العالمية . فالجميع يعرف مدى اهمية الدور الذى يلعبه في كل جوانب التطور العالمي . ولكن المهمة بالنسبة للنمذجة كون هذا العنصر وبخلاف للعناصر الاخرىغير مقيد جغرافيا . فلا يجرى تمثيل وتيرة نشاط السكان الاقتصادى في الكثير من نماذج النمو الاقتصادى الا على شكل تناسب خطى بين وتائر النمو السكاني ووتائر التقدم العلمي ــ التقني . معنى ذلكان بوتائر التقدم العلمي ــ التقني لا ترتبط فقط تغيرات ظروف حياة الانسان، بل وحالة البيئة المحيطة ــ تأثيرها على بيئة الحياة في زيادة مستمرة حتى في ظل استقرار تعداد السكان . والمعدل السنوى لوتيرة التقدم العلمي التقني لا يمكن تقييمه الا بعد وضع فرضيات تتناول طبيعة هذا التقدم .فاذا اعتبرنا ان وتائر التقدم العلمي ــ التقني تتوقف على التوظيفات الاساسية فيمكننا القول ان هذه الوتيرة تتراوح بالنسبة لمختلف البلدان بين ٥ر١ و ٥ر٣ بالمئـة .

ان واحدة من اهم القضايا بالنسبة لكامل المنظومة العالمية هي قضية نمو تعداد السكان الذى سيصل في عام ٢٠٠٠ حسب اخر التنبوءات الى ٦ر١ ــ ٤ر ٥ مليار في ظل معدل سنوى للنمو قدره ٧ر١ ــ ٨ر١ بالمئة . وكما كانت العمليات السكانية غير متساوية في البلدان ومناطق العالم المختلفة لذا فسوف نضطر الى بحثها في كل منطقة على حدة .

والمنطقة هي عنصر الزامي لدراسة المنظومة العالمية، لان هذه الاخيرة ذاتها تكون في منتهى التنوع، اضافة الى تنوع العمليات الاقتصادية والاجتماعية ــ السياسية الجارية في شتى مناطق الارض، كما يحظى باهمية هنا ايضا تفاوت الظروف الجغرافية والمناخية .

وفي سياق دراسة سكان الارض كقضية عالمية، لا يجوز لنا ان نحصر اهتمامنا بالمواصفات السكانية فقط، اى مسائل الولادات والوفيات وبنى الاعمار والاجناس والعوائل . ذلك ان طرق تلبية متطلبات الناس الروحية والمادية بل وحتى هذه المتطلبات نفسها تتوقف على الاهداف الاجتماعية ــ السياسية الطبقية والايديولوجية وعلى منظومة القيم ومعايير السلوك الناشئة والتي تتغير بدورها تحت تأثير تطور طريقة الانتاج ولهذا فعلى النمذجة العالمية الا تنظر الى السكان على انهم صنف بيولوجي بقدر ما هم قوة ذات نشاط اجتماعي بالدرجة الاولى . فالبنية الاجتماعية ــ الطبقية تبرز هنا بمثابة عنصر من عناصر موضوع النمذجة .وان استقرار هذه البنية ونشاط السكان الانتاجي ومنظومة القيم تتوقف على العمليات الاجتماعية، في حين ان الوجه الطبقي للمجتمع يتوقف على الميزان الطبقي . كما ينبغي ان نراعي ايضا البنيت المهنية والتعليمية للسكان، وبنية العمالة، والميزانية الزمنية .

ان اشكال النشاط الاجتماعي وبالتالي السكاني والايكولوجي التي يزاولها السكان بل وجميع اشكال نشاطهم الاخرى يجرى بهذا القدر او ذاك تنظيمها من خلال آلية الادارة، ولمختلف الاليات ــ وهي تختلف بقدر كبير من حيث الاهداف والطرق والبنى في البلدان ذات الاقتصاد الاشتراكي والرأسمالي والمتعدد الانماط ــ هناك مختلف سيناريوهات التطور البديلة، ولهذا ينبغي لنا

Digitized by Birzeit University Library

في سياق نمذجة العمليات العالمية ان نشخص ذلك العنصر الذى يجسد التكوين الطبقي للمجتمع .

بل وان مفهوم " التطور العالمي " و العمليات العالمية" يفترض ذاته علاقات وثيقة وتفاعلا متنامياً بين بلدان ومناطق العالم . ولا ينحصر ذلك فقط على السوق والتجارة العالمية بل ويشمل التبادل التكنولوجي والثقافي ، وبروح الايدى العاملة والكثير غيرها من العمليات . اذ ان التفاعل بين مختلف المناطق يعد عنصرا مهما في المنظومة العالمية ومن خلاله تجسد في النموذج العلاقات بين البلدان والمناطق ، علما ان ادراج البلدان او مناطق يجرى على يد الخبراء او من خلال تحليل العوامل .

ونحن لم نأت في سياق التقسيم البنيوى للمنظومة العالمية الا على تعداد اقل قدر من العناصر . وفي حالة الاقدام على وصف الموضوع وصفا اوسع فان عددها سيزداد بالطبع ويجرى تقسيم العناصر الاساسية بدورها تقسيما بنيويا ولتحصيل بالتالي على وصف نوعي مفصل . فضلا عن ذلك يمكننا من حيث المبدأ فرز عناصر موضوع النمذجة العالمية استنادا الى اسس اخرى .

الترابط القائم بين المعضلات العالمية وبنية النمذجة العالمية

==========

سبق وان ناقش الباحثون السوفييت المعضلات العالمية . ولذا فلن تأتي ادناه الا على مزايا الترابط القائم بين اهم المعضلات العالمية من حيث المضمون وعدد من مسائل الدراسة التصنيفية لهذه المشاكل على مستوى التصورات الفكرية – النظرية والتقديرات الدقيقة المتفرقة .

ان الاشكال العالمي هو اشكال ديالكتيكي ، والمشاكل العالمية هي عبارة عن تناقض ، من جهة ، ووحدة تصنيفية متكاملة ، من جهة اخرى وبسبب الواقع تحتدم التناقضات فيما بينها وتنطوى المعضلات في الوقت ذاته على امكانية معالجة هذه التناقضات . وعلى النمذجة هنا ان تراعي واقع ان اى موقف من معالجة مشكلة معينة يمكن ان يؤثر على امكانية حل مشكلة اخرى . ولهذا يجب في غضون النمذجة ان نحقق مستوى امثل من شأنه ان يضم نزعات متناقضة في تحليل مجموعة المعضلات باكملها

وفي هذا الجزء من الاشكال الذى يعود الى اهم مبادئ التصنيف من وجهة النظر الشكلية ، ويسمح باستعمال المؤشرات الكمية يمكن ان تعبر بعض المعضلات عن اختلال في توازن وتأثر نوعناصر المنظومة العالمية ، ناجم عن علاقات الملكية الخاصة ، وبتباين كبير في هذه المنظومة على صعيد بعض المؤشرات ، وباحتمال اقتراب هذه المؤشرات من قيمتها الحرجة التي تتغير بعدها تغيرا حادا بنية المنظومة ككل ومنظومتها الثانوية الكبيرة ايضا هذا ويحدد المنظومة نمطان من المؤشرات .

الى النمط الاول يعود ما يسمى الحالات المتغيرة او المتغيرات الطورية التي لا يمكن التأثير عليها مباشرة – والى الثاني – التأثيرات المتحكمة التي يجرى اختيارها عادة في اطر ضوابط معينة ولا يمكن ان تتخذ قيمة عفوية ولكنها تتغير تبعا لاهداف تطور المنظومة . وطبقا لتصنيف المؤشرات هذا تقسم سيناريوهات التطور الى سيناريوهات بنيت على مصطلحات التأثيرات المتحكمة واخرى على الحالات المتغيرة .

والسيناريوهات البديلة لتطور البلدان ومناطق العالم تطورا مترابطا وطويل الامد

Digitized by Birzeit University Library

تستعمل لاعداد قرارات اجهزة التخطيط والادارة والتوصيات المتعلقة باختيار استراتيجيات التطور المثلى ، مثلا ، في مجال توزيع الموارد على فروع الاقتصاد الوطني ، واستثمارها وحماية البيئة والسياسة العلمية التقنية والبرامج الاجتماعية والتخصص والتعاون في مجال العلاقات الاقتصادية الخارجية . وفي حالة توفر الجهاز النظرى والمنطقي او الشكلي الذى يشخص الترابط بين النمطين من السناريوهات فعندما يمكن ان يكون هناك طرحا للمسألة .

ففي الحالة الاولى يجيب السيناريو المبني على اساس مصطلحات التأثيرات المتحكمة ، والذى يضم مجموعة من الصيغ البديلة المحتملة ، عن السؤال التالي :كيف ستتطور المنظومة في ظل التأثيرات المتحكمة الراهنة ، او بعبارة اخرى كيف سيكون السيناريو في مصطلحات الحالات المتغيرة . واما في الحالة الثانية فيجرى للسيناريو المقرر لتطور المنظومة في مصطلحات الحالات المتغيرة اختيار سيناريو يوافقه في مصطلحات التأثيرات المتحكمة . وطرح المسألة على هذا النحو يعد من الناحية الفنية اعقد بكثير من الطرح الاول ، ذلك اننا نضطر هنا الى البحث عن التأثيرات المتحكمة الوحيدة الممكنة في حدود الضوابط الصارمة .

وهكذا فان كل معضلة عالمية يجب الا ترتبط فقط بعناصر مختلفة من النمذجة التصنيفية ، بل وان يجرى وضعها بواسطة جهاز وصفي معين . ففي السيناريوهات بالذات يجرى الجمع بين الدراسة الفكرية ـ النظرية للاشكال العالمي وبين الدراسات النمذجية ذاتها ، وفتح الطريق لمراعاة جوانب المعضلات التي لا يمكن صياغتها . واليكم بعض الامثلة للسيناريوهات الممكنة في شتى مجالات الاشكال العالمي .

ان قضية صيانة السلام ووقف سباق التسلح تؤثر تأثيرا شديدا بالاخص على ظلل العناصر في المنظومة العالمية مثل السكان ووسط الحياة / ان قسط الصناعات العسكرية في تلويث البيئة يبلغ حسب تقديرات الخبراء ٤٠ بالمئة / والتفاعل بين المناطق والاقتصاد / تنفق على الاغراض العسكرية في

وقت السلم زهاء ٥ ـ ٦ بالمئة من الناتج الاجمالي العالمي وزهاء ٤٠ بالمئة من مجموع النفقات على الدراسات والتصاميم العلمية/. ومن المحتمل هنا السيناريو التالي : كيف ستتطور مختلف عناصر المنظومة العالمية لو تم سنويا تقليص النفقات العسكرية بمقدار ٢ بالمئة وتوجيه الموارد المتحررة الى البلدان النامية على شكل توظيفات في المجال الانتاجي .

ان نمو تعداد سكان الارض يؤثر على الاقتصاد وانتاج الغذاء ووسط الحياة والتفاعل بين المناطق . وجراء النمو السكاني غير المتجانس تتغير بسرعة خاطفة النسبة بين تعداد سكان البلدان المتطورة والنامية ، وتنشأ حالات جديدة في آلية التفاعل بين المناطق . فهنا يمكن دراسة سيناريو السياسة السكانية الفعالة في البلدان التي بكثافة سكانية عالية وسيناريو نزوح الايدى العاملة على الصعيد الدولي .

وفي غضون بحث قضية الغذاء العالمية يمكن الاشارة الى عدة عوامل . فلو قارنا تقديرات وتائر نمو انتاج الغذاء في العالم ونمو تعداد السكان فيمكننا ان نخلص الى ان معدل حصة الفرد الواحد من انتاج الغذاء في العالم يزداد . ولكننا اذا طرحنا هذه المسألة على صعيد اقليمي ، ونراعي في غضون ذلك ان البلدان المتطورة والنامية تتمتع بامكانات مختلفة في دفع قيمة الغذاء فسنرى ان في بعض المناطق يزداد عدد الناس الذين لا

Digitized by Birzeit University Library

يتلقون كفايتهم من الغذاء . فضلا عن ذلك ان بعض البلدان الرأسمالية التي تنتج كميات كبيرة من الغذاء تحاول استغلال التجارة الدولية وامدادات الغذاء كسلاح لممارسة الضغط السياسي . وجدير بالاهتمام في هذه القضية "سيناريو العناصر المتفاعلة" ايضا ـ انتاج الغذاء وحالة وسط الحياة او التغيرات المحتملة في الطقس .

كما لا يمكن دراسة مشكلة الهوة القائمة بين مستويات التطور الاقتصادي في البلدان المتطورة والنامية الا في حدود البلدان والمناطق . واذا كانت الهوة تفوق عشرة اضعاف فهي لا تؤثر على التفاعل بين المناطق فحسب بل وعلى انتشار التقدم العلمي والتقني ذلك ان الطرق التكنولوجية التي تستحدث في البلدان المتطورة والتي تعتمد على المستوى العالي لتجهيز اماكن العمل والمستوى المهني الرفيع الذي بلغته الايدي العاملة . ولهذه القضية هناك سيناريو المساعدات المالية من البلدان المتطورة الى البلدان الاقل تطورا وسيناريو المساعدات العلمية ـ التقنية المتخصصة التي تعمل على رفع وتائر التقدم العلمي ـ التقني وبالتالي ، وتائر النمو الاقتصادي في البلدان النامية . على انه ينبغي في غضون ذلك مراعاة واقع ان ٩٠ بالمئة من اجمالي النفقات على الدراسات والتصميمات العلمية تتركز الان في عدة بلدان متطورة على الصعيد الصناعي .

ان دراسة مفعول المؤثرات الانتروبوجنية على مواصفات وسط الحياة هي الان في مرحلة سابقة للدراسات النمذجية وبناء النماذج ، وان كان الخبراء يرون ان اخطر التغيرات البنيوية المهددة ايكولوجيا الارض بالذات . اذ لدراسة الارض وضع سيناريو للتطور يسمح بالحفاظ على المنظومة في حالة تجانس وسطي .

وهكذا نرى ان الاشكال العالمي يمتاز بطابع متعدد المواضيع يشمل جميع العلوم ، وبسلوك دينامي وبنية هرمية وينطوي على عناصر مترابطة من انماط مختلفة وتحكم ذي اهداف مختلفة ، وان بعض انواع المعلومات الخاصة بالموضوع غير محددة مبدئيا ويستعصي الكثير عن العمليات على الوصف الشكلي ، وان كل هذه المزايا تتطلب موقفا تصنيفيا في استعمال طرق النمذجة العالمية ـ الوسيلة التقنية الجديدة لمعرفة العمليات الاقتصادية ـ الاجتماعية الجارية في عصرنا .

ان ادارة المنظومة العالمية تطرح بحدة قضية اتخاذ القرارات . ففي التصنيف تحتل النسبة بين المركزية واللامركزية دورا هاما . وج. سايمون حائز جائزة نوبل يشير الى ثلاث حوافز اساسية لعملية اتخاذ القرارات مركزيا : التوفير على حساب اهمية القرار ، وتنسيق الاعمال المترابطة ، والرقابة على مستويات النشاط الادنى لصالح اهداف المستوى الاعلى (٥) . ان المشاكل العالمية في عصرنا تطالب الناس بمستوى جديد من المسؤولية الاجتماعية . واكد ذلك من جديد ميخائيل غورباتشوف في لقائه مع وفد مؤتمر حائزي جائزة نوبل ، حين قال : " لقد بلغت البشرية الان ذلك المستوى الذي يتطلب حكمة خاصة في القرارات ، وترويا وانضباطا في العمل ، والحرص لا على مراعاة المصالح الوطنية الخاصة فحسب بل ومصالح المجتمع العالمي باسره " (٦) .

الاشكال الاجتماعية في النمذجة العالمية

==========

يرتبط احتدام المعضلات العالمية ارتباطا

Digitized by Birzeit University Library

وثيقا بالتناقض الذى تشهدها مسيرة التقدم العلمي ـ التقني في عالمنا الراهن. فالعلم والتقنية يعملان على تغيير العالم والطبيعة ويساعدان على تلبية متطلبات الناس المتنامية، بيد ان الاستعمال غير العقلاني لمنجزات العلم والتقنية يؤدى الى اثار سلبية باتت لا تهدد حياة الفرد الواحد فقط بل ووجود كل ما هو حي على الارض.

وان النزاع بين الاثار السلبية والايجابية للتقدم العلمي التقني قد تأزم في النصف الثاني من القرن العشرين الى درجة بات معها يثير عميق القلق لدى اوسع الجماهير والساسة والشخصيات الاجتماعية والعلماء، واكتسب في ظروف النشاط الاقتصادى القائم على اساس الملكية الخاصة طابعا خطرا. ولهذا فالغرب اليوم يشهد ظهور الكثير من النظريات والمفاهيم التي تتناول جذور نشأة المشاكل العالمية والحالات المتأزمة ومصاعب وتناقضات النمو الاقتصادى وامكانات وآفاق تطور المجتمع البرجوازى.

ووسط الالوان المختلفة من تفسيرات الاشكال العالمي بوسعنا ان نعثر على نظريات مبررة بشكل فاضح واخرى ناقدة بشكل جذرى. فالاول صنف المجتمع الرأسمالي على انه النموذج المثالي للتنظيم الاقتصادى ـ الاجتماعي الذى يتمتع باحتياطات كامنة للنمو الصناعي وبقابلية على تسوية جميع المصاعب والمشاكل والتناقضات تلقائيا. ويرى واضعو هذه النظريات ان التقدم العلمي ـ التقني يتمتع عمليا بامكانات غير محدودة لمعالجة جميع المهام العملية ـ التطبيقية بما في ذلك العالميـــة.

أما المنظرون الغربيون الاخرون فيؤكدون بان النزعات الراهنة لتطور البشرية تنطوى على اوخم العواقب، وان التقليل من خطر هذه العواقب او تقبلها بشكل سلبي سيؤدى في القريب العاجل الى كارثة عالمية. وهنا بوسعنا ان نجد موقفا ناقدا من الانجازات العلمية ـ التقنية واشارة الى قصر النظر في استعمال العلم والتقنية والى تجاهل العواقب الاجتماعية التي تواكب مسيرة التقدم العلمي ـ التقني (٧). فبعض الباحثين يلمس عيوب النظام الرأسمالي والطابع الهمجي لطريقة الانتاج الرأسمالية (٨). واخرون يحاولون من خلال رفض الاعتراف بالنزعات الراهنة في سيرة تطور المجتمع البرجوازى، وتبرير النظام الاقتصادى الرأسمالي وتشخيص قابلياته الكامنة (٩). على ان جميع هذه التحركات تشترك عمليا في سمة واحدة، وهي ان المؤلفين البرجوازيين يعتبرون مشاكل وتناقضات العالم الغربي، مشاكل وتناقضات عالمية عامة يسحبونها على جميع الانظمة الاجتماعية، وعلى البشرية جمعاء. وهنا يكمن احد الاسباب الرئيسية في التفسيرات المشوهة التي يعطونها للاشكال العالمي، وفي عدم فهم جذور وجوهر معضلات العصر العالمية.

وفي السنوات الاخيرة، وفي الوقت الذى يخيم فيه الخطر النووى على البشرية وبوتائر لا مثيل لها يستمر سباق التسلح والدعاية العسكرية، تقبل الصحافة الغربية اكثر فاكثر على تسمية المعضلات العالمية بقضايا البقاء. وفي معرض حديثهم عن مأساة الوجود البشرى جراء الخطر العسكرى يؤكد الكثير من العلماء الغربيين قولهم: " نحن نعيش في عالم يصطدم اليوم بمشكلة تتعلق ببقاء الجنس البشرى او زواله "(١٠). اذ ان اسلحة الفتك الجماعي الحديثة قادرة في دقائق معدودة على ازالة مدن وبلدان ومناطق كاملة من وجه المعمورة، وان القدرة النووية المتراكمة كافية تماما للقضاء كليا على الانسان ككائن بيولوجي.

وان الابحاث النظرية العلمية للعلماء الماركسيين تبين بوضوح كل وخامة الموقف الارعن من الكميات المكدسة من سلاح الفتك الجماعي، ولهذا فان الاتحاد السوفيتي

Digitized by Birzeit University Library

وحلفاءه يخوضون نضالا فعليا من اجل صيانة الحضارة الانسانية من خلال تقدمهم باقتراحات ملموسة في نزع السلاح، وعدم استعمال القدرة النووية لاغراض عسكرية ودرء خطر عسكرة الفضاء الخارجي ـ فقد جاء في رد ميخائيل غورباتشوف على نداء مسؤولي نادي روما ان " قضايا الحرب والسلام تحتل بالتأكيد ، المقام الاول بين القضايا الدولية الراهنة لانها على صلة مباشرة بصيانة الحضارة الانسانية والحفاظ على الحياة على الارض" (١١). ومثل هذا الفهم للاشكال العالمي يفتح الطريق نحو تسوية بناءة لقضايا العالم المعاصر في ظروف من الانفراج والتعاون الدولي .

ولكن، لا يجوز بالطبع ان نحصر كامل الاشكال العالمي في قضية الديمومة فقط، كما يفعل ذلك بعض المنظرين الغربيين الذين يخلصون الى ان البشرية تسير نحو كارثة عالمية حتمية وان التقدم العلمي ـ التقني المنفلت اذ يعمل على عسكرة العالم ، يهدد بذلك ديمومة البشرية . وهنا ، برأيهم يكمن بالذات سبب نشوء المعضلات العالمية ولهذا بالضبط تكون هذه المشاكل مستعصية عمليا . غير ان هذا الموقف الباطل الذى لا يتماشى مع الفهم العلمي لجوهر الاشكال العالمي، من تحليل اسباب نشوء المعضلات العالمية وطبيعتها يقلل بقدر ملحوظ من الاهمية الاجتماعية للمشاريع العالمية الغربية. ويتجسد هذا بوضوح بالاخص في المشاريع التي انجزت بطلب من نادي روما ـ منظمة غير رسمية، بدأت عملها في بداية السبعينات، وترمي الى جذب اهتمام الرأى العام العالمي الى المشاكل العالمية، وتحث رعاية نادي روما بحث ايضا المسائل المنهجية المتعلقة بصنع نماذج كمبيوترية للتنمية العالمية. هذا وان التقرير العاشر لنادي روما " الطرق المؤدية الى المستقبل"، الذى عكس بشكل ملحوظ بالاخص الاخطاء الايديولوجية التي وقعت فيها العالمية الغربية قد تناولته المطبوعات السوفييتية بتحليل موقف مفصل)١٢(.

ولكن التناقضات التناحرية في المجتمع الرأسمالي لا تلبث ان تنكشف في مشاريع عالمية غربية، خلافا لرغبة واضعيها احيانا . وهذا ماحدث للتقرير الحادى عشر لنادى روما " من اجل البهجة ام الحزن ؟" والمكرس للجوانب الاجتماعية في الهندسة الالكترونية الدقيقة والذى تناول التناقضات القائمة بين التقدم التقني والعمالة في ظروف العلاقات الاجتماعية القائمة على اساس الملكية الخاصة.

ففي الندوة الدولية " التنبؤ العلمي والمستلزمات البشرية" التي عقدت في كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٨١ في تبيليس بمبادرة من منظمة اليونسكو جاء في تقرير رئيس نادى روما، واحد محررى التقرير الحادى عشر أ.كينغ " الاثار الاجتماعية لاجهزة التحكم الدقيقة" وتقرير العالم الامريكي ر. اوبريس" الافاق البعيدة المدى لاستعمال الروبوتات"، بان الروبوتات واجهزة التحكم الدقيقة قد اخذت تتحدى الحضارة الغربية ، وتجربها على محك التكيف لهذا الابتكار التكنولوجي الثورى الذى يهدد البلدان الرأسمالية المتطورة بنمو حاد في مستوى البطالة . واكثر ما يثير قلق المنظرين الغربيين هو الوتائر السريعة لعملية انخفاض كلفة اجهزة التحكم الدقيقة المستعملة في الروبوتات . ففي معرض حديثه عن ثورة اجهزة التحكم الدقيقة يخلص ك. نورمان مثلا الى " "ان الاتمتة تعدنا برفع الانتاجية، ولكنها تهدد بالخطر الاف فرص العمل " (١٣). ومن المستعبد في ظروف تناقضات طريقة الانتاج الرأسمالية ان يتسنى معالجة قضية العمالة بشكل ناجـــح .

اما في المجتمع الاشتراكي فهذه المعضلات تكتسب نبرة مغايرة . فالاتمتة والروبوتات لا

Digitized by Birzeit University Library

تهدد بانتشار البطالة وانما تعني زيادة كبيرة في حصة العمل الخلاق . ولهذا فالنهج الرامي الى تعجيل التنمية الاقتصادية ـ الاجتماعية وتكثيف الانتاج ورفع فاعليته يستدعي بالحاح اعادة تجهيز الاقتصاد الوطني تقنيا . فقد تقرر في الاتجاهات الرئيسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في الاتحاد السوفييتي للاعوام ١٩٨٦ ـ ١٩٩٠ والفترة الممتدة حتى عام ٢٠٠٠ ، العمل على نشر المنظومات المؤتمتة في مختلف مجالات الانتاج، ورفع مستوى الاتمتة مرتين تقريبا وتوسيع ابعاد استعمال جميع اصناف الكمبيوترات الحديثة العالية الانتاجية والعمل بوسع على نشر قطاعات الانتاج المرنة والسهلة التكيف، ومنظومات التصميم المؤتمتة، والخطوط الاتوماتيكية، والمكائن والمعدات المجهزة بوحدات التحكم الدقيقة، والمخارط المتعددة الاغراض التي تعمل بتحكم ذي برمجة رقمية والمجمعات الالية والدوارة ـ المسلسلة . وتنص الصيغة الجديدة لبرنامج الحزب الشيوعي السوفييتي على نشر الروبوتات والكمبيوترات في الانتاج بابعاد اوسع فاوسع، وتأتي على ذكر الهندسة الالكترونية الدقيقة والاجهزة الحاسبة وصناعة الاعلام في عداد الاتجاهات الاولوية، والمحفزات الحقيقية لمسيرة تعجيل التقدم العلمـي ـ التقنـي .

ان نشر استعمال الروبوتات واجهزة التحكم الدقيقة يجرى في المجتمع الاشتراكي باشكال انسانية. ومن الواضح بالطبع انه ستنشا هنا ايضا مشاكل خاصة تتعلق بتحقيق المستوى المثالي للتفاعل بين الانسان والاجهزة السيبرنيتية والمعضلات ذات البعد الاقتصادي والاجتماعي والسايكولوجي . ترى الا تؤثر سلبيا نقاط الاتصال التلفزيوني ، اثر اجهزة التلفزيون على فرص الاختلاط بين الناس، اولا سيتسنى للتلاميذ المزودون باجهزة حساب الكترونية، القدرة على الحساب بانفسهم ، اولا تؤدي الطرق " الجديدة" في نقل المعلومات الى "اتكال اعلامي" والى فقر الذات ؟ ان كل هذه العواقب المحتملة تتطلب دراسة مستقلية دقيقة، ومنظومة وطيدة من الرقابة الاجتماعية والثقافيـــة

ان اجهزة التحكم الدقيقة والتكنولوجيا الحديثة المعقدة بمقدورها ان تعين البشرية في معالجة الكثير من المسائل التقنية والاقتصادية والاجتماعية . ولكن من المهم هنا ان نعي بان المجتمع القائم على مبادئ اشتراكية ويستعمل طرقا تكنولوجية وتقنيات اعلامية حديثة يمكنه ان يتطور كمجتمع يجد افراده اعلى حالات الرضاء في العمل الخلاق.

اما امكانية معالجة الصعاب والتناقضات التي اعترضت البشرية، فلا تتوفر الا على طريق توحيد جهود جميع القوى التقدمية والديمقراطية . والماركسيون ـ اللينينيون اذ يدعون الى التكاتف، فانهم يرون بان ظهور المشاكل العالمية لا يعد امرا عفويا ولا قدرا محتوما ، يحكم على الناس بالفناء . فالمعضلات العالمية نقيضها العمليات الموضوعية للتنمية البشرية، وهي واقع يجب على الناس الذين يعملون من اجل تطوير الظروف الطبيعية والاجتماعية لوجودهم ان يضعونه في حسبانهم .

ان وتائر التقدم العلمي ـ التقني الجامحة ومعضلات العصر العالمية تطالب الناس بمستوى جديد من المسؤولية الاجتماعية وعلى البشرية ان تقيم منظومة موحدة على مستوى عالمي من القيم الاخلاقية ، منظومة تحدد موقفهم من الطبيعة والتنظيم الاجتماعي للحياة ومن انفسهم ، منظومة تستبعد كليا الحروب من حياة المجتمع .

Digitized by Birzeit University Library

بالقيم الاخلاقية الملموسة للعمل الخلاق ونبذ الحرب هي وحدها التي بمقدورها ان تهب البشرية ذلك الشعور من التفاؤل التاريخي الذي هو امر لا بد منه من اجل حل مسائل عصرنا المنقطعة النظيـــر .

الهوامـــــــش :

١) برنامج الحزب الشيوعي السوفييتي / الصيغة الجديدة / ، موسكو، ١٩٨٥، ص ٨٢.

٢) انظر : معضلات العصر العالمية . موسكو، ١٩٨١. الجوانب الاجتماعية للنمذجة العالمية. مجموعة بحوث معهد البحث العلمي للدراسات التصنيفية . العدد السادس . موسكو، ١٩٧٩ نمذجة عملية التنمية العالمية. مجموعة بحوث . العدد الثامن . موسكو، ١٩٧٩. النمذجة التصنيفية لعمليات التنمية العالمية . نفس المجموعة، العدد ١٤ ، موسكو، ١٩٨٠. المنظومة الانسانية ـ الكمبيوترية لنمذجة عمليات التنمية العالمية. نفس المجموعة . موسكو، ١٩٨٢. ف.لايبين. " نماذج العالم " وشخص الانسان : تحليل ناقد لافكار نادي روما. موسكو، ١٩٨٢ ف . زاغلادين، ى.فرولوف. معضلات العصر العالمية : الجوانب العلمية والاجتماعية. موسكو ١٩٨١. غ.شاخنازاروف . النظام العالمي المقبل. موسكو، ١٩٨١. الماركسية ـ اللينينية ومعضلات العصر العالمية . العددان الاول والثاني . موسكو، ١٩٨٣ . د. غويشياني . المشاكل المنهجية لنمذجة التنمية العالمية . ـ " مسائل الفلسفة" ، ١٩٧٨، العدد الثاني. د . غويشياني . الديالكتيك، والتصنيف والنمذجة العالمية . ـ " مسائل فلسفية" ، ١٩٨٣، العدد الخامس. النمذجة العالمية : العمليات الاجتماعية. بحوث ندوة معهد البحث العلمي للدراسات التصنيفية. موسكو، ١٩٨٤. عمليات التنمية العالمية : نمذجة وتحليل. مجموعة بحوث معهد البحث العلمي للدراسات التصنيفية. موسكو، ١٩٨٣ .

٣) مشروع الصيغة الجديدة لبرنامج الحزب الشيوعي السوفييتي. "برافدا" ، ٢٦ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٨٥، ص ٦.

٤) الاتجاهات الرئيسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في الاتحاد السوفييتي للاعوام ١٩٨٦ ـ ١٩٩٠، والفترة الممتدة حتى عام ٢٠٠٠ . " برافدا" ، ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) عـــام ١٩٨٥ ، ص ٣ .

٥) The computer Age: A Twenty-Year-View. N.Y., 1981,p.226.

٦) "برافدا" ، ١٤ تشرين الثاني " نوفمبر) عام ١٩٨٥ ، ص ١.

٧) ى. تينبرغن. اعادة النظر في النظام الدولي . موسكو، ١٩٨٠ ، ص ١٠٤ .

٨) Peagin J. Social Problems. A Critical Power-Conflict Perspective. Engelwood Cliffs (N.Y.), 1982, p. 374.

٩) Through the 80's. Thinking Globally, Acting Legally. Ed. by P. Feather, Washington, 1980, p. 215.

١٠) What Kind of World Are We Learning Our Children? Paris, 1979, p. 31.

١١) " أزفستيا" ، ٢٦ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٨٥، العدد ٣٠٠ .

١٢) انظر: ف . زاغلادين ،ى. فرولوف . معضلات العصر العالمية. الجوانب العلمية والاجتماعيـــة موسكو، عام ١٩٨١، ص ١٨٢ ـ ١٩٠ .

١٣) The Futurist, 1981, January, p. 36. C. Norman. The New Industrial Revolution.

Digitized by Birzeit University Library

ساندينو
بطل نيكاراغوا الوطني الخالد

بقلم : كارلوس فونسيكا
ترجمة : محمد البطراوي

الحلقة الثانية

" ٤ "

غزو مرتزقة اليانكي

ويأتي غزو اليانكي الاميركي في حزيران (يونيو) ١٨٥٥ على شكل عصابات مسلحة غير نظامية بقيادة وليام ووكر . وكانت نيكاراغوا حينها تتلظى بنيران حرب اهلية تشنها بلا هوادة مجموعات من العصابات المتنافسة، ومن الواضح ان واحدة من هذه العصابات انجرفت وراء وعود بايرون كول " للتعاون" مع الغزاة. وكان كول هذا ممثلا لعصابات اليانكي الغازية التي كانت تحلم بالسيطرة ليس على نيكاراغوا وحدها بل على جميع بلدان اميركا الوسطى، على " الاقاليم الخمسة او لا شيء " حسب الشعار الذى كانت تطرحه جريدة ووكر التي كانت تحمل اسم " النيكاراغوى ".

اعلن ووكر نفسه " الرئيس النيكاراغوى" للدولة، وسرعان ما رحب به وباركه ممثل حكومة اليانكي في نيكاراغوا المدعو جون ويلر ، واعترف به رئيس الولايات المتحدة فرانكلين بيرس. وكان من بين الاجراءات التي اتخذها ووكر اعادته لنظام الرق في نيكاراغوا بعد ان كانت حكومة اميركا الوسطى قد الغته عام ١٨٢٢ . وقد علل ووكر اجراءه هذا متذرعا بقوله :

" في الوقت الذى يبين فيه مرسوم اعادة نظام الرق مدى تصميم الاميركيين على تجديد المجتمع النيكاراغوى ، فانه يفتح البلاد، في طليعة دول الاتحاد الجنوبية ،بالنسبة لما يسمى بالنزاع "غيرالقابل للحلول" بين عمل العبيد والعمل الحر . والسياسة التي يرمي اليها هذا الاجراء هي اعطاء الدليل الواضح للولايات الجنوبية ان هذا الاجراء هو السبيل الاوحد ، فضلا عن الثورة، الذى يجعل الحفاظ على هذه المنظومة الاجتماعية ممكنا ".

Digitized by Birzeit University Library

وازاء هذا الخطر الخارجي تدفن الصعابات النيكاراغوية خلافاتها لفترة قصيرة لمن الاقل، وتجد أن مصلحة البلاد تتطلب وحدتها، وتلقى فكرة الوحدة الدعم والتأييد الكامل من شعوب اميركا الوسطى لطرد اليانكي المتعرق . وفي ايار (مايو) ١٨٥٧، تقوم القوة عسكرية موحدة تمثل هذه البلدان لمواجهة الغزاة في عمل عسكرى تضامني موحد وقد قدمت كل واحدة من هذه البلدان تضحيات باهظة في هذه المواجهة، وخصوصا الكوستاريكيون الذين سقط من بينهم عدد كبير من الضحايا في القتال وجراء الاوبئة التي سببها هذه الحرب، وكان نصيب الغزاة خسائر باهظة في الارواح والمعدات في حين أغوا الامر الذى دفعهم الى احراق مدينة غرانادا باكملها انتقاما لخسائرهم .وقد تجلت في هذه الحرب بطولات فذة لا يمكن تجاهلها، ومن بين هؤلاء الذين لن ينساهم التاريخ الكوستاريكي خوان سانتا ماريا والنيكاراغوى اندريس كاسترو .

لقد انتصرت بطولة ابناء اميركا الوسطى واجبرت الغزاة في سانتا روزا (كوستاريكا) وفي المناطات النيكاراغوية، ريفاس وماسايا وسان خاسنتو . وقد خلدت الاغاني الشعبية والشعر هذه الانتصارات، فكان الشعراء ينظمون القصائد ، ويغني المغنون، تمجيدا للانتصارات وتخليدا للبطولات . ومن هذه الاغاني ما كتبه الشاعر خوان اريبارين الذى؟ كتب قصيدة طويلة على ايقاع نشيد "المارسيليز" نقتطف منها قوله :

"حرب بلا هوادة
حرب حتى الموت ضد هؤلاء الاخساء الجاحدين
حرب على اليانكي المتعطش للنهب
وليكن مرعبا عقابهم
لما اقترفوه من غدر
وما اقترفوه من خيانة ".

أثار تدخل ووكر في اميركا الوسطى الشعور بالخطر في سائر انحاء اميركا اللاتينية وعلى كل المستويات حتى مصاف الحكومات ذاتها . وفي ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٥٦ وقع ممثلو حكومات نيوغرانادا وغواتيمالا والسلفادور والمكسيك وبيرو وكوستاريكا وفنزويلا ميثاقا للتحالف والكونفدرالية، واتفقوا على اللقاء في السنة التالية في ليما (بيرو) في مؤتمر يضع دستورا لكونفدرالية الدول الاسبانية ـ الاميركية .

لم تضع هزيمة ووكر حد التعطشه للسيطرة، واخذ في حشد قوى مرتزقة من الولايات المتحدة ليجرب حظه مرة اخرى . ولم يكن غريبا ان تصل اطماع ووكر بالسيطرة لتشمل كوبا ايضا، فقد جاء في خطاب له في مدينة موبايل (اريزونا) في ٢٥ كانون الثاني (يناير) ١٨٥٨ قوله :

" لا يوجد بينكم من لا يمعن التفكير جديا في الاستيلاء على كوبا . ولكن عندما تصبح كوبا في حيازة الولايات المتحدة، فانكم تريدون لها ان تبقى على ما كانت عليه، بكل خصائصها الاجتماعية دون تغيير (اى دولة رقيق) ، تريدونها مجتمعا ترتبط مصالحه بالولايات الجنوبية من هذه الكونفدرالية".

يوضح لنا هذا القول مدى ارتباط ووكر الوثيق بدوائر معينة تسعى الى ضم كوبا . ومن الطبيعي ان يشير الشاعرالوطني الملهم خوسية مارتي الى ووكر بعد سنوات عندما نشر عام ١٨٩١ مجموعته الشعرية" قصائد واضحة (Versos Sencillos) والتي

Digitized by Birzeit University Library

تحدث فيها عن النسر اليانكي ، فقد جاء في السطور المهداة الى مانويل ميركادو (المسكيك) وانريكو استراسولاس (اوروغواى) قوله :

" يعلم اصدقائي كيف انبثقت هذه القصائد من اعماق قلبي ، في ذلك الشتاء الكرب الذى التقى فيه ابناء الشعوب الاسبانية ـ الاميركية في واشنطن ، بدافع الجهل او التعصب الديني ، بدافع الخوف او المجاملة ، تحت اجنحة ذلك النسر الرهيب . اى منا قد نسي ذلك النسر الذى يحمل نسر مونتيرى وتشابولتيبك ، نسر ووكر ولوبيز ، القابض بمخالبه على كل اعلام اميركا ؟ ومدى ذلك الالم المبرح والمعاناة اللذين كابدتهما حتى امكنني تأكيد يقظة وشجاعة شعوبنا ..."

"٥"

انحسار سلطة الاوليغاركية

==========

بالرغم من فشل اليانكي المسترق واندحار غزوه ، الا ان تدخل اليانكي في شؤون نيكاراغوا لم يتوقف ابدا . ففي عهد مبكر ، في ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٥٧ بالتحديد ، تم فرض معاهدة كاس ـ اريساري ، التي تعطي الولايات المتحدة حق التدخل العسكرى في البلاد . وقد الغيت هذه الاتفاقية بعد وقت قصير فيما بعد .

وفي عام ١٨٥٨ يفكر الرئيس بوتشانان جديا في امكانية اسقاط حكومة نيكاراغوا القائمة في ذلك الحين . وفي عام ١٨٥٩ ينشر بيترستاوت نائب قنصل سابق للولايات المتحدة في نيكاراغوا ، كتابا يحمل الاسم الموحي " نيكاراغوا : ماض وحاضر ومستقبل " وقد جاء في احدى فقرات الكتاب :

" ان على نيكاراغوا ، بحكم موقعها في الممر المزدهر لجمهورية الولايات المتحدة الاميركية الناهضة ، اما ان تتخلى عن لا مبالاتها ، او ان تضع نفسها في السنوات القليلة القادمة لتكون نجمة اضافية اخرى في رايتنـــا ".

استمر تدخل اليانكي في حياة بلدان البرزخ طيلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر . ولكن ، ولما كانت الاوضاع العامة في اميركا الشمالية تمر في مرحلة من الصراع الداخلي والاندماج ، ابتدأت بالحرب الاهلية عام ١٨٦١ واستمرت لسنوات لاحقة ، فان شهية اليانكي نحو امتلاك بلدان اميركا الوسطى والكاريبي تضاءلت ، واقتصرت على المجالين الاقتصادى والسياسي . وهكذا ، وخلال هذه الفترة من الزمن ، توقف عدوان اليانكي مؤقتا .

وكما تقدم ، فان استمرار النهب الاقتصادى واستغلال مقدرات البلاد استمر على حاله ، فقد رفض الرأسمالي فاندربيلت ، مثلا ، ان يسدد الضرائب المستحقة عليه لسلطات نيكاراغوا مقابل استغلاله لممرات الترانزيت المائية بسفنه الخربة المتهالكة حيث كان يتقاضى رسوما ربوية فاحشة جدا . وقد ادى هذا الموقف وما سببته حكومة الولايات المتحدة من دمار في نيكاراغوا عام ١٨٥٤ ، الى ان يرفع وزير خارجية نيكاراغوا ، الدكتور توماس ايون ، في عام ١٨٦٩ عددا من المذكرات الى ممثل اميركا الشمالية في نيكاراغوا مطالبا بدفع الضرائب بالاضافة الى

Digitized by Birzeit University Library

التعويض عن الاضرار المادية التي سببتها الولايات المتحدة .

وفي عام ١٨٧٦ يقترح وزير خارجية الولايات المتحدة المدعو فيش، على ممثل نيكاراغوا في واشنطن مشروعا لشق قناة، يحمل المشروع في طياته بنودا وشروطا من شانها ان تدمر السيادة الوطنية لنيكاراغوا على اراضيها . وفي السنة التالية ترسل الامبراطورية الالمانية الفرقاطة الحربية" اليزابيث "مهددة نيكاراغوا بالاصباع لمطالبها الاستبدادية الاعتباطية.

ويجد اصحاب مبدأ مونرو وكذلك حكومة انجلترا، اسبابا معقولة لمطالب المانيا ليدعمونها . وتقترح حكومة غارفيلد ، كحل للازمة، خلق دمية تابعة ، على شكل دولة واحدة تضم جميع اميركا الوسطى. وفي عام ١٨٨٤ تمت محاولة لفرض معاهدة زافالا- نوبلنداوسن المتعلقةبمشروع القناة المقترحة. وقد اتصف هذا الاجراء بانه محاولة لتاسيس " محمية واقعية، لا تقتصر على نيكاراغوا وحدها، بل تضم بشكل معين جميع اراضي اميركا الوسطى ".

في نفس هذا الوقت الذى كانت فيه علاقات نيكاراغوا الخارجية على شيء من الاضطراب بسبب الاحداث التي مر ذكر بعضها وخلال السنوات التي تلت هزيمة عصابات ووكر، ظلت البلاد تحت حكم مالكي الاراضي الذين كانت الاوليغاركية المحافظة ممثلهم السياسي . اما البورجوازية فقد كان دورها لا يزال ابتدائيا ومتواضعا داخل بنية المجتمع النيكاراغوى، وكان عليها ان تعمل على تقوية مركزها في السنوات القادمة، وقد ادى نموها هذا الى شعورها بالسخط وعدم الرضا عن موقعها الذى يجيء فيمرتبة ثانوية في قيادة الدولة .

وعلى الرغم من ان سيطرةالمحافظين امتدت خلال الثلاثين عاماالتي اعقبت طرد عصابات ووكر، فان الاوساط الليبرالية، المعبرة عن مصالح البورجوازية النامية، لم تتوقف عن حياكة المؤامرات المسلحة لتسنم قمة السلطة . وفي هذه السنوات ظهر عامل اقتصادى جديد وهام، بالاضافة الى تربية الماشية التي كانت سائدة في الريف النيكاراغوى، ظهر محصول جديد الا وهو القهـــوة .

كانت الاوساط الاليغاركية تتبادل قيادة الحكومة بشكل دورى، وعلى الرغم من ان هذه القيادات المحافظة كانت لينة احيانا (قامت احدى هذه الحكومات بطرد اليسوعيين من البلاد) الا ان هذه الحكومات جميعها وبشكل اساسي رفضت اجراء اى شكل من اشكال الاصلاح اللازمة للمجتمع النيكاراغوى . وانتشرت الافكار الليبرالية بقوة في جميع انحاء البلاد، متأثرة بالسيطرة الواسعة لهذه الافكار في جميع انحاء اميركا الوسطى، ومثالا على ذلك هو الانتصار الذى حازه الاصلاحيون في غواتيمالا بقيادة خوستو روفينو باريوس، والذى كان له الاثر الايجابي الواسع على جميع انحاء المنطقة بأســـرهـــا .

كانت " حرب الهنود" التي قامت في اودية ماتاغالبا الشديدة الانحدار عام ١٨٨١ هي احدى النذر بتحلل النظام الاقطاعي في نيكاراغوا، هذا الحدث الذى يتجاهله كتاب البلاد البرجوازيون، ونادرًاما يذكرونه، وان ذكروه ففي كثيرمن السطحية وعدم التعمق . وعلى الرغم من ان هذه الحرب حملت اسم " حرب الهنود"الا ان ابطالها وزعماءها لم يكونوا من الهنود تماما، بل من الفلاحين الخلاسيين الذين يتكلمون الاسبانية بدلا من لغتهم الوطنية، والذى كانوا يمثلون، من الناحية العرقية، العنصر السكاني الاكثر وجودا.

Digitized by Birzeit University Library

واليوم يسمع الثوار الشباب عندما يعبرون جبال ماتا غاليا قصص الفلاحين الشيوخ المتوارثة عن ما يسمونها " حرب سنة ٨١"، حيث يروون ان عشرة الاف هندى من سكان تلال الكانتون كانوايصنعون مقابض السهام للثوار .ويذكرون اسماء بعض القادة من امثال ايغينيو كامبوسوسانتوس مارتينيز ، هذه الاسماء التي يتجاهلها التاريخ الرسمي . ومن المعروف ان عصيان الفلاحين المسلح هذا دام لمدة سبعة اشهر، وقد امكن خلالها ان يهبط ما يقارب من ١٠٠٠ هندى من التلال وان يغيروا على مدينة ماتاغاليا ويصادروا اموال التجار الذين اوقعوهم ضحايا مبادلاتهم التجارية الربوية الجائرة .

ويجب التذكير هنا ان " حرب الينود" عام ١٨٨١ كانت سابقة وامثولة تاريخية، لحرب الثوار الجبارة التي قادها اوغستو سيزر ساندينو بعد نصف قرن من الزمان . ويجب ان لا يغيب عن بالنا ايضا ان منطقة ماتا غاليا هي جزء من تلك المواقع الواسعة التي مارس فيها الثوار الساندينيون نشاطهم الثورى فيما بعد ، ومن الضرورى التأكيد ايضا ان حرب عام ١٨٨١ لعبت دورا هاما بوصفها حلقة انتقالية للثورات الشعبية للفلاحين المنحدرين من اصل هنـــدى .

" ٦ "

الليبراليـون البورجوازيـون فـي قمـة السلطـــة

==========

وينتهز القطاع الليبرالي الذى لم يرض عن دوره الثانوى في السلطة، فرصة الاستياء العام الذى كانت توءججه ذرائع روبرتو ساكاسا المتواصلة لابقاء نفسه في الحكم ،ليشن حربا مكشوفة تشارك فيها الجماهير الشعبية تحت شعار " لنمحو العار"، ويتمكن الليبراليون من الوصول الى السلطة مباشرة في ١١ تموز (يوليو) ١٨٩٣ . وذهبت سدى وساطات المصالحة التي قام بها ممثل اميركا الشمالية في نيكاراغوا المدعو لويس بيكر، ذلك انه كان يقف منحازا الى صفوف الاوليغاركية المنهارة. لقد بدا عام ١٨٩٣ وكانه عام نهاية ذلك الماضي الاقطاعي المستبد، ذلك الماضي الذى وضع مصالح الطبقات الرجعية فوق كل شيء، ممثلة باسماءمن امثال كريستانو ساكاسا وروبرتو ساكاسا وفروتو تشامورو و ب. جاكوين تشامورو الذين ارتبطت اسماؤهم طيلة القرن التالي بالالام الدائمة لنيكاراغوا الشهيـدة.

كان عام ١٨٩٣ هو عام تسلم البرجوازية السلطة وبداية للاصلاحات البورجوازية في البلاد . ولكن شيئاواحدا تجدر الاشارة اليه- وهذا الامر ينطبق على تلك الحقبة بأكملها وحتى السنوات التالية لعام ١٩٥٠ – الا وهو ان الاصلاحات الوطنية انحصرت كليا بالتوجهات البورجوازية، ولم يكن هنالك اى وجود للافكار والاراء الاشتراكية في البلاد طيلة هذه المـــدة .

وصلت الافكار الماركسية متأخرة الى

Digitized by Birzeit University Library

نيكاراغوا، ولم تنتشر في الاوساط الشعبية الا بعد عام ١٩٥٩، مع نهوض الثورة الكوبية. وقد كان من نتيجة تأخر وصول الافكار الماركسية والاشتراكية ان تحليل ودراسة القضايا الوطنية اخذ طيلة هذه الفترة الطويلة يأخذ بالاسلوب الليبرالي البورجوازي فقط.

من الواضح انه لم يحدث ابدا ان قدم الى نيكاراغوا اي مهاجر اوروبي من ابناء الطبقة العاملة ممن يحملون افكارا اشتراكية. هذه الحقيقة التي كانت امرا لا مفر منه بالنسبة للبلدان الاميركية الاخرى من اجل البدء في عهد مبكر في تهشيم الاطر الايديولوجية الظلامية الموروثة من عهد الانيطان.

كما ان علينا ان نضيف الى هذه الظاهرة ، ان الطبقة العاملة ذاتها لم تكن قد اخذت دورا رئيسيا في بنية المجتمع النيكاراغوي، لبنائها ولفترة طويلة من الزمان في مراحل التشكل، وان زيادة حجمها العددي تمت ببطء شديد، لدرجة انه، وحتى عام ١٩٧١ ، كان يدور حوار عما اذا كانت قدوجدت حركة عمالية حقيقية في نيكاراغوا حتى ذلك الوقت

وعلى الرغم من ظهور بعض الصناعات الحرفية في التسعينات (١٨٩٠ وما بعدها) الا ان الاقتصاد كان يقوم في الدرجة الاولى على المنتجات الزراعية، كالمواشي والقهوة والتي كان يجري استغلالها بطرق بدائية قديمة . وقد جرت، خلال هذه الفترة ذاتها ، بعض اشكال الاستثمارات الاميركية الشمالية في منطقة ساحل الاطلنطي في حقول التعدين والزراعة والتجارة .

وانه لمن المحزن حقا ان يجد المرء ، عندما يعود بالذاكرة للماضي ، ان التجمعات الرئيسية للبروليتاريا في البلاد، منذ نهاية القرن التاسع عشر وما بعد ذلك، كانت تعمل في الغابات البعيدة على سواحل الاطلنطي، الامر الذي جعل الاتصال مستحيلا بين هؤلاء العمال واخوتهم العمال الاخرين في منطقة المحيط الهادئ، وهي المنطقة المشهورة تاريخيا بأنها اكثر مناطق نيكاراغوا فعالية ونشاطا من الناحية السياسية .

ان البسطاء والمسحوقين من ابناء نيكاراغوا، الذين لم يكفوا عن الصراع بقلوب مفعمة، بالامل، منذ ماتريس غراندا عام ١٨٢٣ ولمدة تزيد عن ١٠٠ عام، مرورا بالحروب الليبرالية في اعوام ١٨٩٣ و ١٨٩٦ و ١٩٠٧ و ١٩٠٩ و ١٩١٢ وربما في ثورة ١٩٢٦ ايضا، كانت تنقصهم دائما ابسط الافكار العلمية عن اسباب الشقاء والمحن التي يعيشونها .

ترأس القائدالعسكري خوسيه سانتوس زيلايا نظام الحكم الليبرالي عام ١٨٩٣، ولكن نظامه كان حافلا بالتناقضات المتعارضة بعضها ايجابي وبعضها الاخر سلبي . اما الايجابي منها فقد تمثل في الغاء القوانين الاقطاعية واعلان التشريع البورجوازي، وتجريد الاولبغاركية من الكثير من امتيازاتها، وفصل الكنيسة عن الدولة، واستعادة البلاد لسيادتها على المنطقة الاطلنطية الخاضعة للسلطة الانجليزية، والحقيقة التي لا يمكن اغفالها وهي ان نظام الحكم في نيكاراغوا اصبح يشكل تهديدا للاولبغاركية المحافظة خارج حدود اميركا الوسطى ذاتها .

واما جانب ذلك النظام السلبي، فقد تبدى في عجزه عن التوحيد التام للقوى الليبرالية، التي وصلت بها الفرقة عام ١٨٩٦ الى حد ان تجبر الجماعة التي شارك معها الايدولوجي خوسيه مادريس على حمل السلاح في وجه الجماعة التي كان يقودها زيلايا، حيث وصل الامر بهذه الجماعة الاخيرة الى

Digitized by Birzeit University Library

حد قبول الدعم والمعونة من الاوليغاركية المحافظة المهزومة . هذا بالاضافة الى القيود التي فرضها النظام ضد التعبير عن الرأى بالنقد الايجابي، واخيرا ذلك التعطش المتزايد لتجميع الثروة بكل الوسائل، وحتى عن طريق الفساد الادارى .

خلال هذه السنوات، تتفتح مرة ثانية شهية الولايات المتحدة للاستحواذ على البلدان الاخرى من جديد، وتكون قد بلغت مرحلة اكتمال عنفوانها الرأسمالي الامبريالي لقد ازفت ساعة تيودور روزفلت المعروف بجملته الهازئة المعيبة : " لقد امتلكت بنما "

ان تحديد الاسم الجغرافي في جملة روزفلت هذه ليس سوى رمز ، ذلك ان كلمة "بنما" يقصد بها ذلك الموقع الذى اقتنصته الامبراطورية لتقيم فيه قناة البحرين، وتعني ايضا نيكاراغوا وكوبا وبورتوريكو وهاييتي وجمهورية الدومينكان والمكسيك بل وتشمل الفلبين كذلك، وهي اسماء تلك البلدان التي ستنوء خلال السنوات التالية تحت الوطأة الثقيلة للامبريالية الاميركية الشمالية .

ولعل الرئيس تافت، خليفة روزفلت ، كان اكثر وضوحا وتحديدا عندما قال في احد بياناته : " ان مبدأ مونرو هو اكثر حيوية فيما يتعلق بقناة بنما ومنطقة الكاريبي منه الى اى مكان آخر ".

ان تحليق النسر اليانكي عاليا في سماء نيكاراغوا والتهديد والخطر الدائمين اللذين واجههما شعبنا، دفع بشاعر نيكاراغوا، شاعر كل اميركا اللاتينية، روبين داريو لان يسطر الابيات التالية في مجموعته الشعرية " "اغنيات للحياة والامـل ":

" هل كتب علينا ان تنهشنا الوحـوش البربرية الضوارى ؟

" هل كتب على هذه الملايين العديدة ان تتكلم الانجليزية ؟ .

هل اختفى النبلاء والفرسان الشجعان من وطننـــا ؟ .

" هل كتب علينـا اليوم ان نركن للصمت لكي نذرف الدموع غـــدا ؟.

وفي عام ١٩٠١ تقرر الولايات المتحدة انشاء القناة في بنما، على الرغم من ان مجلس النواب الاميركي، كان قد اقر في مرحلة سابقة من نفس هذه السنة بتصويت ٣٠٨ اعضاء لصالح انشاء القناة في اراضي نيكاراغوا مقابل صوتي عضوين عارضا ذلك . ومن الواضح بهذا ان حكومة اليانكي قد غيرت رأيها . وتتنازل انجلترا في نفس العام عن منازعتها السابقة ومنافستها للولايات المتحدة لتنفرد الاخيرة بالسيطرة على القناة، وذلك بتوقيعهما على اتفاقية هاى ـ باونسيفورت، التي تجاهلت كالعادة السيادة الوطنية لبلدان البرزخ .

ان كلمات تافت، التي جرت الاشارة اليها اعلاه، تفسر الاسباب التي جعلت الولايات المتحدة تفكر بالسيطرة على هذه البلاد، على الرغم من انها قررت عدم انشاء القناة في نيكاراغوا، وهي اسباب استراتيجية ثلاثة تتلخص في: مجاورة نيكاراغوا لبنما، ومجاورتها للولايات المتحدة، ولكي تمنع اى قوة من القوى المنافسة الاخرى لشق قناة ثانية منافسة في الاراضي النيكاراغوية .

وفي تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٧ ينعقد في واشنطن مؤتمر " وطني " لبلدان اميركا الوسطى، ويحضره بالاضافة الى ممثلي هذه الدول وزير خارجية الولايات المتحدة اليهو روت، الذى القي كلمة عبر فيها عن رغبته في " ان لا يحدث اى تغيير جديد بالنسبة

Digitized by Birzeit University Library

الهدوء والنظام القائم بين الجمهوريات الشقيقة الممثلة في المؤتمر". لقد كانت تجربة اجرامية من روت هذا ان يعبر عن رغبات جمعية باسم اولئك الذين سيقذفون بنيكاراغوا المقهورة في أحلك مهاوي الضياع.

طورت حكومة نيكاراغوا شيئا فشيئا وضعا استقلاليا عن الولايات المتحدة، حتى انها بدأت باتخاذ الاجراءات الاولية لبناء خط حديدي بين سان ميغويليتو الواقعة على الطرف الشرقي لبحيرة غرانادا وبين مونكي يونيت الواقعة على ساحل الاطلنطي.

ولكن، وفي نفس الوقت، لم تكف الاليغاركية النيكاراغوية عن حياكة الدسائس والمؤامرات لاسترجاع سيطرتها السياسية وامتيازاتها الملغاة، ولكن جميع محاولاتها، ولعدد من السنين، كانت تلقي الاندحار اثر الاندحار. واخيرا وفي عام ١٩٠٩، تظهر الاليغاركية المتعجرفة لتعمل علنا على شكل قوات من المرتزقة المبتذلة لصالح اليانكي وفي خدمة سيد وحيد: الدولار.

كان قنصل الولايات المتحدة في بلوفيلدز المدعو توماس موفات يقف وراء تنظيم ودعم هؤلاء المرتزقة المسلحين، ولكن نظرا لقناعته بعدم امكانية نجاح اي محاولة للاطاحة بالحكومة النيكاراغوية، فقد بدأ باتخاذ الاجراءات لتقسيم نيكاراغوا الى دولتين، احداهما على الاطلنطي والثانية على الباسيفيكي.

وفي احدى المحاولات للاطاحة بحكومة نيكاراغوا، يتم القبض على اثنين من المرتزقة اليانكي هما كانون وغروس وهما يحاولان زرع لغم على درجة هائلة من قوة التدمير، وتتم محاكمتهما وادانتهما وتنفيذ حكم الاعدام فيهما على يد حكومة زيلايا. ولكن هذا الاجراء الدفاعي المحض تتخذه حكومة اليانكي ذريعة لاعلان التدخل المكشوف في نيكاراغوا، كما صرح به وزير خارجيتها نوكس في الاول من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٩. ويستقيل زيلايا من الحكومة ويسلم قيادتها الى السياسي الليبرالي خوسيه ماداريس في ١٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٩. وتواصل حكومة ماداريس في التصدي لمؤامرة اليانكي ـ المحافظين، حيث يصاب هؤلاء بهزائم بالغة. ولكن تدخل الطرادين الحربيين "بادوكاه" و "دوبيوك" التابعين لليانكي في مياه بلوفيلدز ينقذ قوات المحافظين من هزيمة ماحقة تماما. ويؤدي هذا الحادث الى استقالة ماداريس من رئاسة الحكومة في ٢٠ آب (اغسطس) ١٩١٠.

ويتخاذل الزعماء الليبراليون ويتخلون عن مقاومتهم المسلحة المتماسكة، على الرغم من انهم كانوا على اتفاق تام بالعمل العسكري العنيد وهم يواجهون اخطارا تقل اهمية عن خطر تدخل اليانكي.

"٧"

الاوليغاركية المحافظة في السلطة

من جديد

==========

اذى تجدد عدوان اليانكي على نيكاراغوا عام ١٩٠٩ الى فرض حالة من الاحباط التاريخي الشديد على مجرى تطور المجتمع النيكاراغوي. لقد كان التغير السياسي عام

Digitized by Birzeit University Library

١٨٩٣ اهم حدث في تاريخ البلاد ، فضلا عن الانعتاق من السيطرة الاسبانية وطرد المرتزقة لقد كان من المحتمل ان يستمر النهج الاجتماعي الديموقراطي البورجوازي في تطوره الطبيعي لو لم يصطدم بالتدخل الامبريالي وبعيقه، وكان من الممكن ايضا وبكل تأكيد تجاوز العقبات في حينها .

كانت عودة الاوليغاركية المحافظة الى السلطة بفضل سفن الولايات المتحدة الحربية ، واقعة شوهت الهوية الوطنية لمسيرة التاريخ النيكاراغوي. لقد فقدت نيكاراغوا نفسها ، وتوقفت عن كونها تلك الامة الصغيرة ذات المعاناة الخاصة في البحث عن ذاتها ، لتصبح فريسة صغيرة للوحش الاميركي الشمالي المتنامي . ولكنه كان من المؤكد تماما ان هذه الفريسة ، بكل صغرها وانعزاليتها ، لم تكن قابلة لتعلّم التسامح وتحمّل الخضوع .

ويمكننا ان نقول ان الوحش رأى في نيكاراغوا الصغيرة خصما بريا يجب ان يضرب بشدة لتطويعه . فالحصان يجول مزبدا في المنطقة التي يحتكرها الوحش من اجل السيطرة على ممر المحيطين . وقد تجاوب الشعب النيكا[illegible] مع كل [illegible] باشعال نار ثورة ، وكان [illegible] ثورة . صغيرة حتى السوط – وليس السوط وحده، بل معرفتهم ايضا بأنهم وحيدون بلا سند – الامر الذي انهك الشعب النيكاراغوي .

ومما يدعو الى السخرية ان الولايات المتحدة لم تعترف مباشرة بالحكومة الدمية التي نصّبتها على نيكاراغوا ، ولم ترسل ممثلا حكوميا يمثلها ، بل ارسلت في ١١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٠ " وكيلا خاصا في نيكاراغوا" وهو المدعو توماس داوسون – ويذكر الكاتب الكوبي راميرو غويرا إي سانتشيس ان موجة عارمة من الغضب والسخط عمت نيكاراغوا وسائر ارجاء اميركا الوسطى عندما افتضحت محتويات اتفاقية داوسون بعد ان ظلت سرا مجهولا بعض الوقت .

كان من بين شروط اتفاقية داوسون ان تقوم في نيكاراغوا لجنة اصلاح مشتركة ، تتكون من ثلاثة مندوبين ، احدهما نيكاراغوي والثاني من اميركا الشمالية وتقوم القوى الخارجية بتسميتهما ، اما الثالث فيختاره رئيس الولايات المتحدة . وبالاضافة الى هذا تخضع الجمارك باستمرار لامرة اميركي شمالي . لقد هزلت نيكاراغوا الصغيرة الاستراتيجية ،لتصبح محمية ضعيفة تابعة .

اما فكرة انشاء خط حديدي لسير القطارات حتى الاطلنطي ، والتي اخذت في الوجود في ظل السياسة الوطنية للحكومة السابقة، فكان مصيرها سلة المهملات للحفاظ على المصالح الاميركية الشمالية في بنما .

كان عام ١٩١٢ عام قتال عنيف . فمدينة ليون، التي دمرت مرتين في الصدامات المسلحة في القرن الماضي ، تصبح في هذا العام مسرحا لثورة يواجه فيها ٣٠٠ من ابنائها الابطال ٣٠٠٠ جندي حكومي . وتلقي الانتفاضة الدعم من ابناء الشعب لتمتد من ليون الى ماسايا . ويسارع دياغو مانويل تشامورو وزير خارجية الحكومة الدمية بارسال مذكرة لحكومة الولايات المتحدة يقول فيها :

" ترغب حكومتي في ان تعمل الولايات المتحدة بقوتها العسكرية على ضمان السلامة والامن والرخاء الاقتصادي لمواطني اميركا الشمالية الموجودين في نيكاراغوا ، وان يمتد هذا الضمان ليوفر الحماية لجميع سكان الجمهورية ".

وسرعان ما تلبي الولايات المتحدة طلب تشامورو فترسل ثماني سفن حربية تحمل ٢٦٠٠ جندي بحري و ١٢٥ ضابطا ، يقودهم جميعا الاميرال ويلر، وينزلون في نيكاراغوا التي ترفض ان تكيف نفسها لتصبح مستعمرة جديدة ويقوم ما يقارب ٣٠٠٠ جندي حكومي من

Digitized by Birzeit University Library

المرتزقة بدعم القوة الغازية ضدالثوار الذين
ضد مقاومتهم لثلاثة اشهر، قتل خلالها
الثات، الىان اصابتهم النكسة المصيرية
الحاسمة التي قتل فيها بنجامن زبليدون بطل
"لابرانكا".

وقبل ان يجف دم الثوار الذين سقطوا
دفاعا عن الوطن في وجه الغزاة، تحاول

الامبريالية الاميركية الشمالية فرض معاهدة
تشامورو – وينزل، الموقعة بين الوزير المذكور
وممثل اميركا الشمالية في ماناغوا . اما معاهدة
القناة ذات الاثر التدميري على البلاد، فلا
توضع موضع التنفيذ لتأخير شكلي في
الاجراءات القانونية في الولايات المتحدة
ذاتها . ورغم ان المصلحة الرئيسية للبانكي
في نيكاراغوا هي المواصلات ما بين البحرين
، الا ان جشع اليانكي لم يكن ليهمل
الاكتساب حتى ولو كان دولارا واحدا لا غير،
ولذا استثمرت الولايات المتحدة في نيكاراغوا
اموالا بلغت ثلاثة ملايين دولار في عام ١٩١٣
واستمرت الاستثمارات في الزيادة حتى بلغت
٤٦ مليون دولار عام ١٩٢٩.

انتهى انشاء قناة بنما في عام ١٩١٤.
وفي ٥ آب (اغسطس) من السنة نفسها فرضت
اتفاقية بريان – تشومورو التي وضعت نيكاراغوا
نهائيا تحت السيطرة . وقع هذه الاتفاقية كل
من اميليانو تشومورو ممثل الحكومة
النيكاراغوية الدمية في واشنطن ، ووليم
جنفر بريان وزير خارجية حكومة اميركا
الشمالية . وجرى بذلك الافتراض القائل بانه
لا يوجد في نيكاراغوا اى قانون غير ما تمليه
نزوات الامبرياليين .

وتثور نيكاراغوا لكرامتها الجريحة معلنة
مقاومتها للهجوم على سيادتها الوطنية .
وتزج في السجن بكل ابناء نيكاراغوا الشرفاء
الذين نهضوا للدفاع عن شرف بلادهم ،
ويطلق الرصاص على الوطنيين في ليون .
ويعم الاستنكار البلاد ، وتتجاوز المعارضة
والاحتجاج الحدود ، وفي هندوراس، التي
اوهنت المعاهدة سيادتها الوطنية، تقوم
جمعية الدفاع الوطني بتوزيع مكثف لرسالة
موقعه من ٣٠ الف مواطن مناوئة لاميركا
الشمالية .

ويكافأ اميليانو تشامورو على خضوعه
لليانكي ، ويتم تنصيبه رئيسا للحكومة في
الاول من كانون الثاني (يناير) ١٩١٧.
وتشامورو هذا هو احد ابناء تلك العشائر
الاوليغاركية التي سيطرت في القرن التاسع
عشر .

وتحاول عشيرة تشامورالحفاظ على ذلك
الشرف المزرى بابقاء رئاسة الحكومة الدمية
داخل العائلة . اذ عندما تنتهي فترة
السنوات الاربع المحددة لرئاسة اميليانو
تشامورو، يخلفه فرد اخر من ابناء العشيرة هو
دييغو مانويل تشامورو الذى يصبح رئيسا
للجمهورية في عام ١٩٢١، ولكنه يموت عام
١٩٢٣ ، ويحل محله بارتولومي مارتينيز أول
شخص من السيغوفيا في تاريخ البلاد يحتل
منصب رئيس الجمهورية .

افترضت الاوليغاركية ان بامكانها هي
والولايات المتحدة ان تجعل من دون
بارتولومي اداة طيعة بلا قيود ، ولكن، وعلى
غير ما توقعت الاوليغاركية المحافظة، يأخذ
دون بارتولومي في اقصاء نفسه عنها ، ويتخذ
عددا من الاجراءات التي تحد من تدخل
اليانكي في حياة البلاد ، ويصبح هذا التباعد
على اشده خلال الحملة الانتخابية عام ١٩٢٤
ويعبر اميليانو تشامورو عن عطش عائلته
الدائم للمنصب الكرتوني البشع للرئيس
الدمية، فيعلن ترشيح نفسه للرئاسة، ويرفض
دون بارتولومي بصراحة تامة ان يدعمه ، بل
ويعمل على العكس من ذلك، مستغلا روح

Digitized by Birzeit University Library

السخط المتفشية، ويسعى لايجاد وحدة وطنية تعود بالخير على البلاد .

وبدعم من دون بارتولومي يتم توحيد القوى لخوض انتخابات عام ١٩٢٤ ، وتحمل هذه القوى الموحدة اسم " حزب الوفاق". وقد ضم " الوفاق " كلا من كارلوس سولورزانو المحافظ كمرشح لرئاسة الجمهورية، وخوان ب. ساكاسا لمنصب نائب الرئيس . ويستخدم تشامورو كل ما لديه من وسائل لفرض رئاسته ، وتتحول الحملة الانتخابية الى معركة دموية يقتل فيها ما لا يقل عن ثلاثين شخصا . ولكن اطماع تشامورو لا تتحقق ويبوء بالفشل وتصبح الحكومة في ايدى حزب الوفاق .

يصل حزب الوفاق الى الحكم في الاول من كانون الثاني (يناير) ١٩٢٥. وتستمر سياسة تقليص نفوذ اميركا الشمالية، وفي الثالث من آب (اغسطس) ١٨٢٥ تضطر الولايات المتحدة الى سحب احدى فرق البحارة. ولكن اميليانو تشامورو لم يكن راضيا عن بقائه خارج الحكم ، فيصبح البديل الاكثر حظوة لدى الاميرياليين لرقابة التغيرات الجارية في البلاد لغير صالحهم . فيقوم بانقلاب عسكرى ضد حكومة الوفاق ، وقد عرف هذا الانقلاب باسم " ال لوماز و" . وقد جرى هذا الانقلاب الذى حمل معه سلسلة من الشرور التي احاقت بنيكاراغوا التعيسة، يوم ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) من عام ١٩٢٥.

ولكن الدوائر الامبريالية لم تكن تشعر بالارتياح نحو تعطش عشيرة تشامورو للسيطرة المباشرة على الحكم ، وبناءا على ذلك يتخلى اميليانو تشامورو بخنوع ذليل ليتسلم الحكم شريكه في التآمر على بيع البلاد ادولفو دياز وعندما يتسلم دياز الحكم يعين كارلوس كوادرا باسوس وزيرا له للعلاقات الخارجية .

دافع الليبراليون عن مصالح البورجوازية التي اصابها الضيم في ظل هيمنة الجناح المحافظ ، الذى كان يمثل جماعة انشقاقية هي اكثر اجنحة الاوليغاركية رجعية . ذلك انه بعد ان قام تشامورو بانقلابه ضد سولورزانو اخذ القطاع الليبرالي في القول بانه صاحب السلطة الشرعي، واخذ يطالب بان يكون خوان ب .ساكاسا رئيسا للدولة مستندا بذلك الى نصوص قانونية في الدستور الذى كان قائما اثناء الانقلاب .

ويغادر ساكاسا البلاد ، ولكنه يعود بعد فترة في ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٦ الى بويرتو كابيزاس، معلنا نفسه رئيسا شرعيا لنيكاراغوا بموجب الدستور في الثاني من كانون الاول (ديسمبر) . ولكن الولايات المتحدة تعترف فقط بحكومة دميتها ادولفو دياز .

يعود انضمام خوان ب. ساكاسا الى صفوف الليبراليين لعدة سنوات قليلة فقط، ومن المعروف ان خوان ب .ساكاسا ينحدر من عشيرة ساكاسا التي شاركت مع عشيرة تشامورو السيطرة على البلاد في القرن التاسع عشر . والموقف الجديد لعشيرة ساكاسا جرى تحديده مسبقا نتيجة لما تتوقعه من سقوط محتوم لحكومة الدمية ديازا المحافظة، فعشيرة ساكاسا ، كما هو مشهور عنها ، تسبح دائما مع التيار الذى يقودها الى السلطة .

يتبع

Digitized by Birzeit University Library

همسات النخيل
لمحمد جاموس

==========

صدر للشاعر محمد احمد جاموس ديوان هو الاول للشاعر بعنوان " همسات النخيل ".

وقد اصدر الديوان نادي شباب باريحا الرياضي، وبرصد ريع الديوان لدعم مشاريع وانشاءات النادي.

الجدير بالذكر ان الشاعر جاموس هو احد الشعراء الفلسطينيين المجيدين، من دواوينه عددا كبيرا من القصائد العمودية التي ضمنها عواطف جياشه تجاه اريحا وجبلها وبساتينها الغناء، بالاضافة الى قصائد تنم عن تعلقه بالارض، وحنينه الكبير لتراب الوطن.

قدم للديوان الشاعر اسعد الاسعد، رئيس اتحاد الكتاب الفلسطينيين.

الجماهير العربية
في اسرائيل

==========

عقد دار ٣٠ آذار بالناصرة، صدر للكاتب سميح غنادري كتاب " الجماهير العربية في اسرائيل "، بانوراما الاضطهاد والتمييز القوميين.

والكتاب الذي يقع في ٢١٥ صفحة من الحجم الصغير، يحتوي على مجموعة كبيرة من نماذج من الاضطهاد والتمييز القوميين للممارسات الاسرائيلية الرسمية والشعبية ضد ابناء الشعب العربي الفلسطيني في اسرائيل.

تاريخ
مدينة بيرزيت

==========

صدر مؤخرا كتاب تاريخ بيرزيت والذي كان الكاتب موسى علوش يعمل على انجازه منذ مدة طويلة، حيث استطاع جمع عدد كبير من المعلومات التاريخية والتراثية المتعلقة بالمدينة وتاريخ عائلتها، بالاضافة الى عدد كبير من الوثائق والصور النادرة والهامة.

ويعتبر الكتاب الذي يضم اكثر من خمسمئة صفحة من الحجم الكبير، واحدا من اهم المراجع التاريخية لبيرزيت ومنطقتها.

سميح القاسم ومحمد علي طه
وعالم الاطفال

==========

عن منشورات عالم الطفل وتوزيع شهرزاد للنشر والتوزيع في الناصرة صدرت اربع حكايات للاطفال من اعداد الاديب محمد علي طه ومسجلة على كاسيت بصوت الشاعر سميح القاسم والحكايات هي

١) بينوكيو. ٢) ليلى الحمراء ٣) اليس في بلاد العجائب

٤) فرخ البط القبيح.

وسيصدر تباعا اربع حكايات اخرى.

ويأتي هذا العمل الكبير ليسد نقصا كبيرا لمكتبة الاطفال في الاراضي المحتلة. فالطفل الذي لا يستطيع القراءة يستطيع الفهم من خلال الكاسيت.

Digitized by Birzeit University Library

توصيات وقرارات مؤتمر القدس العالمي للتراث الشعبي الفلسطيني

==========

القدس ـ اختتمت مساء ٢٠ آب الماضي اعمال مؤتمر القدس العالمي للتراث الشعبي الفلسطيني الذي بدأ يوم ١٦ آب في مباني دار الطفل العربي باشراف مركز احياء التراث العربي في الطيبة وبالتعاون مع لجنة التراث والمجتمع في جمعية انعاش الاسرة وجمعية الدراسات العربية في القدس ومؤسسة دار الطفل العربي .

وقد تليت في الحفل الختامي توصيات وقرارات المؤتمر وكانت على النحو التالي :

أولا : انعقاد هذا المؤتمر سنويا وتوفير جميع الكفاءات والامكانات والاحتياجات اللازمة له.

ثانيا : تخصيص المؤتمر القادم للبحث في التراث الشعبي لمدينة القدس لما للقدس من مكانة خاصة.

ثالثا : تجميع وترجمة كل ما كتب في اللغات الاجنبية عن التراث الشعبي الفلسطيني وترجمته الى اللغة العربية .

رابعا : دعوة المؤسسات والباحثين الى مزيد من الجهود والتعاون في دراسة تراثنا الشعبي ودراسته .

خامسا : السعي الى نشر الوعي في تراثنا بين اجيالنا الجديدة .

سادسا : تتحول اللجنة التحضيرية للمؤتمر الى لجنة دائمة تعد للمؤتمر المقبل ولها الحق في ان تضم اليها من تراه مناسبا لانجاح اعمالها .

هذا وقد تم توزيع الشهادات التقديرية والدروع على المشاركين في المؤتمر واعضاء الفرق الفنية والمؤسسات والافراد الذين ساهموا في انجاح اعمال المؤتمر ونشاطاته .

وقد نظمت رحلة على مدار يومين للمشاركين والضيوف الاجانب في ربوع البلاد .

"علاقة منظمة التحرير الفلسطينية بالنظام الاردني"
تأليف غانم حبيب الله

==========

. صدر عن دار الاسوار العكية كتاب " علاقة منظمة التحرير الفلسطينية بالنظام الاردني ١٩٦٤ – ١٩٧٦ بين التنسيق والصدام " تأليف غانم حبيب الله. ويحتوى الكتاب على معلومات تاريخية بخصوص تطور علاقات م.ت.ف. بالنظام الاردني ويضم في ثناياها ملحقا خاصا بالوثائق النادرة . وقد استقى الكاتب معلوماته من المصادر التاريخية العلمية ومن خلال متابعة الاحداث السياسية ولقاءات مع بعض الشخصيات . والمؤلف من مواليد قرية عين ماهل عام ١٩٦٢ ويحمل شهادة ماجستير في تاريخ الشرق الاوسط ويستعد لمواصلة تحصيل شهادة الدكتوراه .

كتب مقدمة الكتاب الشاعر سالم جبران. رئيس تحرير مجلة " الجديد " وجاء في المقدمة " هذه الدراسة التي بين ايدينا تتميز بطول النفس في فحص العديد من المراجع والوثائق كما تتميز بالتسلسل الدقيق المنطقي في متابعة الاحداث ، كما تتميز بوضوح الرؤية الوطنية الفكرية" . ونضيف : ان هذا الكتاب بحث اكاديمي علمي جدير بالقراءة .

Digitized by Birzeit University Library

مجلة "الكاتب" تفوز بجائزة الدكتور صايغ

The Fayez A. Sayegh Memorial Award

Presented to:

AL-KATEB

In recognition of dedication and commitment to human principles and sustained contributions to a better understanding of the Palestinian cause.

Date March 31, 1987

Signature

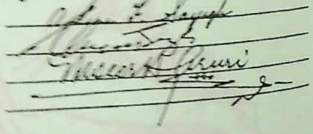

تلقى مجلس تحرير الكاتب، رسالة خاصة من لجنة فايز الصايغ، تضمنت ابلاغ المجلة بحصولها على جائزة فايز الصايغ لعام ١٩٨٧ الى جانب اربع مؤسسات وشخصيات فلسطينية اخرى.

وقد تضمنت الرسالة تقدير اللجنة للجهود القيمة التي تؤديها مجلة الكاتب في خدمة القضية الفلسطينية، حيث اشارت الى ان مجلة الكاتب الشهرية التي تصدر في القدس منذ سبعة اعوام، تضع في اولوياتها دراسة المجتمع الفلسطيني وحاجاته الاساسية، بالاضافة الى المشاكل الاجتماعية والاقتصادية، ومعالجتها لحقوق الانسان وقضايا السلام.

كما ان توجهات المجلة، ذات البعد المحلي، تعالج بشكل اساسي، مواضيع ذات اهمية عالمية مثل الشركات فوق القومية،

Digitized by Birzeit University Library

متعددة الجنسيات، حركة التحرر في جنوب افريقيا ، حرب النجوم، بالاضافة الى الاهتمام بالقضايا الحياتية للفلسطينيين في الريف ، وحول المسرح المحلي والفولكلور، ودورالمرأة الفلسطينية في المجتمع الفلسطينـــي

وقد اوضحت الرسالة ان اختيار المؤسسات والشخصيات الخمسة جاء، نظرا لتكريس دورهم ومؤسساتهم للمبادى الانسانية ، وخدمة القضية الفلسطينية .

هذا وقد فاز بالجائزة الى جانب مجلة الكاتب ، كل من السادة ابراهيم بكر، فوزي الاسمر ، منصور كردوش، ومسرح الحكواتي في القـــدس .

ومن الجدير بالذكر ان مجلس تحرير مجلة الكاتب ينظر الى الجائزة من حيث قيمتها المعنوية ، اذ ان قيمتها المادية بلغت ٢٢٠٠ دولارا ،حيث ان قيمة الجائزة واهميتها نابع من كونها تقدير للدور الهام الذى تلعبه المجلة في الحياة الثقافية الفلسطينية، من لجنة تضم عددا من المثقفين المطلعين على نشاط المؤسسات الفلسطينية المختلفة .

Digitized by Birzeit University Library

عفيفة لعيبي ـ العراق

Digitized by Birzeit University Library

ناجي العلي .....

باقٍ انت .. ولن تغيب

داهمنا خبر رحيل ناجي العلي المفجع ، في اللحظات الاخيرة قبل صدور هذا العدد من " "الكاتب" ، ورغم اننا كنا على علم بحالته الصحية السيئة ، الا اننا لم نكن نرغب في تصور رحيل صديقنا وزميلنا الفنان المبدع ناجي العلي ، وكنا كلما سمعنا عن اخباره ، نكذّب ما سمعنا ، فرحيل ناجي العلي خسارة كبيرة لا تعوض ، وكان الموت اللعين اكبر من تمنياتنا ، واكبر من تفاؤلنا الذى لا ينتهي .

كم كنا نتمنى ان نكتب عن نماثله للشفاء ، وان الرصاصات التي اخترقت وجهه ، لم تستطع ان تقتل فيه الحياة والاصرار على البقاء ، والتشبث بسعيه لما يردّ لحنظلة ماء وجهه ، الا ان القتلة كانوا من القسوة والحقد والهمجية الى الحد الذى لم يكن لجسد ناجي العلي ان يحتمل سموم رصاصاتهم .

مات ناجي العلي ، وبقي حنظلة ، الشاهد الذى لا يموت ، ليظل وصمة عار ، ودليل همجية وحقد قتلة صاحبه .

مات ناجي العلي ..

حقيقة ليس أمرّ منها ، غير استمرار مسلسل قتل و تصفية رموز ثقافتنا الوطنية ، وليس أمرّ منها غير هذا العجز عن وقف هذا القتل وهذه التصفية .

مات ناجي العلي ...

باقٍ ناجي العلي ... ولن يبرح قلب شعبه وقلوب محبيه .. وما اكثرهم

أما قتلته ، فشلّت أيديهم ....

شلّت أيديهم ....

الكاتب 89
للثقافة الانسانية والتقدم

Editor
Asa'd Al-Asa'd
P.O.Box 20489
Jerusalem
Tel.856931

AL KATEB
for human culture
and progress

Digitized by Birzeit University Library